وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر2، أبو القاسم سعدالله

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

الإسهامات الحضارية للإمبراطورية المغولية في الحضارة الإسلامية 656- 760هـ / 1258- 1360م

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في:"التاريخ الوسيط"

إعداد الطالب :

أمحمد بخيتي

إشراف الأستاذة

أ.د : نبيلة عبد الشكور

لجنة المناقشة

أ.د أحمد شريفي رئيسا	جامعة الجزائر2، أبو القاسم سعدالله
أ.د نبيلة عبد الشكور مشرفا ومقررا	جامعة الجزائر2، أبو القاسم سعدالله
أ.د قويدر بشار عضوا مناقشا	جامعة الجزائر2، أبو القاسم سعدالله
د.عبد الحميد خالدي عضوا مناقشا	جامعة الجزائر2، أبو القاسم سعدالله
د.حمزة حاجي عضوا مناقشا	جامعة يحيى فارس المدية
د.بغداد سحيري عضوا مناقشا	جامعة يحيى فارس المدية

السنة الدراسية: 1443-1444هـ/2022-2023م

بسم الله الرحمن الرحيم

" إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين"

الشكـر والتقدير

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو لا أن هدنا الله، والشكر لله على جزيل عطائه

والصلاة والسلام على سيدالخلق وعلى آله وصحبه أجمعين

أحمد الله تعالى مذلل العقبات وجاعل اليسر بعد العسر ،الذي ألهمني الصبر والثبات والعزيمة حتى أتم هذا العمل.

أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذة الدكتورة نبيلة عبد الشكور على ما قدمته لي من نصائح توجيهات، ووقوفها إلى جانبي فجزاها الله كل الخير، وجعل الله ذلك في ميزان حسناتها .

الإهـــداء

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَقَضَى رَبُّكَ أَنْ لاْ تَعْبُدُوا إِلاْ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًاإِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ اَلكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيْمًا) الآية 23، سورة الإسراء.

إلى من أنارا دربي بخالص دعائهما

إلى أمي وأبي

إلى الزوجة الغالية لوقوفها سندا ومعينا حتى نهاية العمل

إلى أولادي

إلى كل إخوتي.

إلى كل من ساعدني من زملاء وأساتذة

مقدمة

كانت بداية القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي إيذانا ببروز المغول كقوة سياسية وعسكرية فاعلة على الساحة الدولية بفضل تيموجين (549-624هـ/624-1227م)، الذي استطاع أن ينجو من محاولات الإغتيال المتكررة، وبشجاعة وقوة كبيرتين تمكن من الوصول إلى بر الأمان ليفكر بعدها في طريقة ما ليجمع قبائل المغول التي عاشت حياة التشرذم والشتات واتخذت من القتل وسفك الدماء أسلوبا للحياة، وأفشلت فيما مضى كل من دعا إلى الوحدة والتماسك، وعاشت حياة الترحال بحثا عن الماء والكلأ لها ولقطعانها.

وقاوم تيموجين كثيرا من أجل البقاء على قيد الحياة بعد مقتل والده من طرف زعماء إحدى القبائل، فهرب وهو في التاسعة من عمره إلى قبيلة أخواله حاملا معه ألما وأملا بالعودة لتوحيد جميع قبائل المغول، وبمرور الزمن ظهر الفتى أكثر قوة وبأسا متسلحا بالقوة والحنكة والدهاء، واستطاع أن يكسب العديد من الأتباع، معتمدا على إستراتيجية محكمة من أجل القضاء على الفوضى التي تعم قبائل المغول، فبدأ بتوحيد تلك القبائل بالقوة تارة وبالسياسة تارة أخرى وسطر لهم قانونا يحترمه ويخشاه الجميع ومضمونه العام الطاعة العمياء للقائد والعقاب الصارم للمخطئ وأطلق عليه الياسا.

بعد توحيد الصفوف قرر جنكيزخان (ت624-1227م) غزو العالم وانتشرت جحافل جيشه في كل مكان من آسيا، وأطبق الرعب والدمار في ظرف وجيز، حيث كانت أخبار المغول تصل قبل أن يصل الجيش إلى منطقة ما، واقتضت إستراتيجية جنكيزخان تطويق الصين من ثلاث جهات حتى أحكم السيطرة عليها، وبعدها لم ينقض الربع الأول من القرن السابع الهجري، الثالث عشر ميلادي حتى صارت أملاك الخوارزميين تحت حكمه وصارت بلاد ما وراء النهر عرضة للدمار واستباح الغزاة البلاد والعباد وتحولت المساجد إلى اسطبلات وأعداد لا تحصى من القتلى، ويعتبر المؤرخ ابن الأثير (ت630هـ) أصدق وأبلغ من وصف تلك الأحداث في قوله :"لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادة استعظاما لها كارها لذكرها، فأنا أقدم إليه رجلا وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين، ومن الذين يهون عليه ذكر ذلك، فياليت أمي لم تلدني، وياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا... الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي عقت الأيام والليالي عن مثلها عمت الخلائق، وخصت المسلمين، فلو قال قائل : إن العالم مذ خلق الله تعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا، فإن التواريخ لم تتضمن مايقاربها ولا ما يدانيها".

وبالمقابل كان العالم الإسلامي يعيش حالة من عدم الاستقرار السياسي والفرقة التي خيمت بظلالها على أرجائه من أواسط آسيا إلى بلاد الشام ،وكانت حالة التناحر الصفة الغالبة على المشهد السياسي فيه، فالعباسيون لم يبق لهم من خلافتهم سوى الاسم، والشام ومصر تفرقت بين الأيوبيين ولا يعلم لها حال من الثبات، وكان الخوارزميين في شرق الدولة الإسلامية يشكلون خطرا على الأمة الإسلامية وخلافتها، وبهذا الضعف الداخلي تراجعت حضارة الإسلام التي دامت عدة قرون أمام تهديد الغزاة، هؤلاء الذين لم يكن يفصلهم عن معاقل الإسلام سوى الوقت، ولم يمض نصف قرن على ظهور جيش جنكيزخان حتى صارت معظم أراضي آسيا وأجزاء من روسيا وأوربا تحت سيطرة المغول.

وقد نتج عن توسعات المغول في آسيا وأجزاء من أوربا ظهور أربع دول مغولية عرفت في تاريخ المغول وهي إيلخانية إيران، ومغول القبيلة الذهبية، ومغول تركستان، ومغول الصين وهذه الأخيرة شكلت قاعدة للحكم المغولي ومقر القاآن الكبير، ويدير شئون تلك الدول حاكم يعرف بالإيلخان ويرتبط ارتباطا وثيقا بالقاآن الكبير ويرجع إليه في القضايا الكبرى، حيث ظهر هذا التقسيم لحماية ممتلكات المغول وجعلها تحت سلطان أسرة واحدة ونظام واحد (الياسا) من شرق آسيا حتى غربها.

واشتهر من هذه الدول الأربع مغول إيران وينتسبون إلى هولاكو بن تولوي بن جنكيزخان، وظهرت هذه الأسرة بعد التوسعات التي قام بها هولاكو خان في الأقاليم الغربية من إيران بالإضافة إلى اخضاعه قلاع الإسماعيلية والعراق وتوقفت انتصاراته عند عين جالوت التي وضعت حدود دولة المغول في إيران.

بالإضافة إلى أن حكامها اعتنقوا الإسلام منذ عهد السلطان محمود غازان سنة 694هـ/1296م، الذي اتخذه دينا رسميا للدولة وقطع علاقته مع القاآن الكبير في الصين، وبإسلامهم أصبحوا عنصرا جديدا في المجتمع الاسلامي ساهموا في قيّمه الحضارية والعلمية في شقيها المعنوي والمادي، وانطلاقا من هذا ارتأيت أن أخص بالدراسة الجوانب الحضارية العلمية والفنية في هذه الدولة كأنموذج عن الأمبراطورية المغولية وجاء عنوان الأطروحة **الإسهامات الحضارية للإمبراطورية المغولية في الحضارة الإسلامية ما بين (656-760هـ/1256-1360م)** وللإشارة فإن هذه الفترة المحددة تتعدى تواجد هذه الأسرة التي تفككت قبل هذا التاريخ وحلت محلها العديد من الأسر ومنها القبيلة المغولية جلاير التي أسست دولة عرفت بالدولة الجلائرية، لذا خصصت لها مساحة من البحث لتغطية الفترة الزمنية قيد الدراسة.

أولا/ أسباب اختيار الموضوع:

- توجد الكثير من الدراسات السياسية والعسكرية حول تاريخ المغول في حين تنقص حول الجوانب الحضارية
- افتقار المكتبة التاريخية لدراسات تتناول كافة الآفاق والتفاصيل السياسية والحضارية لموضوع البحث.
- حب الاطلاع ومعرفة الأسلوب الحربي الذي اشتهر به المغول
- الرغبة في مواصلة البحث في المواضيع المتعلقة بآسيا في العصر الوسيط حيث هي تجربة تعود إلى مرحلة الليسانس والماجستير.

ثانيا/ أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في العديد من النقاط وأهمها

- كونه يبرز مرحلة هامة من التاريخ الوسيط في إقليم آسيا وما جاورها .
- يسلط البحث الضوء على شعب التتار والتعريف به
- لمعرفة جنس التتار وحضارته قبل وبعد الإسلام
- تسليط الضوء على أحد المواضيع الهامة والإستراتيجية في تاريخ آسيا

ثالثا/ إشكالية البحث:

بعد مرور أكثر ثمانية قرون لازال العالم لا يتذكر من أحداث القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي سوى عمليات التخريب والمجازر التي ارتكبها المغول ومازال العنف مرتبطا بالمغول ولم يستطع الزمن محو آثار تلك القسوة، ومنه فإن إشكالية البحث تدور حول:"مدى مساهمة المغول في محو آثار غزواتهم الهمجية ومدى إسهامهم في الحضارة الإسلامية".

وتتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات منها:

- من هم المغول وما هو أصلهم وموطنهم ؟
- ما هي أسباب تمكنهم ونفوذهم؟
- كيف أسلم المغول وما هي العوامل التي ساعدت على إسلامهم؟
- ما هي المجالات التي أثر وتأثر بها المغول ؟

رابعا/المنهج المتبع:

اعتمد البحث على المنهج التاريخي القائم على جمع المادة العليمة من مختلف المصادر والمراجع وترتيبها وقراءتها بغية الإلمام بها ثم تحليلها ونقدها من خلال النصوص المصدرية المشرقية منها والأجنبية، وهو مايقتضيه العمل وكذا تحليل ما جاء من معلومات وسرد للأحداث،كما اعتمدت المنهج الوصفي في مراحل البحث .

خامسا/الدراسات السابقة:

عديدة هي الدراسات السابقة حول المغول بشكل عام، وبخاصة في الفترة الأخيرة حيث تناولت الكثير من المواضيع دولة المغول وتوسعاتها ونظمها غير أن الجانب الحضاري لم ينل حظه من البحث بشكل واسع وعثرت على دراستين في هذا المجال وهي :**إسلام المغول وأثره العسكري والسياسي والحضاري في قارتي آسيا وأوربا** لصاحبها **إسماعيل عبد الرحمن الدورابي** وهي أطروحة دكتوراه من جامعة أم درمان عام 2012م، ذكر نقاط هامة عن مظاهر الحضارة عند المغول وآثارهم العسكرية والسياسية والعمرانية قبل إسلام المغول وبعده، أطروحة**الحياة العلمية في العراق بعد الغزو المغولي للطالب خالد كريبي**وهي أطروحة دكتوراه من جامعة الجزائر تناولت جوانب علمية في العهد المغولي في العراق .

سادسا/ خطة البحث:

لإنجاز هذا البحث إعتمدت على الخطة التالية مقدمة وفصل تميدي وأربعة فصول وخاتمة وملاحق تناولت في المقدمة ملخصا عن الموضوع، بينما تطرقت في الفصل التمهيدي: إلى موطن المغول وأصلهم والموقع الجغرافي ثم المناخ وتأثيره، وتضاريس الأراضي المغولية، ثانيا توحيد القبائل المغولية عن طريق شخصية جنكيزخان ثم ثالثا التوسع المغولي على جيرانها من الصينيين والخوارزميين وأخيرا العادات والتقاليد، كالصيد، المأكل، والملبس.

الفصل الأول بعنوان:"الخريطة السياسية للإمبراطورية المغولية"يندرج تحته أربعة عناصر أما العنصر:الأول بعنوانمغول القبيلة الذهبية (القبجاق) وتطرقت فيه إلى: أصل التسمية، الموقع، وتأسيس القبيلة الذهبية، والعلاقات السياسية والعسكرية مع إيلخانية فارس، أما العنصر الثاني: فبعنوان:إيلخانية فارس ويتضمن أولا تأسيس الايلخانية من خلال القضاء على الطائفة الاسماعيلية، سقوط بغداد(656هـ- 1258م)، حملة هولاكوخان على بلاد الشام، معركة عين جالوت (658هـ/1260م)، ثانيا:النظام الإداري للايلخانية، ثم

خلفاء هولاكو خان (العهد الوثني)، وأخيرا تفكك الإيلخانية العهد الجلائري، أما العنصر الثالث:مغول تركستان (آسيا الوسطى) وتناولت فيه التعريف بمغول تركستان، ثم مغول تركستان في ظل القاآنات العظام علاقة مغول تركستان بالايلخانيين، والعنصر الرابع: بعنوان مغول الصين (أسرة اليوان): وينقسم إلى أربعة عناصر مغول الصين (أسرة اليوان) أولا :فتح الأقاليم الشمالية للصين ثانيا: الإصلاحات في عهد قوبيلاي خان (657-693هـ / 1259-1294م) ثالثا: الصين العاصمة الجديدة للمغول رابعا:الإصلاحات الإدارية (العملة).

الفصل الثاني بعنوان:"**انتشار الإسلام بين المغول**"قسمته إلى أربعة عناصر تطرقت فيه أولا: الصراع الديني المسيحي البوذي الإسلامي؛ وتعرضت فيه إلى التسامح الديني عند المغول، والتنافس البوذي والمسيحي والإسلامي، ثم العوامل المؤثرة في التحول المغولي إلى المسيحية ومنها تأثير الزوجات المسيحيات وجهود أصحاب البلاط من المسيحين والبوذيين، وكذلك جهود الملوك والبابوات في تنصير المغول، ثانيا: انتشار الإسلام بين المغول ويندرج تحته العوامل المؤثرة في اعتناق المغول للإسلام وهي: تأثير المرأة المسلمة، تأثير الوزراء والموظفين المسلمين، تأثير السكان المحليين، الطرق الصوفية، التجارة، والعنصر الثاني: الإسلام في الممالك المغولية وفيه: إسلام مغول القفجاق بركة خان، السلطان محمد أوزبك، ثم إسلام إيلخانات فارس أحمد تكودار إسلام محمود غازان، إسلام أولجايتو محمد خدبندا، إسلام أبو سعيد بهادر خان، علاقة مغول إيران بالمذهب الشيعي، والعنصر الأخير: إسلام مغول تركستان.

الفصل الثالث بعنوان:"**المظاهر الحضارية لدولة المغول**": وقسمته إلى أربعة عناصرذكرت فيه أولا: روافد انتقال التأثيرات المغولية للحضارة الإسلامية (العالم الإسلامي) وتضمن أربع عناصر وهي: دور الحكام والأمراء المغول، الهجرات المغولية لبلاد الإسلام، الصلة بين الممالك المغولية، طريق الحرير، أما ثانيا: مساهمة المغول في الأنظمة الإدارية والعسكرية للمسلمين وخاصة في القوانين المستمدة من الياسا المغولية، ونظام البريد الذي برع فيه المغول، وبينت في العنصر الثالث: الجانب الاجتماعي بداية باللغة وانتشار الكثير من المفردات المغولية في المجتمع الإسلامي خاصة لدى المؤلفين، والحج، والطعام، واللباس، والمرأة المغولية والمكانة السياسية التي تمتعت بها، كما أشرت إلى لباس المرأة المغولية المسلمة، أماالعنصر الرابع: فتطرقت فيه إلى الجانب الاقتصادي كالزراعة، والصناعة (الأسلحة، النسيج)، والتجارة التي تأثرت بسيادة المغول على ربوع آسيا (السيطرة المغولية على طرق التجارة، طريق الحرير).

الفصل الرابع بعنوان:"الإسهامات العلمية والفنية": قسمته إلى ثلاثة عناصر، ذكرت فيه أولا الإسهامات الفنية: ويتضمن العلوم العقلية والنقلية أما العقلية فركزت فيه على عنصرين اثنين الطب، وعلم الفلك، والعلوم النقلية وفيها العلوم الدينية والإسلامية، التاريخ والمؤرخين عند المغول، ثم الحركة الأدبية التي تجلت في الشعر الصوفي الذي انتشر بصفة كبيرة في العهد المغولي خاصة بين طبقة المتصوفة، وتناولت في عنصر آخر المدارس والمكتبات في العهد في المغولي، وأخيرا تطرقت إلى المراكز الحضارية في العهد المغولي وتمثلت في: تبريز، السلطانية، مراغة، وبينت في العنصر الثاني:الإسهامات الفنية وتطرقت فيه إلى التصوير ويتناول: المدرسة المغولية للتصوير ومصادر التصوير المغولي(المدرسة الصينية، المدرسة الأويغورية)، ثم الإنتاج الفني في الحقبة المغولية وتضمن: الحفر على الخشب في العصر المغولي، فن الخط:(الخط على المسكوكات، فن النحت على الحجارة، والجص في إيران) والعنصر الثالث: العمارة المغولية وفيه سلطت الضوء نماذج من العمارة المغولي وتمثلت في الضاحية الغازانية نسبة إلى السلطان محمود غازان، والربع الرشيدي، ثم دور الوافدية في العمارة المملوكية، وختمت الفصل بنماذج عن العمارة الجلائرية.

وأتبعت هذه الفصول بخاتمة شملت مجموعة من النتائج التي توصلت إليها وهي عبارة عن مجهود شخصي آمل أنني قد وفقت فيه وهي عبارة عن نقاط قد تكون عناوين لبحوث أكاديمية هامة في هذا التخصص.

سابعا/ المصادر والمراجع :

1- المصادر:

اعتمدت في هذا البحث على أهم المصادر الإسلامية التي لها علاقة بالأحداث التي دارت في تلك الفترة ومنهم من شارك فيها وأذكر على سبيل المثال لا الحصر.

1.1 كتب التاريخ:

- **المؤرخ رشيد الدين فضل الله الهمذاني** (ت 718 هـ/1318 م): جامع التواريخ ،تاريخ غازان خان وتاريخ خلفاء جنكيز خان ، تاريخ هولاكو، وبدأ الهمذاني كتابة هذا التاريخ في عهد السلطان محمود غازان، وأتمه بعد وفاته، ويعتبر مؤلفه أحد أهم الشخصيات في التاريخ المغولي، وهو من أصل يهودي واعتنق الإسلام وتقلد منصب الوزارة في عهد السلطان غازان ويحتوي جامع التواريخ على تفصيل لسياسة المغول في إيران و

يعطي الباحث صورة كاملة عن إيلخانات المغول خاصة عن السلطان محمود غازان وسياسته بعد اعتناقه للإسلام.

- **أبي عمر منهاج الدين عثمان المعروف بالقاضي منهاج السراج الجوزجاني، طبقات ناصري** من بين كتاب التاريخ العام الذين كتبوا في هذه الفترة ولد هذا الأخير حوالي 590هـ / 1193م والتحق كوالده وجده بخدمة الملوك الغوريين وكتابه طبقات ناصري موزع على عشرين فصلا تبدأ بالأولياء والأنبياء وتنتهي بغارة المغول، وقد زودنا هذا المؤرخ بأخبار فريدة عن هذه الغارة، ويحتوي على ثلاثة وعشرين قسما يطلق على كل قسم "طبقة" ويختص كل قسم بذكر طبقة من الأنبياء والشيوخ والخلفاء وسلاطين لهند... وهكذا إلى أن يختتمه بالطبقة الثالثة والعشرين في وقائع الإسلام وخروج الكفار أي المغول . ورغم أن الجوزجاني تحدث عن هجوم المغول أثناء حديثه على ملوك الخوارزميين وسلاطين الهند فإن القسم الثالث والعشرين قد خصصه للتحدث عن المغول في وقت خروجهم حتى سقوط بغداد.

ويمتاز كتاب طبقات ناصري بسلاسة أسلوبه ومتانة عباراته، ويعد من أوثق المصادر في تاريخ المغول، فقد شاهد غاراتهم بنفسه وساق عنهم قصصا هامة ومن حيث الزمن يعتبر كذلك من أقدم كتب التاريخ الفارسي في هذا العصر.

- **علاء الدين عطا ملك الجويني، تاريخ جهنكشاي ولد صاحب الكتاب** في 10ربيع الاول 623 هـ / 1226م، ألف تاريخه الكبير وسجل فيه تاريخ المغول وفتوحاتهم ورسومهم وقد بدأ تأليفه سنة 650هـ وانتهى منه سنة 658هـ، ودخل الجويني في خدمة هولاكو منذ بداية زحفه على فارس وبقي يمارس أعماله الإدارية حتى آخر أيامه يعتبر تاريخ جهانكشاي من الكتب الخاصة التي ألفت عن دولة بعينها والكتاب يشتمل على ثلاثة أجزاء أو مجلدات :الأول منها يتحدث عن أصل المغول وفتوحات جنكيزخان، والثاني عن ملوك خوارزم المعروفين باسم خوارزمشاه والثالث عن الحشاشين أو الإسماعيلية في ألموت وقهستان ومحاربة هولاكوخان لهم.

- **ابن الفوطي كمال الدين عبد الرزاق (ت 723هـ) "الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة"** و **"مَجْمَعُ الآداب في معجم الألقاب وكتاب الحوادث الجامعة"**ويعتبر من المصادر المهمة

المطلعة على أحوال مغول إيران، فقد أسر المؤلف لما سقطت بغداد في أيدي المغول وهو صبي في الرابعة عشر من عمره وبيع كغلام فخدم في الكثير من دور القادة والأمراء المغول

- **ركن الدين بيبرس المنصوري الدوادار** (ت 725هـ/1324 م):"**زبدةالفكرة في تاريخ الهجرة**"، الذي وصل إلى مصر سنة 659هـ / 1230م ثم انخرط في المجال السياسي ومر بمناصب سياسية عديدة ، كما اشترك في الحروب ضد الصليبيين والمغول في بلاد الشام وفلسطين سنة 700-702هـ/ 1300-1302م وترك الدوادار مؤلفين هامين وهما كتاب زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ،وينتهي سنة 724هـ / 1324م ،والثاني التحفة المملوكية في تاريخ الدولة التركية وينتهي عام 711هـ / 1311م.

- **أبي الفرج غريغوريوس بن أهرون ابن العبري** (ت 684 هـ/ 1286 م):" **مختصر الدول**" كتبه بالسريانية ثم نقله إلى العربية باختصار، وهو مصدر مهم لتاريخ المغول في إيران لأنه يذكر سياسة المغول و طرق حكمهم، و ما يتميز به مختصر الدول هو موضوعيته في سرد الأحداث.

- **أحمد تقي الدين المقريزي** (ت 845 هـ/ 1442م):" **السلوك في معرفة دول الملوك** " يعد من أبرز مؤرخي مصر، تولى عدة مناصب سياسية هامة منها ديوان الإنشاء بالقلعة، ثم قاضيا عند قاضي قضاة الشافعية، وبعد عودته إلى دمشق عمل ناظرا على أوقاف القلانسية، وقد أورد معلومات هامة ومفصلة حول دخول المغول إلى بلاد الشام عند هجوم هولاكو وغازان وتيمورلنك وعن الياسا المطبقة في البلاد المغولية وقد تفرد ببعض المعلومات التفصيلية التي لم يقدمها غيره من المؤرخين.

1.2 كتب الرحالة والجغرافيين:

- **ابن بطوطة محمد بن إبراهيم اللواتي** (ت 779 هـ/1377م) :" **تحفة الناظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**" الذي أودع مشاهداته في كتاب هام استعرض فيه عن موضوعي المغول وعادات وتقاليد ونظم المغول بشكل أو بآخر، خاصة أن رحلته استغرقت زهاء تسع وعشرين سنة في أغلب بقاع العالم، فابن بطوطة اعتمد في وصف المدن على أهم معالمها الحضارية ومزروعاتها الشهيرة، فرحلة ابن بطوطة تقدم فائدة كبيرة للباحث في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

- **الحموي شهاب الدين أحمد أبو عبد الله ياقوت الرومي** (ت 626هـ/1228م):"**معجم البلدان**" وهو مؤلف جغرافي مشهور أورد فيه صاحبه فوائد جغرافية عديدة مستفيدا من رحلاته ، وفيما يخص البحث فإنه كان في حاجة إلى مثل هذا المعجم للتعرف على المدن والأقاليم .

2- المراجع:

- **فؤاد عبدالمعطي الصياد:** وله ثلاث مراجع أساسية في تاريخ المغول لا غنى للباحث عنها أولا: "**المغول في التاريخ**" مرجع أساسي،فهو يمنح الباحث أهم النقاط الأساسية المتعلقة بالمغول، والتعريف بهم ومعرفة أصلهم وعاداتهم وتقاليدهم وهو ما وجدته أنا بالنسبة لبعض العادات كالزواج والدفن وغيرها والتي نجدها تغيرت بعد اعتناقهم للإسلام، ثانيا/ **مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني**، مؤلف هام حول أحد أبرز الشخصيات في العهد المغولي وهو رشد الدين الوزير بين يظهر من خلاله مكانة هذه الشخصية العلمية والسياسية والدينية وزودنا بمعلومات مهمة في تاريخ الرجل ونشاطه العلمي.

أما المرجع الثالث: بعنوان **الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين (أسرة هولاكو خان**)كز فيه المؤلف على الأسرة التي حكمت فارس والعراق وهم من أبناء هولاكو خان بداية من أباقاخان إلى غاية انهيار الدولة وتفككها وقد مازج المؤلف بين الأحداث السياسية مع التعرض للمحطات الحضارية في عهد خكام هذه الأسرة.

- **رجب مجمد عبد الحليم:" انتشار الإسلام بين المغول "** الذي درس فيه المؤلف تحول المغول إلى الإسلام وأهم المظاهر التي توحي إلى عمق إسلام المغول بصفة عامة كما خصص فصلا كاملا حول اعتناق الإيلخانيين للإسلام.

كما استفاد البحث من المراجع المعربة ومنها:

- **عباس إقبال: "تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية"** ويعد مرجعا أساسيا في تاريخ إيران وضم في ثناياه معلومات هامة وكثيرة عن إيران خلال الحقبة المغولية مما يجعله مرجعا لا غنى عنه لمن يرغب التعرف على هذه الحقبة وأنا بدوري استفدت منه كثيرا فيما يتعلق بأحداث الغزو المغولي والإيلخانيين خاصة.

- **بيرتولد شبولير**:"**المغول في التاريخ**" يعتبر أحد أهم المراجع التي تتحدث عن تاريخ المغول بالتفصيل ومما يميزه تفصيله للأحداث الكبرى المتعلقة بإمبراطورية المغول والتطرق للممالك المغولية الأربع بعد وفاة جنكيزخان بعد جنكيز خان كما أنه لا يخلو من ذكر بعض من المظاهر الحضارية لمختلف الممالك .

- **فاسيلي فلاديميروفتش بارتولد**:"**تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي**" دراسة تكتسي أهمية بالغة وقلما نجد مؤلف بهذا الحجم يتناول منطقة مثل تركستان في حقبة سياسية حرجة وقد أمدنا صاحب الكتاب بمعلومات قيمة عن تركستان إبان الحكم المغولي والصراع الدائر بين أبناء وأحفاد جغتاي .

ثامنا/ الصعوبات:

- وجود معلومات متفرقة عن تاريخ إيران عبر العصور في المصادر والمراجع.
- عدم وجود قاعدة أو مدرسة متخصصة في التاريخ الآسيوي تساعد على توجيه الباحث.
- وجود مصادر باللغة الفارسية.

وفي الأخير أشكر أعضاء لجنة المناقشة كل باسمه ومقامه على تحشمهم قراءة الرسالة

وأقول أنني بلغت الهدف في ما جمعته وما كتبته وإنما آمل أن أكون قد أسهمت بجهد متواضع وبسيط في إبراز نقاط إيجابية حول تاريخ المغول وإسهامهم في الحضارة الإسلامية. يقول أحد الفقهاء :"لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده : لو غير هذا لكان أحسن ،ولو زيد هذا لكان يستحسن ،ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر"

الفصل التمهيدي

أصل المغول ونشأتهم

ظهر المغول كقوة عسكرية اكتسحت العالم في القرن السابع هجري الموافق للثالث عشر ميلادي وانسابت جموع من قبائل البدو باتجاه الغرب مخلفة خلفها دمارا كبيرا، ولمعرفة سر هذه القوة نحاول الإلمام في هذا الفصل بموطنهم وأصلهم وحياة التشرذم، ثم الوحدة فالدولة، ثم الإمبراطورية على يد مؤسسها جنكيزخان.

أولا / موطن المغول:

1. **الموقع الجغرافي:**

إن ا لدارس لتاريخ المغول يجد نفسه أمام حتمية الإلمام بالناحية الجغرافية، التي أثرت بشكل كبير ومباشر في الصفات الجسمانية والخلقية، وكذا الاتصال الخارجي والعزلة لذاك ارتأيت أنه من الضروري التطرق إلى الموطن ومناطق سكنهم واستقرارهم وأبرز ماميز مظاهر بيئتهم الجغرافية.

تقع أراضي المغول فيما بين نهريها المشهورين وهما "أونون وكرولين " وهي المناطق الواقعة إلى الشمال من الصحراء المغولية "صحراء جوبي"[1]، واستقر هؤلاء في عديد المناطق من آسيا الوسطى، والمحصورة مابين حدود ممالك الخطا[2]شرقا وولاية الأويغورغربا والقرغيز وسلنكاي شمالا، ويحدها من الجهة الجنوبية قبائل التنكوت (التانجوت) بالإضافة إلى اتخاذهم الهضاب كمناطق للاستيطان بها ومن أشهرها التيبت[3].

إن لمثل هذه المناطق خصوصية كبيرة بحيث لا يستطيع أي إنسان العيش فيها والتأقلم معها ويجب أن تتوفر فيه الصفات التي تتلاءم مع تلك المناطق، لذا كانت القدرة على التحمل والتعايش وسط الظروف

[1]– أنظر الخريطة رقم (01).

[2]– ممالك الخطا :واحدة من القبائل التركية الوثنية وكلمة خطا مشتقة من كلمة خطاي وهو الاسم الذي أطلقه المغول على الصين وأطلقوا عليهم اسم قراخطاي أو قطاي أو ختا وتعد بلاد الخطا في القسم الثالث من مملكة توران، نزحت قبائلهم بعد أن طردتهم أسرة كين فلجأوا إلى تركستان أين استوطنوا مدن أخرى مثل كاشغر، وختن، وبلاساغون واعتنق الخطا البوذية والمانوية، والمجوسية، والمسيحية انتهت دولتهم سنة 610هـ / 1312م. أنظر:سعاد هادي حسن الطائي:"أعلام ووزراء البلاط المغولي الوزير هجير وقطب الدين حبش عميد الملك أنموذجا"، جامعة بغداد، ع65، 2016، ص 14 (هامش5).

[3]– إيمان طلعت عبد الرزاق: نظم المغول الاجتماعية والدينية والعسكرية خلال القرنين 7و8هـ / 13و 14م، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2019، ص 19.

القاسية من أهم الصفات التي يجب أن يتصف بها سكان تلك الأماكن التي تلفها الجبال وتندر فيها الأمطار وقساوة مناخها[1].

وفي الجهة الشمالية نجد المغول الذين عاشوا في سهول منغوليا التي تكون جزءا من هضبة آسيا الوسطى والشرقية إلى الشمال من صحراء جوبي بين بحيرة بايكال غربا وجبال خنجان على حدود منشوريا شرقا، حيث تشكل الجبال المحيطة بها حاجزا منيعا على الأقاليم الصينية وسيبيريا[2]، وأورد الجويني أن "موضع إقامة التتار ومنشئهم ومولدهم بواد غير ذي زرع، تزيد مساحته طولا وعرضا عن سيرة سبعة أو ثمانية أشهر، تحده من الناحية الشرقية بلاد الخطا، ومن الناحية الغربية بلاد الأيغور، ومن الشمال بلاد القيرغيز وسلنكاي، ومن الجنوب تنكت والتبت"[3].

وتعتبر الأراضي التي استوطنها المغول غير صالحة للزراعة بالإضافة إلى الطبيعة الجغرافية المعقدة مما كان له بالغ الأثر في تحول هؤلاء إلى بدو ورعاة ميالين للشر والغدر وفرضت عليهم تلك البيئة حياة الترحال للبحث عن الماء والكلأ.

2.المناخ وتأثيره على المغول :

إن قسوة المناخ هي السمة البارزة في تلك المناطق من آسيا وهو متدرج في حالة السوء والصعوبة حيث يعرف شدة الرياح في معظم أيام السنة ويصعب مواجهتها في بعض الأحيان، كما أن درجات الحرارة تبلغ أعلى مستوياتها[4].

[1]- إبراهيم محمد علي مرجونة: المغول والحضارة الإسلامية، تق: أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية ، 2010، ص 32.

[2]- فؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، ج1، دار النهضة العربية، بيروت، 1980، ص 30.

[3]- علاء الدين عطا ملك الجويني: تاريخ فاتح العالم، تح:محمد عبد الوهاب القزويني، تر: السباعي محمد السباعي، مج 1،ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة ، 2007،ص 62.

[4]- مصطفى طه بدر: محنة الإسلام الكبرى، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999، ص 74.

ويسود المناخ القاري منغوليا وذلك لبعدها عن المسطحات المائية حيث تتراوح درجة الحرارة بين 35° إلى 40° خلال شهور الشتاء وترتفع أكثر من ذلك في شهور الصيف مما يعكس صفة المناخ القاري السائد وتعد "جوبي" التي تشغل النطاق الجنوبي من البلاد من أكبر صحاري العالم القارية امتدادا[1].

3.أبرز مظاهر التضاريس لأراضي المغول:

لقد تنوعت مظاهر التضاريس في إقليم منغوليا من حيث الجبال والسهول والصحاري المنبسطة الواسعة، فالمعروف عن بلاد المغول أنها قليلة الماء كثيرة الجبال صعبة المعيشة، فالجبال تلفها من الأطراف وهذه السلاسل الجبلية متصلة ببعضها حيث تغطي الجهات الغربية والجنوبية الغربية والوسطى والشرقية من منغوليا[2].

ومن أشهر السلاسل الجبلية سلسلة جبال "قراقورم" وهي تبدأ جنوب غرب "شينجيانج" الصين ، وتمتد صوب الشرق حتى شمال التبت ثم تغير اتجاهها إلى الجنوب الشرقي، وتقع قراقورم عاصمة الإمبراطورية المغولية في وسطها تقريبا وهي مدينة في منغوليا على نهر أرخون في وسط آسيا.

وكان للمنخفضات والصحراء حيزا كبيرا في الأراضي المغولية وضمن بيئتها الجغرافية وأشهرها صحراء جوبي وتشغل النصف الجنوبي من منغوليا الذي يمتد في شكل هضبة مموجة السطح، وسكن الأتراك والخطا والمغول أماكن عديدة من الجبال والمرتفعات والمنخفضات ولم يألفوا حياة القرى والمدن[3].

وهناك علاقة ترابط بين البيئة وما كان عليه المغول من صفات فالمناخ الغير معتدل والطبيعة القاسية وصاروا أكثر ميولا إلى الوحشية والهمجية والمزاج المعكر وسرعة الغضب وصقلت أجسادهم واكتسبوا الصبر وسرعة الحركة والبنية الجسمانية والقوة والفروسية والقدرة على القتال[4].

---

[1]- مرجونة: المرجع السابق، ص 43.

[2]- سعد بن محمد حذيفة الغامدي: المغول بيئتهم الطبيعية وحياتهم الاجتماعية والدينية، ط1، المملكة العربية السعودية، 1990، ص 24.

[3]- فتحي سالم حميدي اللهيبي: رياح الشرق دراسة تاريخية شاملة للاحتلال المغولي للعراق، ط1، دار النهضة العربية، لبنان، 2013، ص 25.

[4]- إيمان طلعت عبد الرزاق: المرجع السابق، ص 30.

إن الطبيعة تركت بصمتها عندما تدخلت بشكل كبير في فكر وجسد المغولي واكتسب مهارات خاصة وفي المقابل حمل العديد من المساوئ كالهمجية والوحشية وتحولت معظم حياته إلى قتال مستمر.

ثانيا / أصل المغول :

إن الدارس لموضوع المغول يكاد يجزم بصعوبة تحديد أصل هذا الجنس البشري وذلك لاختلاف المصادر في تحديد الموطن الحقيقي وأصله، فنجد أن مختلف المصادر من فارسية وعربية خاصة اختلفت في تحديد نسب المغول مع اتفاق بعضها في العديد من النقاط ونجدها في الأخير تخلص إلى عدم إخراجه من العنصر التركي .

اتفقت المصادر الإسلامية على أن أصل المغول ينحدر من الأصل التركي فيذكر ابن خلدون أن هذه الأمة من جنس الترك فيقول:" شعوب من الترك وأن الترك كلهم من ولد كومر بن يافث[1]"، ويرجع موطنهم إلى أرض طمغاج[2]، وهو ما وافقه عليه ابن الأثير المعاصر للغزو المغولي حيث يقول:"وهم نوع كثير من الترك ومساكنهم جبال طمغاج "[3]، ونجد في ما أورده ابن الوردي في ذكره لخروج الترك في الحديث الذي روي عن

[1]– عبد الرحمن بن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج5، مر: سهيل زكار، دار الفكر للنشر والتوزيع،بيروت، 2000، ص583؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب،تح: محموج الأرناؤوط، مج7،ط، 1دار ابن كثير، بيروت، 1991، ص 111؛ الذهبي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان: دول الإسلام، تح :حسن إسماعيل مروة، ج2، ط1، دار صادر، لبنان، 1999، ص 124.

[2]– طمغاج : يذكرها القزويني في الإقليم الرابع ويقول بأنها مدينة كبيرة من بلاد الترك ذات قرى كثيرة وموقع هذه بين جبليين في مضيق لا سبيل إليها إلا من ذلك الضيق ولا يمكن دخولها، بينما يذكرها في الإقليم الخامس بقوله :" والمشهور من مدنها مدينة طمغاج وزاد على ذلك بأنها هي من صارت خان باليق المدينة المشهورة. أنظر: القزويني زكريا بن محمد بن محمود: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت،ص 411؛ ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، ط1، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970، ص 164.

[3]– ابن الأثير أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني: الكامل في التاريخ ،مج10،ط4، مر:محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص 401؛ ابن كثير الحافظ عماد الدين أبي الفدا إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي:البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج17،ط1، دار هجر، الجيزة، 1998،ص79؛ ابن خلدون: المصدر السابق،ج5،ص 583؛ المقريزي تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر:السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ص322؛ الملك الأشرف الغساني: العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء و الملوك، تح : محمود عبد المنعم، ج1، دار البيان، بغداد، 1975، ص 370.

النبي صلى اله عليه وسلم والذي رواه أبو صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون الترك قوم وجوههم كالمجان المطرقة، صغار الأعين خنس الأنوف يلبسون الشعر وقيل أن هلاك بني هاشم على أيدي الأتراك الإسلامية وهلاك الأتراك الإسلامية على أيدي الكفرة الترك ، وقيل هم أهل الصين يستولون على الأقاليم"[1]، ويظهر لنا أن هذا الحديث قد حمل دلائل هامة عن أصلهم وموطنهم وحتى معتقدهم وملابسهم.

1.القبائل المغولية :

عرف المغول حالة من الشتات والفوضى قبل عهد جنكيزخان والسمة البارزة في ذلك العهد هي انقسامهم إلى العديد من القبائل المتصارعة فيما بينها "فلم يكن قبل جنكيزخان رئيس أوحاكم وكانت كل قبيلة أو قبيلتين منفصلتان لا تتفقان، النزاع والخصام قائم مستعر"[2]، وشكل الماء والكلأ أهم أسباب الصراع الدامي، وظلت هذه الحالة سائدة إلى حين ظهور جنكيزخان، وانتقلوا من مضايق الشدة إلى بحبوحة النعمة ومن السجون إلى جنة النعيم[3]، ويقدم الصياد وصفا بليغا لهذه الحالة السياسية لتلك القبائل فيقول :" هناك في أقصى الشمال أي على حدود سيبيريا المغولية، وفي إقليم السهوب شمال صحراء جوبي نحو جبال ألتاي وخانجاي وكنتاي بقيت مجموعة كبيرة هي أشبه ما تكون بخلية نحل من حيث تعدد قبائلها[4] وكثرة حركاتها وتنقلاتها من مكان إلى مكان "[5].

1.1.القرغيز :

كانوا يستوطنون أعالي نهر ينسي ولقب أميرهم بخاقان وبرزوا سياسيا سنة 250هـ/ 840م بعد تغلبهم على الايغور وتلقوا هزيمة قاسية من طرف الخطا وقاموابطردهم من منغوليا مع بداية القرن الرابع الهجري العاشر ميلادي وزاولوا النشاط الزراعي إلى أن دخلوا تحت راية جنكيزخان615هـ/1218م.

---

[1]- ابن الوردي سراج الدين: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تح : أبو محمود زناتي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008، ص 428.

[2]- الجويني: المصدر السابق، ص 62.

[3]- نفسه.

[4]- أنظر الخريطة رقم (02).

[5]- الصياد: المرجع السابق، ص 24.

1.2.الأوغوز :

تعرف في اللغة العربية بالغز، وهم من القبائل التي ورد ذكرها في نقوش أرخون[1] في القرن الثاني الهجري الموافق للثامن الميلادي باسم التغزغز بمعنى القبائل العشرة لأنهم كانوا يتألفون من عشرة قبائل.

1.3.الخطا أو القراخطائيين:

خليط من التونغوت والمغول وورد اسمهم في القرن الرابع للميلاد قام الخطا بحملات كبيرة من أجل التوسع فاستولوا على شمال الصين ومن بين الألقاب التي اتخذوها لقب لياو نسبة إلى أحد الأقاليم، وامتد نفوذهم من نهر ينسي شمالا إلى غاية الجنوب، ومن خوارزم غربا إلى بلاد الأويغور شرقا[2].

1.4.التتار :

كانوا يتمركزون في المناطق التي تُحد شمالا بنهري أرخون وسلنجا ومملكة القرغيز، وشرقا بإقليم الخطا وغربا بممالك الأريغور، وجنوبا بممالك التبت ومملكة التانجوت تميزوا بقسوة القلب وفضاضة الخلق وصلابة البدن وغلظ الطباع وعرفوا بحبهم للخصومات وسفك الدماء، وتمكن هؤلاء من إخضاع كل القبائل المناوئة لهم وتمتعوا بشهرة كبيرة بدليل أن القبائل التي تأثرت بهم اتخذوا اسم التتار ولم يهدا صراع تلك الأقوام حتى ظهور جنكيزخان[3]وانقسموا إلى ثلاثة أقسام :

- التتار البيض :ينزلون خارج سور الصين .
- التتار السود : ينزلون شمال صحراء جوبي تميزوا بالطابع البدوي وغلب عليهم الترحال .
- تتار الغابة : عاشوا حول الروافد العليا لنهر أونون وكيرولين ومارسوا الصيد[4].

---

[1]- نقوش أرخون: اكتشفت في النصف الأخير من القرن 19م وتحوي هذه الآثار كتابات عن الأصول الأولى للغة الترك فضلا عن بعض جوانب من تاريخهم. أنظر: محمود محمد الحويري: تاريخ الدولة العثمانية، في العصور الوسطى، ط1، المكتب المصري، القاهرة، 2002، ص 12.

[2]- محمد سهيل طقوش: تاريخ المغول العظام والإيلخانيين، ط1، دار النفائس،بيروت، 2007،ص 21.

[3]- الصياد: المرجع السابق ، ص ص 26، 27.

[4]- السيد الباز العريني: المغول، دار النهضة العربية، بيروت،1981، ص 33 ؛ بيرتولد شبولير: العالم الإسلامي في العصر المغولي، تر: خالد أسعد عيسى، مر:سهيل زكار، ط1،دار إحسان للطباعة والنشر، دمشق، 1982،ص 20.

1.5المغول:

قبيلة مستقلة عن التتار يقطنون في الشطر الشرقي من آسيا الوسطى وفي الشمال الشرقي من الصين على أنهار أولذا وكيرولين وآرخون وأونون، وهذا اللفظ مشتق من كلمة "MONG" الصينية وتعني الباسل الشجاع وقد صار اسم المغول يطلق على الشعوب التي أخضعها جنكيزخان[1].

1.6.قوم كرايت:

يتمركز الكرايت في الجهات الشرقية الداخلية في صحراء جوبي وجنوب بحيرة بايكال إلى غاية سور الصين العظيم، وتميزوا بالقوة واستطاعوا أن يخضعوا أغلب الطوائف في الأطراف وإجبارهم على الدخول تحت نفوذهم وذلك خلال القرن الخامس والسادس الهجري، الحادي عشر والثاني عشر ميلادي، وهم يدينون بالمسيحية .

1.7.قبيلة النايمان:

من الأتراك وقد احتلوا الحوض الأعلى لنهر آرخون ومنحدرات جبال ألتاي وحول البحيرات الواقعة في تلك المناطق ودانوا بالمسيحية، ودخلوا في نزاع مع قبيلة الكرايت واحتك النايمان بالأيغوريين أصحاب الثقافة والعلم، وتفرق النايمان بين المناطق الجبال الوعرة والصحاري[2].

1.8.الجلاير:

عاش الجلايريون في وادي نهري خيلوك وسلنجا وهم من القبائل التركية التي عاشت في منغوليا وخضعت لحكم الدولة المغولية عند قيامها، كما شاركت في تأسيس الدولة الإيلخانية إذ ذكر إسمها مرات عديدة خلال حكم الايلخانيين، وأسس الجلائريون دويلة عرفت بالإيلكانيين أو الجلايرية بعد انقسام الايلخانية في فارس[3].

---

[1]- الصياد: المرجع السابق، ص 27.

[2]- نفسه، ص ص 27- 29.

[3]- شيرين بياني: المغول التركيبة الدينية والسياسية، تر:سيف علي، مر: نصير الكعبي، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، 2013، ص 24؛ شعبان طرطور: الدولة الجلائرية، دار الهداية، 1987،ص7.

1.9.المركيت :يقطنون شمال المنطقة الواقعة شمال الكرايت على مجرى نهر سلنجا وجنوب بحيرة بايكال تميزوا بقوة جيشهم وبأسه في الحروب، وتميزوا بإثارة الفتن والقلاقل، الشيء الذي أثار جنكيزخان وقرر التخلص منهم وأصدر قرارا يقضي باستئصالهم نهائيا فشن عليهم حربا شعواء.

1.10.الأويغور:كلمة تركية بمعنى الارتباط والتعاون، واحتل الأويغور المنطقة الواقعة شمال منغوليا وشمال شرقي تركستان على نهر سلنجا واتخذ زعيمهم لقب "إيدي قوت"، وآلت إليهم الزعامة بعد الأوغوز في القرن الثامن ميلادي، والمعروف أنهم كانوا أكثر القبائل تمدنا وتحضرا وعرفوا كل من المانوية، والبوذية، والمسحية[1] .

2. توحيد القبائل:

إن الطبيعة التي جُبل عليها المغول فرضت ذلك الواقع الاجتماعي المعاش من التفرقة والتناحر بين القبائل، وكان من الصعب بما كان أن نرى مجموعة من القبائل تجتمع تحت راية واحدة وهو ما تفسره هذه المقولة للقرماني"كل طائفة تعد غاراتها وتقصد جاراتها وتلعن أختها وتنهب تختها وتأكل رختها "[2]، ويرأس كل قبيلة شخص يتخذ لنفسه لقبا من الألقاب المتعارف عليها في تلك الفترة، وهناك العديد من المحاولات التي سبقت جنكيزخان التي هدفها توحيد القبائل لكنها باءت بالفشل .

2.1.بروز شخصية جنكيزخان:

لقد نالت شخصية جنكيزخان حيزا كبيرا من الاهتمام والدراسة وذلك بالنظر إلى العمل الذي قام به فهو يعتبر من أبرز الشخصيات البارزة في العصر الوسيط التي استطاعت أن تخلد اسمها بفضل حنكته ودهائه، وتمكن من تأسيس واحدة من أقوى الإمبراطوريات في التاريخ.

1- طقوش: المرجع السابق،ص 20؛ الصياد: المرجع السابق، ص 22.

2- القرماني أحمد بن يوسف: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تح: أحمد حطيط وفهمي سعد، مج1،ط1، عالم الكتب، بيروت، 1996، ص 487.

إن الاسم الحقيقي لجنكيزخان هو "**تيموجين**" و والده يدعى "**يسوكاي بهادر بن برتان بن بهادر**" رئيس قبيلة قيات إحدى القبائل المغولية، ولد جنكيزخان سنة 549هـ/1155م على ضفة نهر أونون في منطقة تسمى "دولون بولداق "[1].

حدثت ولادة جنكيزخان في غياب والده الذي كان يحارب أعدائه من قبائل التتار وزعيمهم تيموجين[2]وبعد عودته منتصرا تم استقباله بابنه الجديد، وتخليدا لانتصاره على التتار سماه تيموجين وأثيرت بعض الروايات عن ولادته وهي ربما من الأساطير التي ارتبطت بتاريخ المغول، وهي أنه عند تفحص يده وجد أنه يقبض على قطعة من الدم[3] .

وعن ولادته يذكر صاحب التاريخ السري نصا:" وأثناء تلك المعارك مع التتار أسر ييسوغي اثنين منهم من التتار يدعيان: تيموجين بوج، وقوري –بوقا وتتار آخرين، وفي تلك الأثناء كانت أوالون زوجة ييسوغي، تحمل طفلا، وعلى نهر الاونان في سفوح جبل ديليون بولداق حيث كانت تقيم وضعت تيموجين (أي جنكيزخان المستقبل)، ولما ولد كان يقبض في يده اليمنى على خثرة دموية، وقد أطلق عليه اسم تيموجين لأنه كان قد ولد في الوقت الذي قبض والده على عدوه تيموجين وأسره"[4].

بعد وفاة والده[5]وهو لا يزال حدث السن– وقيل أنه لم يتجاوز 13 سنة– لقي أشد العناء من الأقارب والأتباع الذين كانوا على راية والده فرفضوا هذا الولد وأعلنوا التمرد والعصيان عليه وامتد ذلك إلى قبيلته

[1]– القلقشندي أبي العباس أحمد:صبح الأعشى في صناعة الإنشا،ج4، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1914، ص ص 305، 306؛ محمد بن شاكر الكتبي: فوات الوفيات والذيل عليها، تح: إحسان عباس، مج1، دار صادر، بيروت،(د.ت)، ص301؛ الصياد:المرجع السابق، ص 39.

[2]– تيموجين: بمعنى الصلب الفائق ومنها تيمورج بمعنى الحداد ومن معانيها الفارس الكامل وهي لفظة الصينية. أنظر: العريني :المرجع السابق، ص 43(هامش1)

[3]– الرمزي: من تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، مج1، ط1، المطبعة الكريمية، أوزبورغ، ص345؛ محمد الصاوي: جنكيزخان فاتح العالم،ط1، مكتبة النافذة، الجيزة، مصر ،2011، ص72.

[4]– مجهول: التاريخ السري للمغول (النص الكامل) كتب بالصينية أيام جنكيزخان، تر:سهيل زكار، دمشق، 2011، ص ص 138، 139.

[5]– عن وفاة والد جنكيزخان أنظر: التاريخ السري للمغول، ص 142.

وأضحي غريبا عنها وضعيفا وكذلك حال إخوته، واستطاعت أمه بما لها من رجاحة عقل وبعد نظر أن توفر بعض ظروف الاستمرار[1]، ولم يكن أمام هذا الفتى إلا أن يقاوم من أجل العيش هو وأمه وإخوته فكان الصيد أول ما قام به تيموجين من أجل أن يحافظ على حياته فالتجأ إلى المراعي القريبة للبحث الطرائد، وفي حالة غياب الفريسة عادة ما كان الشاب تيموجين يبقى من دون أكل لمدة قد تزيد عن الأربعة أيام ومرت الأيام وهو يعاني من شظف العيش.

كان على تيموجين أن يواجه أعدائه من قبائل التانجوت التي عملت على إذلاله فكان في كل مرة ينجو بفضل دهائه ومكره، ولكن نفسه امتلأت كراهية ولم يفكر سوى في طريقة للانتقام وما زاده ألما انفضاض أتباعه من حوله تباعا حتى الذين يكن لهم الاحترام والتقدير لم يقفوا إلى جانبه .

إن النظر في طفولة شباب تيموجين تشد الانتباه فكل التقلبات التي واجهته والتجارب والمحن، بالإضافة الظروف الطبيعية القاسية وتحمله شظف العيش كل ذلك قد أكسبه شخصية قوية جلدة على الأهوال وصنعت منه رجلا صلبا قادرا على تخطي الصعاب، وهناك عبارة للمؤرخ الجوزجاني يقول فيها :"حين قدم خراسان كان في الخمسة والخمسين من عمره، كان رجلا طويل القامة، قوي البنية ضخم الجثة طويل اللحية وله عينان تشبهان عيني القط، وكان في غاية الشجاعة والذكاء والعقل والعلم والهيبة والاستعداد للقتال، كما كان عادلا ومنظما وقاهر للعدو وشجاعا سفاكا للدماء"[2]، نتيجة لهذا أظهر تيموجين القوة والجبروت، وتعلم العديد من المواهب في شبابه قبل أن يبدأ مشروعه فقد أجاد الرماية والصيد ودخل حلبات السباق، وأتقن المصارعة وتفوق على أقرانه وتميز بسرعته الشديدة وبذكائه الحاد .

ولعل أول خطوة قام بها تيموجين والتي تبين نضجه هو إقدامه على مصاهرة أحد رؤساء القنقرات وربما لم يكن هدف هذا الزواج إلا البحث عن حلفاء يتقوى بهم في بداية مشروعه، وانتقل جنكيزخان من حياة التشرذم والهرب إلى حياة أفضل وبدأ نجمه يلمع في وسط القبائل واستطاع بفضل ذكائه وشجاعته أن يجذب اهتمام كبار شخصيات قبيلته، وإخضاع المناوئين له فباتوا يدينون له بالطاعة.

[1]- طقوش: المرجع السابق، ص 26.

[2]- الجوزجاني منهاج السراج: طبقات ناصري، تر: ملكه علي التركي، ج2، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2012، ص 158.

بعد ذلك ركز جهده على القبائل المجاورة وأول القبائل هي التي عانى منها في صغره وهي قبيلة التايجوت فانتصر على زعيمها وأضحى تيموجين يسيطر على مساحة شاسعة تمتد شمال صحراء جوبي، ثم عمل على إخضاع كل جيرانه من القبائل، بعد ذلك كانت وجهته قبيلة كرايت التي يتزعمها أونك خان وهزمه في معركة سنة 599هـ/1202م غنم منها تيموجين غنائم كبيرة بالإضافة إلى الشهرة وانتشار سمعته بين القبائل التي سارعت إلى تقديم فروض الطاعة والولاء ومنها قبائل الأويرات والقنقورات، وقضى تيموجين على "**تاينك خان**" زعيم قبيلة النايمان في معركة سنة 600هـ/1203م[1]، ثم لم يزل يخضع القبائل و يمارس سياسة فرق تسد وبث القلاقل والتأليب بينها حتى حقق هدفه بأن انتصر على القبائل المغولية المتمركزة في منطقة شرقي تركستان وإقليم التبت[2]، وتمكن تيموجين من جمع عدد كبير من القبائل تحت لوائه وتم إعلانه إمبراطورا عليهم وأطلق عليه اسم "جنكيزخان".

وتعتبر سنة 600هـ/1203م هي ميلاد دولة المغول وستتوطد أركانها بعد أول قوريلتاي[3](Qurultai) يعقده جنكيزخان وإعلان دستوره الياسا[4](Yasa) واتخاذه لقب "خان" وذلك سنة 603هـ/1206م .

لقد نال جنكيزخان شهرة واسعة تخطت حدود القبائل التي أخضعها وهذا راجع إلى القوة التي اكتسبها والبطش الذي مارسه على مخالفيه، فحاول الأويغور أكثر الأقوام التركية تمدنا وثقافة والخاضعين لسيطرة القراخطائيين أن يتقربوا من الغازي الجديد بإعلانهم ثورة على القرخطائيين وذهاب زعيمهم ايدي قوت إلى

1- أحمد حطيط: حروب المغول، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، ص 19.

2- الصياد: المرجع السابق، ص 48.

3- القوريلتاي: عبارة عن مجلس عام يدعى فيه أمراء المغول وأقربائهم من أجل النظر أمور الحكم خاصة مثل تنصيب ملك (خان) جديد وكذلك في التشاور في مختلف المسائل وقد تم عقد العديد من هذه المجالس بداية من عهد جنكيزخان عند إعلانه خانا أعظما للمغول وكذلك عندما اجتمع بأولاده بعد نهاية غزواته وتشكل مملكته من اجل النظر في تقسيمها وتعيين خليفته أوكتاي وقد حذا خلفاءه من بعده على عقد هذا المجلس مع كل تنصيب جديد.أنظر: أنظر: ابن العبري:المصدرالسابق، ص 512 ؛ الصلابي: المرجع السابق، ص 98؛فتحي سالم حميدي اللهيبي:المرجع السابق، ص 49؛ حمزة حاجي:"دور مجلس القوريلتاي وقانون الياسا في توحيد القبائل المغولية 603هـ/1206م"، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، ص 119.

4- الياسا: لفظة مغولية معناها الحكم أو القاعدة أو القانون، وتطلق على الحكم الذي يصدره الملك أو الأمير.أنظر: طقوش: المرجع السابق، ص 63.

جنكيزخان ليعلن ولائه وذلك سنة 606هـ/1209م مصحوبا بجملة من الهدايا فلقي الترحيب من المغولي، ومنذ ذلك الوقت صار الأويغور تابعين لجنكيزخان، والواضح أن جنكيزخان استفادة منهم بشكل كبير باعتبارهم ذوي ثقافة عالية مقارنة بالأقوام الأخرى وأهم شيء استغله جنكيزخان في هؤلاء هو استفادته من الخط الأويغوري[1].

2.2.قانون الياسا :

عاشت شعوب الاستبس على مجموعة من القواعد والأعراف لتنظيم حياتها، وبما أن مشروع الدولة غائب عنهم فإن قانون الغاب كان هو السائد والقوي يأكل الضعيف، وانتظرت تلك الشعوب ظهور جنكيزخان الذي حمل معه إستراتيجية محكمة من أجل بناء دولة على أسس ثابتة تستطيع الصمود أمام البداوة الضاربة في تلك الأقوام، فإلى جانب القوة والبطش اللتان حملهما هذا الرجل فإن له ميزة التنظير وسن القواعد والشرائع، فبمجرد إعلانه خانا أعظما ألغى العديد من القواعد والأعراف التي اعتبرها غير صالحة وسطر قانونا صارما شمل جميع نواحي الحياة وهو ما اصطلح عليه الياسا الجنكيزخانية.

وكانت تتضمن شقين الأول يعرف بمجموعة الأقوال والوصايا تدعى بيليك(Billiq) أما الثاني فهو الأحكام والقوانين وهي تحتل المرتبة الأولى من حيث الأهمية فجنكيزخان كان يقول:" بعد خمسمائة سنة، وبعد ألف سنة وبعد عشرة آلاف سنة إذا حفظ خلفائي هذا الدستور ولم يبدلوه شيئا... فسترعاه السماء وسترسل إليهم البركة"[2]، وعموما هي مزيج من إرادته الخاصة وأكثر العادات القبلية ملائمة[3]، كما تعرفبأنها لفظة مغولية معناها الحكم و القاعدة أو القانون.

والحقيقة أنه لا يوجد غموض حول فحوى القانون في حد ذاته فهو مجموعة من القوانين التي ابتدعها جنكيزخان وسار عليها هو ومن جاء بعده من خلفائه، ويقول الجويني مؤرخ المغول عن القوانين التي سنها جنكيزخان :" ... فقد وضع لكل أمر قانونا ولكل مصلحة دستورا، واستن لكل ذنب حدا وعقابا"[4]،

1- الصياد :المرجع السابق، ص 51.

2- بياني: المرجع السابق، ص 32.

3- Harold lamb, GenghisKhan The Emperor of All Men, thornton butter worth, london, p73.

4- الجويني: المصدر السابق، ص65.

وعرفها القلقشندي على أنها قوانين خمنها من عقله وقررها من ذهنه رتب فيها أحكاما ... سماها بالياسا الكبرى[1]، وكان الاختلاف حول لفظ الياسا فاختلفت الآراء التي تناولت هذا المصطلح فكل أدرج لها لفظ لكن المدلول واحد وهناك العديد من المصادر التي تطرقت إلى هذا المفهوم.

فنجدها وردت في المصادر المملوكية بأشكال متباينة، منها "الساسا" و"الياسة" و"الآسة"، حيث ذكرها المقريزي بمصطلح السياسة التي جاء بها جنكيزخان القائم بدولة التتر في بلاد الشرق لما غلب الملك أونك خان وصارت له دولة وقواعد وعقوبات أتبثها في كتاب "ياسة"[2].

وأوردها ابن العميد باسم الأسة :"...وكان ملكهم الكبير جنكز خان،رجلا جبارا عنده مكر ودهاء وتحيّل عظيم فعمل لهم شريعة وسماه الأسة وأمرهم بالوقوف عند أوامرها ونواهيها ومن تعدى ما فيها يقتل ورتب عرفاء ومقدمين على الألوف والمئين والعشرات وأمرهم في الأسة أن يبذلوا السيف في أهل البيت التي تملكوها[3].

وجاء في كتاب "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب: "واتفق أن ملكهم جنكيزخان المعروف بتيموجين وضع لهم ضوابط يدينون بها ويعملون بمقتضاها يسمونها "الآسة"[4]،ويمكن إجمال هته الشرائع في أمور ثلاثة: الخضوع لجنكيزخان، والاتحاد في بنية واحدة، و العقاب الصارم لكل مخطئ[5].

ثالثا / التوسع المغولي :

سعى جنكيزخان في بداية الأمر إلى السيطرة على القبائل المجاورة والقضاء على الفارين، ولا تكاد أن تكون الحملات الأولى مجرد حملات الهدف منها الضرب على أيدي العصاة والمتمردين، وهذا عكس الحملات الموجهة إلى الغرب فإن هدفها هو إخضاع المناطق المجاورة، وسرعان ما تحولت إلى حرب منظمة تخضع

[1]– القلقشندي: المصدر السابق، ص 310.

[2]– المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تح : محمد زينهم –مديحة شرقاوي، ج3، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998، ص 83.

[3]– ابن العميد مِكين جرجس:أخبار الأيوبيين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ،(د.ت)، ص07.

[4]– ابن واصل جمال الدين محمد بن سالم: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تح :حسنين وسعيد عبد الفتاح عاشور، ج4، مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية، مصر، ص ص 36، 37.

[5]– أحمد حافظ حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر العربي، ص 128.

لإستراتيجية دقيقة منظمة[1] تدل على حنكة عسكرية لشخصية جنكيزخان، ومن أجل التعرف أكثر على هذه الشخصية العسكرية والإستراتيجية التي اتبعها ارتأيت أن أتتبع الخطوات التي قام بها جنكيزخان في عملياته العسكرية فاقتضت خططه في الغالب القضاء على الحلقات الأضعف لأعدائه مثلما فعل مع مملكة التانغوت عندما كان متوجها نحو الصين الشمالية وكذلك اقتضت خططه المهاجمة بأكثر عدد ممكن من الجيوش ومن جهات مختلفة وفي نفس الوقت معتمدا على خفة مقاتليه وانضباطهم الفائق، وكذا مارس جنكيزخان أسلوب الحصار معتمدا على الصبر والترقب فكانت نتيجة هذه الإستراتيجية أن زحفت جيوشه على الصين وبلاد ما وراء النهر، وإسقاط المناطق الواحدة تلوى الأخرى.

1.حملات جنكيزخان على الصين:

بعد إتمام مشروعه الداخلي صارت الصين[2] أول أهدافه باعتبارها الهدف الأقرب والمجاور له بالإضافة إلى الخطر الذي كان يشكله حكامها الذين لم يتوقفوا عن تحريض القبائل المجاورة[3]، قام جنكيزخان بثلاث حملات على مملكة التانغوت لأنها المملكة الأضعف من بين الممالك التي تقاسمت النفوذ والسلطة في الصين، وذلك من أجل هدف استراتيجي وهو تحكمه في الطريق الذي يربط الصين بتركستان، فنلاحظ أنه كثف هجماته بغية السيطرة عليها ففي مدة أربع سنوات من 602هـ/1206م إلى غاية 606هـ/1209م[4]استطاع أن يحكم قبضته عليها ولم يبق له سوى عاصمة المملكة التي ضرب عليها الغازي المغولي حصارا طويلا ولم يرفع هذا الحصار حتى أذعن له حاكمها وقبل الانطواء تحت سيادة جنكيزخان ودفعه الضرائب، وبهذه النتيجة أصبح جنكيزخان على مشارف أملاك أسرة كين، ومن أجل أن يرسخ وجوده في هذه المناطق كان لزاما عليه أن يبادر بالهجوم على الصين وأن لا يركن إلى الراحة وهو يعلم بأن مملكة كين تختلف عن سابقتها من حيث القوة والاستماتة وبالفعل فقد واجه جنكيزخان صعوبات عديدة، فالصينيون محصنين بالسور العظيم، وجيشلم يخبر بعد الحصار الطويل مما جعله يفكر في خطة بديلة للولوج إلى هذه البلاد وكانت خطته تقتضي التحالف

[1]- العربني: المرجع السابق، ص 63.

[2]- الصين: كانت مقسمة بين أسرتين حاكمتين أسرة كين الذين كانوا يرأسون طوائف من الجنس الأصفر ويسيطرون على ممالك الخطا (الصين الشمالية) واتخذوا من بكين عاصمة لهم والقسم الجنوبي الذي تحكمه أسرة سونج واتخذوا من هانج تشو عاصمة لهم.أنظر:الصياد:المرجع السابق، ص 21.

[3]- نفسه، ص 51.

[4]- أحمد حطيط:المرجع السابق، ص 21.

مع ملك قبائل الأونغوت[1] المتمركز في المناطق الشمالية لسور الصين ذات الموقع الاستراتيجي المهم، ونجح في عقد هذا التحالف وثبته بعقد قران إحدى بناته من الملك الأونغوتي هذه الخطوة التي أقدم عليها القائد المغولي مكنته من وضع قدم في الأراضي الصينية دون أدنى جهد حربي يذكر وبهذا التحالف والمصاهرة كسب أحد حراس ما وراء سور الصين وأوصل حدود دولته إلى الخطوط الأمامية من أعدائه مما يسهل عليه مراقبة تحركاتهم.

وما إن حل العام 607هـ/1211م حتى حشد جنكيزخان جيشا جرارا على ضفاف نهر كيرولين من أجل تنفيذ هجومه الحاسم على العاصمة بيكين، وأسفرت تحركاته عن خراب كبير للبلدان التي مر بها وانتهت بوصوله إلى شمال الصين لكن ما كان يصبو إليه الغازي المغولي من هذا الهجوم لم يتحقق كلية ولم ينجح جيشه في إسقاط المدن الرئيسية.

لقد أعاد جنكيزخان الكرة للمرة الثانية في العام 610هـ/1213م وهدفه هذه المرة السيطرة على موقع هام واستراتجي وهو يتمثل في السيطرة على الطريق الرابط بين بكين وكالجان فعمل على إسقاط المدن الحصينة الموجودة على هذا الطريق وتمكن من النجاح في ذلك وأول مدينة سقطت هي هسوان – هوا ثم تلتها عديد المدن وتقدم جنكيزخان بجيشه إلى أن سيطر على الطريق المؤدية إلى الأراضي الصينية[2].

وشن جنكيزخان الهجوم الأخير للإطباق على العاصمة كين من ثلاث محاور بثلاثة جيوش أولهم قاده بنفسه وبرفقة ابنه تولوي أما الثاني فأوكل قيادته لأولاده الثلاثة جوجي وجغتاي وأوكتاي وثالث جيش قاده شقيقه جوجي قاسار[3] انتهى بإسقاط بكين سنة 612هـ/ 1215م[4].

---

[1]– قبائل متمركزة بالقرب من صور الصين (في منغوليا الداخلية الحالية).أنظر: أحمدحطيط: المرجع السابق، ص 22.

[2]– نفسه، ص ص 23، 24.

[3]– جوجي قاسار: قاسار معناه السبع وأطلق عليه هذا اللقب لما اتصف به من قوة كبيرة وبطش شديد، كان متفقا ومتحدا مع أخيه جنكيزخان ولكنه انفصل عنه عندما كان في حربه مع أونك خان غير أن عاد وقاتل في صفوف أخيه في حربه مع زعيم النايمان تايانك خان وتولى قيادة قلب الجيش .أنظر:الصياد: المرجع السابق، ص 40.

[4]– العريني: المرجع السابق، ص ص 65، 66؛ أحمد حافظ حمدي: المرجع السابق، ص 130؛أحمد حطيط: المرجع السابق، ص ص 27، 28؛ الصياد: المرجع السابق ،ص 52.

2.الحرب على الخوارزميين :

إن النتيجة الحتمية لتوسع جنكيزخان هو الاصطدام بالدولة الخوارزمية[1] خاصة بعد قضائه على عدوه **كوجلك خان** وهنا اصطدم جنكيزخان بالقوة الخوارزمية في إحدى المعارك التي أُعتبرت سوء تقدير من طرف الجيشين[2]وبهذا الاصطدام بدأت بوادر العلاقة التجارية بين الطرفين والتي يعتقد منها أنها محاولة جس النبض من الجانبين لمعرفة القوة التي يمتلكها كل طرف، ثم تطورت العلاقة بين الطرفين عن طريق المراسلات بين جنكيزخان والسلطان الخوارزمي علاء الدين خوارزمشاه[3]انتهت في الأخير بعقد معاهدة تجارية تقضي بتبادل القوافل التجارية ويمكن القول أن الخوارزميين أرغموا على عقد هذه المعاهدة لاتقائهم قوة المغول لما وصل إليهم من أخبار قوتهم وجبروتهم[4].

لم يكن في نية جنكيزخان غزو الدولة الخوارزمية على الأقل في الفترة التي كان يحارب فيها الصينيين فكان في حاجة إلى تأمين الجهة الغربية من خلال حصوله على ما يحتاجه شعبه ومقاتليه من الحبوب والألبسة والسلع، فعمل على إقامة علاقة تجارية مع الخوارزميين تقضي بتبادل السلع، غير أن التهور الخوارزمي قضى

[1]– الدولة الخوارزمية : تنتسب هذه الدولة إلى نوشتكين أحد الأتراك في بلاط ملكشاه السلجوقي حيث كان يشغل وظيفة الساقي (الطشت دار) ودرج في سلك الوظائف في عهد ملكشاه إلى أن تم تنصيبه حاكما على إقليم خوارزم سنة 490هـ/1096م من طرف السلطان السلجوقي بركياروق وتلقب بلقب خوارزم شاه.أنظر: عفاف سيدصبرة: التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، ط1، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، 1987،ص ص 35، 36.

[2]– لقد حدث صدام بين الجيشين وذلك قبل ثلاث سنوات من قضاء المغول على كوجلك. أي سنة 612هـ / 1215م حيث حدثت مناوشات بين المغول والخوارزميين عندما سار السلطان الخوارزمي محمد خوارزم شاه شمالا ليحارب المركيت الفارين من منغوليا ونزلوا في القفجاق فتصادف مع جيش جوجي بن جنكيزخان الذي كان بدوره يتعقب المركيت فأراد خوارزم شاه أن يتخلص من الاثنين معا. أنظر :الصياد:المرجع السابق، ص 95.

[3]– خوارزمشاه: علاء الدين محمد بن علاء الدين تكش بن أرسلان أطسز بن محمد بن أنوشتكين، وكانت مدة حكمه 21 سنة وشهورا، ملك من حد العراق وتركستان وبلاد غزنة وبعض الهند، وطبرستان وسجستان وكرمان وبلاد الجبل وفارس.توفي سنة 617هـ/1220م. أنظر:ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر، تح: أحمد رفعت البدراوي، دار المعرفة، بيروت، 1970، ص 222.

[4]– أحمد حافظ حمدي: المرجع السابق، ص 81.

على هذه العلاقة عندما أعلن جنكيزخان اجتياحه لها بعد ما تعرض له تجاره على يد عامل أترار[1] إينال خان[2] ويعرف باسم غاير خان الخوارزمي سنة615هـ/1218م عندما قام بقتلهم، وبهذا قضى على تلك الاتفاقية التجارية فطلب الزعيم المغولي من نظيره الخوارزمي أن يسلمه عامل أترار ليلقى عقابه[3]، لكن خوارزم شاه رفض ذلك وقتل أحد رسل جنكيزخان، ومثل هذه الفعلة لا يمكن أن تمر دون عقاب أوانتقام وقال جنكيزخان: "لا يمكن أن يكون هناك شمسان في السماء، أو اثنان خانات على الأرض"[4].

ويعد تاريخ 616هـ / 1219 م بداية لتداعي الأقاليم والمدن الخوارزمية أمام الغزاة المغول، وكانت أوترار واقعة على ساحل سيحون أول مدينة سقطت أمام الجيش المغولي بعد صمود دام خمسة أشهر كاملة وقاتل حاكمها إينال خان قتالا كبيرا في قلعتها قبل قتله فكانت نهايته على أيدي المغول وتمت السيطرة على هذه المدينة مع أعمال وحشية قام بها الغزاة لا توصف[5].

واستمر الزحف المغولي على باقي المناطق والمدن التي حددت في خطة جنكيزخان وأخضعتها أقسام الجيش التي حددها جنكيزخان فسقطت مدينة جند سنة 617هـ/ 1220م، وتم الاستيلاء على مدن بنكات وخجند في نفس السنة[6].

---

[1]- أترار: وهي ذاتها مدينة أطرار بند أو طرار وكانت تسمى سابقا فاراب او باراب وهي مدينة من وراء نهر سيحون من أقصى بلاد الشاش مايلي تركستان وتعد أترار من الولايات التابعة للخوارزميين وهي تعتبر نقطة التقاء الطرق التجارية بين شرق آسيا وغربها.أنظر: سعاد هادي حسن الطائي: المرجع السابق، ص18(هامش44) ؛ طقوش: تاريخ المغول العظام والايلخانيين، ص 56.

[2]- ويعرف باسم غاير خان وقيل انه ابن خال السلطان خوارزم شاه وقيل انه خاله .أنظر:أحمد حطيط : المرجع السابق، ص 29.

[3]- نفسه.

[4]- Harold lamb: OP cit, p 117

[5]- الجويني: المصدر السابق، ص ص 112، 113؛ ابن العبري:تاريخ مختصر الدول، تصحيح وفهرسة أنطوان سامحاني اليسوعي، ط2، دار الرائد اللبناني ،لبنان،1994 ، ص 402؛ أحمد حافظ حمدي: المرجع السابق، ص ص 138، 139.

[6]- الجويني: المصدر السابق، ص 117؛ طقوش: تاريخ المغول العظام والايلخانيين، ص 60.

2.1.سقوط بخارى:

تقدم جيش على رأسه جنكيزخان وابنه تولوي مهمته إسقاط بخارى[1]، واتجه نحو المدينة وفي طريقه أخضع العديد من المدن التي صادفها في طريقه تاركا نائبا له فيها، وقد بدأ حصار بخارى سنة 616هـ/ 1219م وعند وصوله كانت قد أخذت احتياطها وبلغ عدد مقاتليها عشرين ألفا[2].

وعمل المغول على تكثيف هجماتهم لأيام متتالية فلم تستطع القوة التي كلفها السلطان بالدفاع عن المدينة التحمل، وما هي إلا فترة حتى خارت قواهم ولم يعد لهم قوة كافية لمواجهة المغول فسلموا المدينة لجنكيزخان مع طلب الأمان فأجابهم إلى ذلك وفتحت أبواب المدينة وكان ذلك في نفس السنة التي بدأ فيها الحصار 616هـ/1219م[3]، وبعد الاستيلاء على القلعة طلب من السكان مغادرة المدينة دون أخذ أي شيء سوى الملابس التي كانوا يرتدونها وبمجرد إجلائها سلمها المغول إلى نهب منهجي مما أسفر عن مقتل جميع أولئك الذين بقوا هناك[4]، وبذلك سقطت إحدى الحواضر الإسلامية وكان يوما عصيبا على أهلها وزالت آثار مدينة العلم والحضارة وبكى الناس بحرقة شديدة ولا نجد وصفا لذلك الموقف إلا ما قاله ابن الأثير " ... وكان يوما عظيما من كثرة البكاء من الرجال والنساء والولدان وتفرقوا أيدي سبا، وتمزقوا كل ممزق واقتسموا النساء أيضا،وأصبحت بخارى خاوية على عروشها كأن لم تغن بالأمس..."[5].

---

[1]- بخارى: من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها قاعدة ملك السامانية طولها سبع وثمانون درجة وعرضها إحدى وأربعون درجة وهي في الإقليم الخامس. أنظر :الحموي شهاب الدين أحمد أبو عبد الله ياقوت الرومي :معجم البلدان،ج1، دار صادر، بيروت، 1977،ص 353.

[2]- ابن العبري: المصدر السابق، ص407؛ الكتبي: المصدر السابق، ص 301.

3- أحمد حافظ حمدي: المرجع السابق، ص 143؛ أرمينوس فامبري: تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، تر: أحمد محمود الساداتي، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ص 170؛ العريني: المرجع السابق، ص 123؛ بياني: المرجع السابق، ص 70.

4- Rene' Grousset : le Conquérant du du monde (vie de Gengis-Khane), chicoutini, quebec,2006, p 334.

[5]- ابن الأثير : المصدر السابق، ص 405.

2.2.سقوط سمرقند:

بعد سقوط بخارى سار الغازي المغولي قاصدا قصبة ماوراء النهر سمرقند[1]وسلك طريق وادي زرفشان ومعه من الأسرى العدد الكبير من أجل استخدامهم في الأعمال العسكرية، وفي طريقه لم تصادفه مقاومة كبيرة[2]، تقدم نحو سمرقند التي ذكرت المصادر أنها محصنة بمن يدافع عنها من الجنود وبلغ تعدادهم مائة وعشرة آلاف وهذا حسب ابن العبري والجويني[3]غير أن ابن الأثير يذكر خمسين ألفا " وأحاطوا بالبلد وفيه خمسون ألف مقاتل من الخوارزمية"[4]هذه الأرقام يجب الوقوف عندها فالبون شاسع بين الروايتين المذكورتين، فلو كان الاختلاف حول عشرة آلاف أو أقل لما اعتبر اختلافا كبيرا، لكن أن يكون ستون ألفا فهناك مبالغة كبيرة، وهناك أمر آخر فالجويني وابن العبري قد يكونا ذكرا العدد الموجود داخل القلعة من الفرسان والعامة بينما ابن الأثير فذكر المقاتلين بخمسين ألفا وأضاف عبارة قال فيها أن "عامة البلد لا يحصون كثرة".

أمر جنكيزخان قواته بالتقدم نحو المدينة وواجههم مجموعة من أهل المدينة[5]، وحسب ابن الأثير لم يكن بينهم من الفرسان الخوارزميين الكثير: "ولم يخرج معهم من العسكر الخوارزمي أحد لما في قلوبهم من خوف هؤلاء الملاعين" واشتبك هؤلاء مع المغول إلى أن انهزموا وفي اليوم الرابع ظهر قاضي المدينة يتبعه كبار رجال الدين وذهبوا إلى معسكر جنكيزخان ليعرضوا عليه تسليم المدينة بشرط تأمينهم على حياتهم فأجابهم إلى ذلك لكن بمجرد أن فتحت أبواب المدينة حتى أعملوا في أهلها القتل والسبي والنهب فالمغول لا عهد لهم ولا ميثاق[6]ووصف ابن الأثير الأمر فقال :" فلما كان اليوم الرابع نادوا في البلد أن يخرج أهلها جميعا ومن تأخر قتلوه فخرج جميع الرجال والنساء والصبيان ففعلوا مع أهل بخارى[7] من النهب والقتل والسبي والفساد ودخلوا

[1]– سمرقند: بفتح أوله وثانيه ويقال لها بالعربية سمران وهو قصبة الصغد بلد معروف مشهور بما وراء النهر. أنظر:الحموي: المصدر السابق، ص 246.

[2]– أحمد حطيط: المرجع السابق، ص 34؛ العريني : المرجع السابق، ص 123.

[3]– ابن العبري: المصدر السابق، ص 408؛ الجويني: المصدر السابق، ص 140.

[4]– ابن الأثير: المصدر السابق، ص 405.

[5]– طقوش: تاريخ المغول العظام والايلخانيين، ص 63.

[6]– أحمد حافظ حمدي: المرجع السابق، ص 147.

[7]– في الأصل سمرقند وليست بخارى لأن بخارى سقطت قبل سمرقند والمؤلف في صدد ذكر سقوط سمرقند .

البلد فنهبوا ما فيه وأحرقوا الجامع ..."[1]وبسقوط سمرقند تحت سيطرة المغول فإن جنكيزخان قد اخضع ما وراء النهر[2].

بعد سيطرته على المدن السابقة الذكر انهارت كل الخطوط الدفاعية التي عول عليها الخوارزميين وأصبحت الأبواب مفتوحة أمام جنكيزخان من أجل إخضاع باقي المدن والقلاع دون أي عناء غير أنه كان يعلم جيدا أنه لن تتم السيطرة نهائيا على أملاك الخوارزميين إذا ما لم يتم التخلص من علاء الدين خوارزم شاه الذي خارت قواه مثلما حدث مع مقاتليه ولاذ بالفرار[3].

وأوكل جنكيزخان من أجل ذلك أهم قائدين في جيشه وهما "سوبوتاي"، و"جبيي"اللذان عملا على تتبع السلطان خوارزمشاه وقاما بإخضاع المدن والقلاع التي كانت في طريقهما ومن بين المدن[4]التي خضعت لسيطرت المغول وهم في إثر السلطان الخوارزمي[5]نيسابور[6].

أما خوارزم شاه فإن السبل قد ضاقت به فقرر اللجوء إلى جزيرة بابسكون (آب سكون)[7]جنوبي بحر قزوين ومكث هناك معدوم الحال إلى أن مات[8] غير أن الآراء تضاربت حول موته فحسب ابن الأثير الذي

---

[1]- ابن الأثير: المصدر السابق، ص 406.

[2]- الجويني: المصدرالسابق، ص 146؛ فامبري: المرجع السابق ، ص 175؛ بياني: المرجع السابق، ص 72.

[3]- Rene' Grousset : Op cit, p348.

[4]- هذه الطائفة من المغول التي عملت على تتبع خوارزم شاه عرفت باسم التتر المغربة لأنها سارت نحو غرب خراسان وهي التي كانت لها مهمة التوغل في هذه الجهات ومن بين المدن التي استولت عليها هذه الطائفة مازندران و الري وهمذان سنة 617هـ . أنظر :ابن الأثير: المصدرالسابق، ص 406.

[5]- أحمد حافظ حمدي: المرجع السابق، ص 149.

[6]- نيسابور: إحدى المدن الكبرى في إقليم خراسان سميت كذلك نسبة إلى الملك الساساني سابور الثاني الذي جدد بناءها في المائة الرابعة بعد الميلاد . أنظر :كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ، تر: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة ، ص 424.

[7]- باب سكون: وتعرف بآب سكون .جزيرة صغيرة على بحر قزوين اشتهرت في التاريخ بأنها آخر مكان لجأ إلها علاء الدين خوارزم شاه.أنظر لسترنج : المرجع السابق، ص78.

[8]- المقدسي أبي شامة: الذيل على الروضتين،تع:إبراهيم شمس الدين،ج5،ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 2002، ص185؛ابن كثير: المصدر السابق، ج17، ص 92؛أحمد حطيط: المرجع السابق، ص 35.

ذكر "أنه عدم لا يعرف خبره فتارة يقال مات في همذان وأخفي موته وتارة داخل أطراف بلاد فارس ... وتارة يقال عاد إلى طبرستان (مازندران) فركب البحر وتوفي في جزيرة هناك"[1].

ويذكر أنه قبل وفاته عهد لابنه جلال الدين منكبرتي[2] بخلافته لما له من القوة والمقدرة على تسيير الأمور بعدما كانت لابنه قطب الدين أزلاغ شاه.

2.3.إخضاع خوارزم:

كانت خطوة جنكيزخان الموالية إخضاع إقليم خوارزم وعاصمة الخوارزميين جرجانية[3] وانتدب لهذه المهمة ابنيه جغتاي وأكتاي وجهزهما بجيش كبير وأمر توشي(جوجي) بأن يدعمهم بجيش أخر فاتخذا طريق بخارى وعند وصول "جغتاي" و"أكتاي"حاصروا المدينة وراسلوا أهلها من أجل الاستسلام والطاعة، وحين التف الجيش راحوا يعدون آلات الحرب من أخشاب وحجارة ومنجنيق وما إن انتهت تحضيراتهم حتى أطبقوا على المدينة من كل الجهات وفي وقت واحد، وانهمرت السهام والحجارة والأخشاب وما هو إلا وقت يسير حتى وضع المغول رايتهم على الحائط واعتلى المحاربون القلعة وانهمروا كسيل فتزلزلت بهم الأرض من قوتهم وأصواتهم فأحرقوا ودمروا كل ما في طريقهم، ولم تجد المقاومة والشجاعة التي أظهرها أهل المدينة بشيء فما هي إلا أيام حتى تهاوت من جراء الضربات المتلاحقة واستولى المغولي عليها و يقول الجويني في هذا الباب :" ثم استولى المغول على المدينة حيا حيا ،وبيتا بيتا وهدموها وقتلوا جميع الخلق بها حتى تمكنوا من الاستيلاء علبها

[1]– ابن الأثير: المصدر السابق، ص 411.

[2]– جلال الدين منكبرتي: هو الابن الأكبر لعلاء الدين خوارزم شاه إلا انه لم يعهد إليه بولاية العهد في حياته بل جعلها في ابنه الأصغر أزلاغ شاه غير أنه عدل عن هذا القرار وهو على فراش الموت سنة 617هـ/1220م حيث أوصى بها لجلال الدين نظرا لشجاعته وإقدامه. انظر: النسوي محمد بن أحمد: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تح: حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1953، ص120؛ عفاف سيد صبره: المرجع السابق، ص 191.

[3]– جرجانية: مدينة عظيمة وهي قصبة إقليم خوارزم ويقال لها "كُركانج" وتقع على شاطئ جيحون وقال عنها الحموي انه رآها سنة 616 هـ قبل غزوها من طرف المغول وتدميرها وقال بأنه لم يظن أنه رأى أعظم منها. أنظر: الحموي: المصدر السابق، مج 2، ص 122.

بتمامها"[1]،وبسقوط إقليمي ما وراء النهر وخوارزم استطاع المغول أن يحيطوا كلية بخراسان ليسهل عليهم أمر إخضاعها دون عنا كبير فتداعت أمامهم مدن وقلا ع هذا الإقليم تباعا.

2.4.الاستيلاء على خراسان :

لم يعد هناك ما يحول بين الغزاة وخراسان[2]سوى المسافة التي يقطعها هؤلاء باتجاه مدن وقلا ع هذا الإقليم، فبسقوط كل الأقاليم السابقة أصبحت خراسان قاب قوسين أو أدنى من السقوط، وبعد خضوع كل من ترمذ ونخشب[3] عبر جنكيزخان سنة 617هـ/1220م نهر جيحون قاصدا بلخ[4] الواقعة على الضفة الغربية لهذا النهر، فما إن وصل جيش المغول حتى أعلنت المدينة استسلامها فأمنهم جنكيزخان ولم يقم المغول في البداية بالأعمال المعهودة من القتل والنهب ووضعوا فيها حامية[5]ومضوافي طريقهم وهم يقتادون معهم الأسرى من الرجال من أجل استعمالهم في القتال[6]حتى وصلوا إلى الطالقان[7].

أسند جنكيزخان مهمة غزو خراسان إلى سبعين ألفامن المقاتلين بقيادة ابنه تولوي[8]وبدأ مهمته بحصاره لمدينةنسا[9]دام خمسة عشر يوما وانتهى بمجزرة كبيرة ودمار هائل، ثم انتقل الغزاة بعد سقوط نسا إلى حاضرة

[1]- الجويني : المصدر السابق، ص ص 148، 149.

[2]- خراسان: بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق وآخر حدودها مما يلي الهند طخرستان وغزنة وسجستان وكرمان وتشمل مرو نيسابور وهراة . أنظر : الحموي: المصدر السابق، مج2، ص 350.

[3] - بياني: المرجع السابق، ص 74.

[4]- بلخ : مدينة مشهورة بخراسان ومن أجل المدن وأكثرها خيرا وأوسعها غلة . المصدر نفسه، مج2، ص 479.

[5]- العريني: المرجع السابق، ص 130.

[6]- ابن اثير: المصدر السابق، ص 419.

[7]- الطالقان: بلدة من خراسان بين مرو الروذ وبلخ وهي مدينة في مستوى الأرض ولها نهر كبير وبساتين أنظر: الحموي: المصدر السابق، مج4، ص6.

[8]- الصياد: المرجع السابق، ص 129؛Rene' Grousset : Op cit, p362

[9]- نسا:مدينة بخراسان بينها وبين سرخس يومان وبينها وبين مرو خمسة أيام.أنظر :الحموي، المصدر السابق، مج 5،ص 281.

خراسان مرو[1] وهدموها سنة 618هـ/1221م ويصف ابن الأثير هول الأحداث في هذه المدينة فيقول :" ...أمر أن يخرج أهل البلد منه بأهلهم فخرجوا ولم يبق فيه أحد فجلس على كرسي من ذهب وأمر أن يحضر أولئك الأجناد الذين قبض عليهم فأحضروا وضربت رقابهم والناس ينظرون إليهم ويبكون . ... فكان يوما مشهودا من كثرة الصراخ والبكاء والعويل وأخذوا أرباب الأموال فضربوهم وعذبوهم بأنواع العقوبات في طلب الأموال ... ثم احرقوا البلد وأحرقوا تربة السلطان سنجر ونبشوا القبر طلبا للمال فبقوا ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع أمر بقتل أهل البلد كافة وقال هؤلاء عصوا علينا فقتلوهم أجمعين وأمر بإحصاء القتلى فكانوا نحو سبعمائة ألف قتيل"[2]واجتاحوا نيسابور ودمروها ثم توجه تولوي إلى هراة وضرب عليها حصار دام ثمانية أيام وانتهى بسقوطها وبسقوطها أصبحت خراسان بكاملها تحت قبضة المغول وتولوي الذي واصل طريقه متجها نحو الطالقان لملاقاة والده في أعالي جيحون[3].

2.5.المغول وجلال الدين منكبرتي:

لم يتوقف المد المغولي عند خراسان فالأوامر التي أصدرها جنكيزخان تقضي بالقضاء على كل أملاك الخوارزميين وتعقب حكامهم أينما كانوا[4]، لذا نجد أن المغول اصطدموا بشخصية جلال الدين الذي خلف والده على ما تبقى من أملاك الخوارزميين بالإضافة إلى ما استطاع أن يسترجعه من السيطرة المغولية وهو ما نتج عنه ظهور العديد من المواجهات بين الطرفين، وتعتبر غزنة[5]ساحة لهذه المواجهات لأنها كانت تحت حكم جلال الدين من طرف والده وغادرها بطلب منه ليكون إلى جانبه في حروبه نظرا لما تميز به من شجاعة وبطولة غير أنه عاد إليها بعد هجوم المغول على خوارزم ومر بالعديد من المناطق بداية بنسا ثم نيسابور وبوصوله إلى غزنة سنة 618هـ/ 1221م لقي استقبالا حارا من طرف أهلها على ما ذكره النسوي"وتباشر

[1]– مرو: مرو الشاهجان اشهر مدن خراسان وقصبتها طولها سبعوستون درجة وعضها أربعون درجة.أنظر:نفسه،مج5، ص ص 112، 113.

[2]– ابن الأثير: المصدر السابق، ص 420.

[3]– أحمد حطيط: المرجع السابق، ص 37.

[4]– الصياد: المرجع السابق، ص 129.

[5]– غزنة: مدينة عظيمة، وولاية في طرف خراسان وهي الحد بين خراسان والهند خبراتها واسعة وتتميز ببردها الشديد.أنظر: الحموي: المصدر السابق، مج 4،ص 201.

الناس تباشير الصوام بهلال الفطر"[1]وانضم إليه جموع عديدة من المحاربين وبعودته تمكن من جمع شتات الجنود الخوارزمية حتى بلغ عدد الذين دخلوا تحت رايته قرابة الستين ألف من المشاة وسبعين ألفا من الخيالة، ولنا وقفة عند هذا الرقم الذي وجدناه مذكور عند الصياد وهو رقم فيه كثير من المبالغة لان هذا الرقم لم نجد له ذكر في مختلف المصادر والمراجع فمن المصادر النسوي الذي ذكر من بين جيوش الأمراء المنضمين للسلطان جلال الدين ما عدده زهاء ثلاثين ألفا بالإضافة إلى ما كان معه حتى بلغ التعداد كله ستين ألفا[2]، وذكر ابن الأثير ستين ألفا من الذي نجوا من جيش أبيه[3].

وصلت استعدادات السلطان جلال الدين منكبرتي وتحركاته في إقليم غزنة إلى جنكيزخان فقام بالتقدم نحوه وفي طريقه فرض حصارا على قلعة باميان، وقد استطاع الجيش المغولي تخريب القلعة وإزالة معالمها والقضاء على كل من فيها وحتى الدواب والأجنة لم تسلم من ذلك وتركوها أرضا قفرا آهلة من السكان وأطلقوا عليها اسم "ماو باليغ" أي مدينة البؤس[4]، في هذه الأثناء كان جلال الدين قد حقق انتصارا غير متوقع على إحدى الفرق المغولية في منطقة تسمى بيروان[5] شمالي غزنة فوجه إليه جنكيزخان جيشا آخر مؤلفا من ثلاثين ألف مقاتل ودامت المعركة يومين كاملين انتهت بانتصار جلال الدين وإلحاق خسائر فادحة في الجيش المغولي[6]، هذه الهزيمة أغضبت جنكيزخان مما جعله يتحرك لقتال جلال الدين بنفسه فخرج من الطالقان في اتجاه غزنة وبوصوله إليها لم يجد مقاومة كبيرة وعلم بأن جلال الدين غادرها قبل خمسة عشر يوما فعمل جنكيزخان على تعيين حاكم على غزنة ولم يلحق بالمدينة أي ضرر حتى ينتهي من أمر جلال الدين الذي توجه إلى نهر السند ولحق به جنكيزخان هناك أين دارت معركة بين الطرفين سنة 618هـ/1221م كما ذكر النسوي " ثم تصافا صبيحة يوم الأربعاء لثمان خلون من شوال سنة ثمان عشرة وستمائة" واظهر جلال الدين شجاعة كبيرة في

---

[1]- النسوي: المصدر السابق، 154.

[2]- نفسه ؛ محمد الصاوي: المرجع السابق، ص 186.

[3]- ابن الأثير: المصدر السابق، ص 422؛ أبو الفدا الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي: المختصر في تاريخ البشر، تح :محمد زينهم محمد عزب،ج3، دار المعارف، القاهرة، ص 159.

[4]- الجويني: المصدر السابق، ص 155.

[5]- Rene'Grousset : Op cit, p368

[6]- ابن خلدون: المصدر السابق ،ج5، ص 140؛ أحمد حمدي حمدي: المرجع السابق، ص 183.

مواجهة العدو ووصف النسوي بداية المعركة فيقول:" ثم حمل بنفسه على قلب جنكيزخان فمزقه بددا وجعله طرائق قددا وولى اللعين بنفسه هزيما" غير أن الشجاعة وحدها لا تكفي خاصة إذا وجد الانقسام داخل الجيش وهي حالة عانى منها جيش جلال الدين وذلك بوجود عصبيات مختلفة[1]، وما حدث أن دارت الدائرة على جيش السلطان وانهزم وولى مدبرا كما قال النسوي :"... فخرجوا على ميمنة جلال الدين فكسروها وطرحوها على القلب فتبدد نظامه وتزعزعت عن الثبات أقدامه وانجلت المعركة عن قتلى مضرجين بالدماء غاطسين في الدماء "[2]، أما السلطان جلال الدين فإنه ألقى بنفسه في النهر منتقلا إلى الضفة الشرقية من النهر ومعه أربع آلاف من جنوده وغرق عدد كبير منهم أثناء محاولتهم اجتياز النهر[3]، ولم يكن بوسع جنكيزخان إلا أن يبدى إعجابه بشجاعة السلطان قائلا :" هكذا ينبغي أن يكون الابن الذي يخلف أباه فانعم بهذا الابن ". وتم قتل ابنه بعد ما أسر وكان مصير أمه وحريمه الغرق في النهر فكانت حادثة كما قال ابن الوردي في تاريخه : " من عجائب البلايا ونوادر الرذايا"[4]، غير أن حادثة غرق أمه ونسائه لم يذكرها الجويني وأشار إلى أسرهم فقال:" فأحضروا نساءه وأبناءه فأما من كانوا من الذكور حتى الأطفال الرضع فأرضعوهم ثدي المنية وعهدوا بتربيتهم إلى ابن الداية" ويقصد بابن الداية هنا الغربان، غير أن ابن الأثير في حوادث سنة 617هـ لا يذكر هذه الحادثة وإنما أشار إلى سبي الحريم[5]، وذكرها كل من النسوي صاحب سيرة جلال الدين وابن الوردي وكذلك من المتأخرين الديار بكري في كتابه تاريخ الخميس حيث قال :"... فرأى نسائه وأمه يصحن بالله أقتلنا لا نقع في الأسر فأمر بتغريقهن ..."[6].

---

[1]- العريني: المرجع السابق، ص 133.

[2]- النسوي: المصدر السابق، ص 158.

[3]- الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن: تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، ج2، مؤسسة شعبان، بيروت، ص 369.

[4]- النسوي: المصدر السابق، ص 159؛ ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر: تاريخ ابن الوردي، ج2، ط1، دار الكتب العلمية ،بيروت، 1996، ص 152.

[5]- ابن الأثير: المصدر السابق، ص 423.

[6]- النسوي: المصدر السابق، ص 159 ؛ ابن الوردي: المصدر السابق، ص152 ؛ الديار بكري، المصدر السابق، ج1، ص 369.

أما المغول فإنهم عاثوا فسادا في غزنة فدمروها تدميرا ممنهجا ولم يسلم إلا الحرفيين كالعادة والذين تم نقلهم إلى منغوليا[1]، ولم يكن ليهدأ بال جنكيزخان وهو يرى جلال الدين هاربا منه إلى بلاد الهند فبعث خلفه من يتعقبه ويجلب أخباره وفي الحقيقة أن جنكيزخان لم يكن له نية في غزو الهند ولو كان ينوي ذلك لجعل من مطاردة جلال الدين ذريعة وحجة من أجل اقتحام هذه البلاد، وعلى كل فإن إقليم غزنة يعتبر آخر معقل للخوارزميين غزاه المغول وبخضوعه لهم أصبحت كل أملاك الدولة الخوارزمية تحت سيطرة المغول[2].

بعد الفراغ من أمر غزنة والسيطرة على الدولة الخوارزمية قرر جنكيزخان العودة إلى منغوليا خاصة في ظل وجود بعض الانقلابات التي اندلعت في شمال الصين والتيبت مما استدعى تواجده هناك فاتخذ من طريق هراة مسلكا له واستقر في بيشاور ثلاثة أشهر ومنها توجه إلى كابل وحدود نهر جيحون[3]،وبعد أن قضى الصيف في مدينة باميان عبر نهر جيحون في الخريف ووصل إلى سمرقند سنة620هـ/ 1223م وبالقرب من نهر سيحون استدعى أولاده من أجل الصيد والقنص ولينظر معهم في أمور مملكته الواسعة، فلحق به كل من جغتاي وأوكتاي.

عقد جنكيزخان اجتماعا كبيرا (قوريلتاي) مع أولاده ليتشاور معهم ووضع إستراتيجية مستقبلية وبعد الانتهاء من هذا الاجتماع قضى جنكيزخان الصيف في صحراء قلان باشي ولم يعد إلى منغوليا إلا في سنة 622هـ/1225م[4]، وفي خريف عام623هـ/1226م قاد جنكيزخان آخر حملاته ضد الثائرين من ولاية التانغوت في شمال التيبت وأخضع العاصمة ننجح- هسيا بعد حصار طويل ودخلها المغول وقتلوا وخربوا[5].

بعد هذا الحملة التي تعد الاخيرة لجنكيزخان ألم به المرض واشتد عليه، فاستدعى أولاده وأوصاهم بأن يخلفه ابنه اوكتاي لما تحلى به من عقل رزين وحنكة فأطاعوه في ذلك وفي سنة 624هـ/ 1227م توفي جنكيزخان وحمل جثمانه إلى منغوليا ودفن في المنطقة التي يخرج منها نهر أونون وكرولين وبقي قبره سرا من الأسرار الكبرى

1- Rene' Grousset : Op cit, p370

2- أحمد، حافظ حمدي: المرجع السابق، ص ص 188- 190؛ العريني: المرجع السابق، ص ص 132، 133.

3- الصياد: المرجع السابق، ص 136.

4- العريني: المرجع السابق، ص 141.

5- أحمد حطيط: المرجع السابق، ص 44؛ René Grousset : op cit, p433

التي لم تفك إلى وقتنا الحاضر[1]، ومما قيل فيه ماذكره صاحب طبقات ناصري أنه"كان في غاية الشجاعة والذكاء والعقل والعلم والهيبة والاستعداد للقتال، كما كان عادلا ومنظما وقاهرا للعدو وشجاعا وسفاكا للدماء "[2]، وقال فيه الذهبي :" كان من دهاة العالم وأفراد الدهر وعقلاء الترك"[3].

رابعا / العادات والتقاليد:

تميزت العادات والتقاليد المغولية بالبساطة وغلب عليها الطابع البدائي فكانت بعيدة عن مظاهر التكلف والتعقيد وذلك نتيجة للبيئة التي يعيش فيها هؤلاء البدو ومما ميز هذه العادات الوحدة والتماسك رغم تعدد القبائل التي تتبادل العداء في ما بينها، وتعتبر السرقة والزور والفسق والفجور من الشجاعة والبطولة عندهم[4].

1.الصيد :

كان على القبائل البدوية الانسجام مع الظروف الطبيعية القاهرة وترويضها والبحث عن سبل العيش داخل النظام الذي فرضته البيئة ويعتبر الصيد والقنص من الرياضات المفضلة عند المغول، ويعد الصيد الحرفة التي جمعت بين التدريب على القتال والحصول على اللحوم اللازمة لمد الجيش والبلاط، وكانوا إذا ما قتلوا عددا كبيرا من حيوانات الصيد أكلوا أكبر قدر من لحمها وذلك لإبعاد شبح الجوع عنهم في الأيام العجاف،كما يعتبرون الصيد جزء لا يتجزأ من حياتهم ويجب على الرجال أن يشغلوا أنفسهم بالصيد والحرب فقط[5]،ومن شدة حرص المغول على هذه الرياضة فإنهم كانوا يعلمونها للصبيان في أوقات مبكرة من حياتهم وكانوا كذلك يصطحبونهم لمشاهدة عمليات الصيد بأعينهم لتكون لديهم الجرأة والإقدام على ذلك متى ما كبروا، ويذكر أن حلقة جنكيزخان كان أمدها بين شهر و ثلاثة أشهر[6].

1- ابن العبري: المصدر السابق، ص 426؛ الكتبي: المصدر السابق، ج1، ص 301؛ Grousset : op cit, p434

2- الجوزجاني: المصدر السابق، ص 158

3- الذهبي: العبر في خبر من غبر، ص 193.

4- الجويني: المصدر السابق، ص 62.

5- Haroldlamb : op cit, p 216.

6- ابن طباطبا محمد بن علي المعروف بابن الطقطقا: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، ص54 ؛الصياد: المرجع السابق، ص 344.

لم يكن الصيد مجرد حلقات الغرض منها الحصول على الطرائد، ففي الحقيقة كان تدريبا على تقنيات المناورة والركض وحمل السلاح وغيرها ويقول الجويني :" ولم يكن الهدف من ذلك هو ممارسة الصيد لذاته بل ليتمرنوا ويتعودوا على القتال ورمي السهام وتحمل الصعاب والمشاق"، فكان المغول يصطفون وكأنهم يستعدون لبدء معركة ويعينون القلب والميمنة والميسرة ويحملون معهم الأسلحة اللازمة[1]، محملين بالتركيز التام على درجة كبيرة من الاستعداد والتحلي بالتأني من أهم الشروط التي يتحلى بها الصيادون ومن يتخلى عن هذه الشروط سيكون عرضة لعقاب صارم قد يصل إلى حد القتل .

وبعد كل ذلك يعمل المشرفون على عملية الصيد – وعادة ما يكونون من كبار الأمراء– على إرسال تقارير مفصلة عن هذه المباريات إلى الخان الأعظم[2]، ويمكن لنا أن نقف عند ما أورده ابن طباطبا عن الصيد لنعرف مدى أهمية الصيد ولنستشف أهمية الصيد عند هؤلاء بقوله "إن القنص يشمل على فوائد كثيرة جليلة النفع، منها، وهو الغرض الأشرف منه، تمرين العساكر على الركض والكر والعطف، وتعويدهم على الفروسية وإدمانهم للرمي بالنشاب والضرب بالسيف والدبوس،ومنها اختيار الخيول ومعرفة سبقها وصبرها على دوام الركض ومنها أن حركة الصيد رياضية تعين على الهضم وتحفظ صحة المزاج،ومنها فضل لحم الصيد على باقي اللحوم لأنه بقلقه من الجوارح تثور حرارته الغريزية فتزيد في حرارة الإنسان"[3]، هذا ولم يتخل المغول عن هذه الرياضة حتى عندما خالطوا حياة الترف فهناك إشارة من رشيد الدين الهمذاني إلى الصيد في عهد غازان خان في وصف الصيد بقوله "قبل هذا العهد،كان الأمراء والوزراء يصرفون أكثر المهمات ومصالح الدولة،كما كانوا هم أنفسهم يديرون شؤون الملك، وكان السلطان، فارغ البال من تلك الأمور، وكان يقضي أكثر وقته منهمكا في الصيد واللهو"[4]، وقد تنوعت الحيوانات عندهم فشملت الخيول والأغنام والكلاب والظباء والأبقار والجمال والماعز وغيرها وكانوا في بعض الأحيان يلجئون إلى تجفيف لحوم هذه الحيوانات للاستفادة منها لفترات أطول .

[1]– الجويني: المصدر السابق، ص 67.

[2]– الصياد: المرجع السابق، ص 344.

[2]–ابن طبا طبا: المصدر السابق، ص54 .

[4]– الهمذاني: جامع التواريخ، تاريخ غازان خان، تر: فؤاد عبد المعطي الصياد، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2000، ص384 .

2.الزواج :

ذكر المؤرخ ابن الأثير أن المغول لا يعرفون نكاحا بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال فإذا جاء الولد فلا يعرف أباه..."[1]غير أن المجتمع المغولي عرف الزواج وفق عاداتهم الخاصة التي تستند إلى الطابع البدوي مع عدم وجود ضوابط تحكمه فمعروف عند المغول أن للخان الحق في الزواج بمن يشاء من النساء ويعمل بمبدأ تعدد الزوجات وأن يجوز للرجل أن يتزوج أختين أو أن يكون له عدة محظيات[2]، ويستطيع من خلال انتصاره في المعارك أو عقد حلفا فله أن يتزوج من ابنته أو زوجته أو أمه وإذا حدث أن قتل عدوه فكان يتزوج من زوجته وكان جنكيزخان يسير على هذه العادة.

كان الآباء يولون أهمية لأبنائهم من زوجاتهم المقربات ويحدث بعد موت الخان أن تعود كل نسائه إلى أكبر أبنائه وله الحق في أن يتزوج من يشاء منهن كما يمكنه أن يمنحهم لأصدقائه أو يطلق سراحهن دون أن يكون لهن أي رأي، لذا فتعتبر المرأة في هذا العهد ملكية خاصة تعوداللخان يتصرف فيها كيف يشاء ثم تؤول بعد ذلك إلى أحد أبنائه[3]ويحظى أبناء المرأة الأولى بمكانة كبيرة ولهم الحق في الميراث كاملا.

3.المأكل:

ذكر القلقشندي بعض آدابهم في الأكل :"أن لا يأكل أحد من يد أحد طعاما حتى يأكل المطعم منه ولو كان المطعم أميرا والآكل أسيرا ولا يختص أحد بالأكل وحده بل يطعم كب من وقع بصره عليه ولا يمتاز أمير بالشبع من الزاد دون أصحابه بل يقسمونه بالسوية، ولا يخطوا أحد موقد نار ولا طبقا رآه، ومن اجتاز بقوم يأكلون فله أن يجلس إليهم ويأكل معهم من غير إذن..."[4].

وأما الغذاء المغولي فتبين أن هناك علاقة بين الغذاء والبيئة القاسية التي حددت نوع الطعام الذي يتناوله هؤلاء ففي فصل الشتاء نجد هناك قلة كبيرة في الحصول على طعامهم لذا عرف عنهم أنهم لا يحرمون شيئا

---

[1]- ابن الأثير: المصدر السابق، ص 400.

[2]- Haroldlamb : op cit, p .

216

[3]- الصاوي: المرجع السابق، ص 139.

[4]- القلقشندي: المصدر السابق، ج4، ص 311.

وتناولوا مختلف الحيوانات من الكلاب والذئاب والثعالب والخنازير وغيرها[1] من الطرائد التي تنالها حرابهم و نبالهم كما أنهم يأكلون كل القمامة التي ترميها أفراسهم حتى أنهم يأكلون الجرذان والفئران[2]ونتيجة لندرة اللحوم خاصة في فصل الشتاء يحاول المغولي سد جوعه باللبن، وبحلول فصل الربيع تتحسن تغذية القبائل المغولية بتحسن الظروف المناخية فيعود الصيادون إلى القنص والصيد.

وللمغول عاداتهم في الأكل وفي حفظهم للطعام تدل على بساطة المجتمع في تلك الفترة ولكن رغم بساطتها إلا أنها توحي إلى وجود نظام طبقي فمثلا النصيب الأوفر من الطعام كان يتناوله أقوياء البنية وبعد ذلك يأتي دور الشيوخ وأما النساء فيتسلمون ما بقي منه وأما الأطفال فلا ينالهم من الطعام إلا الفتات والعظام بينما نجد أن الشاب المغولي كان يخرج إلى الصيد خاصة صيد السمك[3].

وفيما يخص تقنيات حفظهم للطعام خاصة اللحوم منها فإنها تقطع إلى شرائح رقيقة وتعلق في الشمس والهواء دون أن تتعفن وأكثر ما اعتمد المغول في فصل الشتاء هي الألبان ومشتقاتها من زبدة وجبن ويستخرج "القميز" أو خمير اللبن من ألبان الأفراس ويتم صنعه بوضع هذه الألبان في قراب ثم تخض بشدة وتترك حتى تخمر وتصبح صالحة للشرب[4].

4.الملبس:

ابتعد المغولي في لباسه عن مظاهر الأبهة والزينة وغلب عليه البساطة وكان يتماشى مع الظروف الطبيعية القاسية هذا وقد شدد جنكيزخان على اللباس من خلال قوانينه التي أمر في أحد بنودهابأن لا تغسل الملابس ولا تغير حتى تبلى وخاصة خلال فصل الشتاء، وأما في فصل الصيف فإنهم يغيرونها مرة واحدة في الشهر،

[1]- ابن كثير: المصدر السابق، 90 ؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ص 400.

[2]- Jean du Plan Carpin : Relation du voyage Etartarie, puplies par Pierre Bergeron, 2012,p159.

[3]- الصياد: المرجع السابق، ص 230 ؛ إسماعيل عبد العزيز الخالدي : العالم الإسلامي والغزو المغولي، مكتبة الفلاح، الكويت، 1984، ص 31.

[4]- الغامدي: المرجع السابق، ص ص 45 – 49؛ الصياد: المرجع السابق، ص 331؛ مرجونة: المرجع السابق، ص 180.

ويذكر أنهم لا يغسلون ثيابهم ولا ينظفونها أبدا ولا يسمحون بالقيام بذلك[1]ولا يميزون بين طاهر ونجس وقد اتخذ المغول من أصواف الغنم و أوبار الإبل وجلود مختلف الحيوانات مصدرا للباسهم وتكاد ملابس النساء تشبه ملابس الرجال، ولا يوجد شك في أن احتكاكهم بأقوام متحضرة كالصينيين والمسلمين في قد الغرب غير مظهرهم وحسنه وتغيرت ملابسهم فلبسوا الحرير والفرو وتزينت نساؤهم بالحلي والجواهر الثمينة[2] .

5.المسكن:

عرفت قبائل المغول نمطين من السكن وذلك بالاحتكام إلى الظروف والحاجة فنجدهم استوطنوا المناطق القريبة من الغابات لحاجتهم إلى استعمال الخشب في صناعة أكواخهم واستعملوا الخيام المصنوعة من اللباد وذلك في المناطق السهبية وهي تتميز بصلابتها وقوتها ضد الظروف الطبيعية القاسية خاصة الأعاصير والرياح، وعمل المغول على الاستقرار في مواضع العشب والماء للحصول على قوتهم بسهولة، فكانوا يرتحلون عنها بمجرد إصابتها بالجدب والجفاف إلى مناطق أخرى أكثر غنا وهكذا، وتميز البيت المغولي بالبساطة واشتهر بتعليقهم للأسلحة والأواني الجلدية وخصص الجهة المقابلة للباب فراش رب البيت ويقسم هذا البيت إلى قسمين غربي خاص بالرجال وشرقي خاص بالنساء ونجد أن هذه البيوت تحتوي على ما يحفظ أمتعتهم وملابسهم من صناديق مصنوعة من نسيج متين مغطى بالصوف ومطلي بالشحم الحيوانات لتجنب تسرب المياه في حال تساقط الأمطار[3].

واختلفت المساكن باختلاف طبقات المجتمع المغولي فسكن علية القوم خيام الخشب والخيام المحمولة على العجلات واتخذت الطبقة الوسطى من خيام اللباد مسكنا لها، واتخذت الطبقة الدنيا خياما بسيطة يمكن لصاحبها حملها أثناء تنقلاتهم .

وقد اعتنى المغول بمساكنهم وكانت مقسمة إلى أقسام قسم توضع فيه حيواناتهم والأخر للطهي وجناح للضيوف وآخر للنوم يكون في آخر الخيمة فعندما يدخل المرء من الباب فإن أول ما يجده على اليمين وعلى اليسار مكان خصص للحيوانات الصغيرة، كالأغنام، والماعز، ..إلخ، ويليها مباشرة مكان جعل مجلسا للخدم

---

[1]- JeanduPlanCarpin : op cit, p160.

[2]- عبد العزيز عبد السلام فهمي: تاريخ الدولة المغولية في ايران، دار المعارف، القاهرة، 1981، ص ص 21 ، 22.

[3]- الصياد: المرجع السابق، ص 333 ؛ مرجونة: المرجع السابق، ص ص 193، 194.

والفقراء، وتوضع الأواني والأمتعة المنزلية إلى الجهة اليمنى مجاورة لحافة المنزل، ثم يجلس أمامها النساء من أهل البيت، يقابله من اليسار في الناحية الثانية مكان مخصص لجلوس الرجال، وهو يقع في الجهة الثانية المعاكسة أما النساء الزائرات فقد جعل لهن مكان أمام النساء الجالسات إلى اليمين[1].

6.الطقوس الجنائزية :

قد تميز المغول كغيرهم من الأقوام بعادات تخص تشييع جثمان موتاهم ربما تميزوا عن غيرهم في العديد من الميزات والتي منها إبقاء قبور قادتهم وأمرائهم سرا، وذكر كثير من المؤرخين طريقة تعامل المغول مع موتاهم ومن بينهم الجوزجاني في قوله:" وكان المتبع عند هذه الطائفة انه حينما يموت واحد منهم يعدون موضعا في باطن الأرض بقدر منزلة ذلك الملعون الذي يكون قد ذهب إلى جهنم ومكانته ويزينون ذلك المكان بسرير وسجادة وأوان وأموال كثيرة مع سلاحه ويدفنون معه كل ما كان خاصا به كما يدفنون معه في ذلك المكان بعض النساء والعبيد واعز الأشخاص لديه وعندئذ يردمون سطح ذلك المكان ويجرون الخيل فوقه بحيث لا يبقى له أثر يدل عليه"[2].

ويعتبر الرحالة والسفير جون بلانو كاربيني من بين الذين زاروا الإمبراطورية المغولية فيما بين651-653هـ/1253-1255م وسجل لنا مشاهداته بخصوص عادات وتقاليد هؤلاء البدو وقد فصل تفصيلا دقيقا في الطقوس الجنائزية بداية من ساعة الاحتضار إلى الدفن ومن بين ما ذكره "عندما يكون أحدهم عليلا على حافة الموت فإنه يتم نصب حربة بجوار خيمته وتلف الحربة بلباد أسود ولا يحق لأحد الدخول إلى حدود المخيم، وعند ساعة الاحتضار الأخيرة ينسحب الجميع عنه فلا أحديحضر وفاته حتى يحين ظهور القمر الجديد فيجيء القائد مع حشده وأتباعه للمتوفى"[3]،وكان للمغول طقوس جنائزية وأهم ما يميزها الاحترام الكبير لجسد الميت وعند وفاة شخص ما يتم حفر حفرة تختلف في سعتها أو قطرها باختلاف مكانة الشخص المتوفى في

[1]- انظر المخطط رقم (01).

[2]- الجوزجاني: المصدر السابق، ج2، ص 191.

[3]- الزبيدي عباس خميس: "الطقوس الجنائزية عند المغول من خلال الرحلات البابوية:رحلة القس جون بلانو كاربيني (1245 – 1247م) أنموذجا"، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد العراق، ع115، 2016، ص 189.

المجتمع وذلك لاستيعاب ما يتم دفنه معه من الأشياء، وكثيرا ما يوضع مع الميت بعض الأشياء وتختلف باختلاف مكانة الميت والهدف منها مساعدة الميت في رحلته الأخيرة[1].

وفيما يخص سرية الدفن فهي من بين أهم العادات التي اتبعها المغول وتميزوا بها وقد تكون هذه العادة من أجل إخفاء قادتهم وعظمائهم لكي لا يطالها التنكيل من قبل الأعداء لذا نجد أن المغول عكفوا على إخفاء قبور خاصة العظماء منهم ويذكر كاربيني في هذا الخصوص :" يقوم التتاريون بملء الحفرة التي قبالة قبره ويضعون فوقه الشجيرات كما كانت من قبل وهذه الحادثة لا تروى لأي أحد آخر فتظل سرا..."[2].

وكان هناك فرق بين مقابر العامة من المغول وخاصتهم ووجد هناك نوعان من المقابر أحدها للخانات العظام والأمراء وطبقة النبلاء ويتم دفن الكثير من الذهب والفضة معهم، وقد خصصت مقابر أخرى لجنود المغول والعامة ويقومون بالتضحية بعدد من الخيول ومن ثم أكل لحومها وحرق عظامها ويعملون على حشو جلود تلك الخيول بالقش وتثبت على القبور وقد اتخذت إجراءات صارمة ضد كل من سولت له نفسه الاقتراب من هذه المقابر وقاموا من أجل ذلك بإنشاء الحراس[3].

لقد كان القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي حافلا بالأحداث العسكرية، وذلك ببروز المغول كقوة عسكرية استطاعت بفعل العديد من العوامل أن تسيطر على قارة آسيا وأجزاء من قارة أوربا في فترة وجيزة، وذلك بعد أن توحدت داخليا بفضل قائدها جنكيزخان، وأظهر المغول صلابة شديدة في مواجهة الظروف البيئية القاسية وجلدا كبيرا في مواجه الأعداء ولو لا قوة جنكيزخان وحنكته السياسة والعسكرية لما لبقي المغول قابعين في منغوليا، ونظمت الياسا الجنكيزخانية حياة المغول وزادت من قوتهم.

---

[1]- Jean du Plan Carpin : Op cit, p155.

[2]- سعد، محمد مسفر الغامدي: "مكان مراسم دفن الخانات المغول خارج موطنهم الأصلي"، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، 1984، ص 301؛ Jean du Plan Carpin :Op Cit, p 155- 156

[3]- Jean du Plan Carpin :Op Cit, p 155- 156؛ الزبيدي: المرجع السابق، ص 190.

الفصل الأول :

الخريطة السياسية للإمبراطورية

نتطرق في هذا الفصل إلى الممالك المغولية التي ظهرت بعد تقسيم جنكيزخان لممتلكاته وقد اخترت هذا العنوان لتوضيح معالم هذه الإمبراطورية والتي تقاسمها أبناء جنكيزخان، ولتسهيل مهمة القارئ في التعرف على هذه الممالك، كذلك للإشارة فإن معرفة هذا الأمر يتطلب منا العودة بالقارئ إلى سنوات قبل الفترة المحددة للدراسة لمعرفة أصل هذه الممالك.

لقد أسفرت غزوات جنكيزخان عن ظهور إمبراطورية مترامية الأطراف، والتي اتسعت بشكل أكبر في عهد أولاده، وقد امتدت هذه الإمبراطورية شرقا إلى الصين ومنشوريا، وغربا حتى بلاد الشام والبحر المتوسط إلى غاية نهر الدانوب، وشمالا إلى بلاد الروس والبلغار، وجنوبا إلى بلاد السند والهند،كما ضمت هذه الإمبراطورية الواسعة أمما وشعوبا كثيرة من :تركستان وبلاد ما وراء النهر وخوارزم وغزنة وإيران والعراق وآسيا الصغرى وبلاد القفجاق والبلغار والروس[1].

وترك جنكيزخان تسعة أولاد اشتهر منهم أربعة وهم:**جوجي** و**جغتاي** و**أوكتاي** و**تولوي** وسبب هذه الشهرة الوظائف والمهام العسكرية والإدارية التي قاموا بها، فكلف جنكيزخان ابنه جوجي بالإشراف على أمور الصيد وتنظيم القصور وتزيينها، وعهد إلى جغتاي بأمور القضاء وتنفيذ القوانين والأحكام، وكلف أوكتاي بإدارة الشؤون المالية وتنظيم الإمبراطورية والنظر في أحوال الناس ومصالحهم، وأشرف تولوي على أمور الدفاع والجيش[2].

وانطلاقا من المبدأ السائد لدى الشعوب البدوية الذي يعتبر أن ما يتم امتلاكه من أقاليم وبلدان ليست ملكا للحاكم وإنما يخص الأسرة الحاكمة ككل وهو ما حافظ عليه جنكيزخان، فإننا نجده قام بتقسيم إمبراطوريته وهو على قيد الحياة من أجل تدريب أولاده على مهام الحكم والإدارة وغيرها ووفقا للقانون المغولي الذي سطّره جنكيزخان (**الياسا**) فإنه قبل وفاته عهدب الأملاك التي حاز عليها إلى كبار أبنائه حسب سنهم مع ترك الجزء الأهم لأصغرهم[3] وكان التقسيم كالآتي :

[1]- أنظر الخريطة رقم (03)

[2]- الصياد:المرجع السابق، ص 163؛ طقوش: تاريخ المغول العظام والإيلخانيين، ص 76.

[3]- فهمي: المرجع السابق، ص 100؛ العريني: المرجع السابق، ص 156.

نال ابنه الأكبر جوجي المناطق الواقعة مابين نهر أريتش والسواحل الجنوبية لبحر قزوين وهو ما عرف بالقبجاق وغالبية أهلها من الأتراك والتركمان وحدث أن توفي جوجي قبل أبيه فانتقل نصيبه إلى ابنه باتو[1]، وحصل جغتاي الابن الثاني على بلاد الأويغور وإقليم ما وراء النهر وأجزاء من تركستان مثل كاشغر وبلخ وغزنة، أما أوكتاي فقد حصل مناطق جبال أرباجاي وأطراف من بحيرة الأجول وحوض نهر أيميل[2] وكان نصيب أصغرهم تولوي موطن أبيه والأملاك الأصلية الممثلة في الجزء الشرقي من منغوليا وتولى قيادة أكثر من مائة ألف من الجند من قوام الجيش النظامي الذي بلغ تعداده مائة و تسع وعشرون ألف جندي[3]، وشهد عرش الإمبراطورية شغورا بعد وفاة جنكيزخان سنة (624هـ/1227م) قرابة السنتين حتى اجتمع مجلس**القوريلتاي** في ربيع 626هـ/1229م، وتم إعلان أوكتاي خانا أعظما للإمبراطورية.

أولا/ مملكة القبيلة الذهبية (القبجاق):

1. أصل التسمية :

تعددت التسميات المتعلقة بهذه المملكة وكلها تصب في إطار جغرافي واحد وسبب تعدد هذه التسميات يعود إلى كثرة التفسيرات التي قدمها الدارسون، مع العلم أن هذه التسميات لها وجود في مختلف المصادر والمراجع المتعلقة بتاريخ المغول عامة والقبيلة الذهبية بصفة خاصة، فنجد أنها ذكرت باسم القبيلة الذهبية نسبة إلى خيام معسكراتهم ذات اللون الذهبي، كما عرفوا بمغول الشمال لكونها تقع شمال خانية تركستان وما وراء النهر وإيلخانية فارس، وأطلق عليهم مغول القبجاق لأنهم استوطنوا أراضي شعب القبجاق[4].

[1]- محمد سهيل طقوش:مغول القبيلة الذهبية والهند، ط1، دار النفائس، بيروت، 2007، ص 15.

[2]- العريني:المرجع السابق، صَ 58.

[3]- نفسه، ص 156.

[4]- طقوش:تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند، ص 13.

ووجدت تسمية أخرى أطلقت على هذه المملكة وهي القبيلة البيضاء بغية التفريق بين القسم الشرقي الذي كان من نصيب أوردا الابن الأكبر لجوجي بن جنكيزخان والقسم الشرقي الذي عرف بالقبيلة الزرقاء وهو المخصص لأخيه باتو[1].

وبالنسبة إلى سكانها فان غالبيتهم من الأتراك والتركمان المسلمين مثل أهل خوارزم وبلاد الخزر والبلغار[2](بلغار الفولغا) والآص والقفجاق[3]، غير أننا نجد كل من البلغار والقفجاق الأكثر بروزا في الأحداث المرتبطة بالقبيلة الذهبية، وهذان الشعبان انصهرا مع المغول الغزاة، إلى درجة كبيرة، بالإضافةإلى اعتلائهم مناصب هامة في السلطة،كما لا يمكن إغفال الجانب الديني أين كان لكل من البلغار والقفجاق دورا كبيرا في تحويل المغول الغزاة إلى الدين الإسلامي[4].

2. الموقع:

احتلت مملكة مغول القبيلة الذهبية، منطقة شاسعة امتدت من نهر إيرتش شرقا إلى أرض بلغار الفولغا غربا، ومن روسيا وبلاد الصقالبة شمالا، إلى إيلخانية فارس وآسيا الصغرى، وبلاد ما وراء النهر جنوبا، أي امتدت الى حدود المنطقة الواقعة بين نهر إيرتش السواحل الجنوبية لبحر قزوين، وهذه المملكة واقعة في الشمال، آخذة إلى الشرق، تحدها أطراف الصين من شرقها وبلاد الصقالبة وما يليها من شمالها[5]، و خُرسان

[1]- باتو بن جوجي: بن جوجي وكانت مدة حكمه ببلاد الشمال ونواحي الترك والقفجاق مدة عشرة سنين وهو ثاني ملك حكمها منأحفاد جنكيز خان أنظر: العيني بدر الدين محمود:عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تح : محمد محمد أمين، ج1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2010، ص ص 76، 77؛الرمزي:المصدر السابق، ص 364.

[2]- البلغار: بلغار الفولغا قوم من الترك ،مولدون من الترك والصقالبة، وقد أطلق هذا الاسم على العاصمة وعلى المملكة التي كانت تقع في وسط حوض نهر الفولغا إلى الجنوب، دخل البلغار الإسلام على يد رجل صالح يدعى بلار. أنظر:طقوش:تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند، ص 13.

[3]- القفجاق: شعب تركي بدوي يعتمدون في معاشهم على التنقل و الترحال وغالبيتهم وثنيين وقد تزايدت أعدادهم في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر ميلادي فانتشروا في أماكن واسعة واستقروا في حوض نهر الفولغا الأدنى وفي صحراء الغز. أنظر:طقوش:تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند، ص 14.

[4]- رجب محمد عبد الحليم:انتشار الإسلام، دار النهضة العربية، ص 104؛ طقوش:تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند، ص 13.

5- طقوش:تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند، ص 13.

من جنوبه، والخليج القاطع من بحر الروم من الغرب، وكانت من جهة الجنوب محدودة بنهر طونة والبحر الأسود، وبما وراء بلاد أذربيجان وبحر الخزر، وشرقا ببلاد ما وراء النهر وما وراء تركستان، وغربا ببلاد الروس، شمالا بمنتهى المعمورة .[1]

3.تأسيس القبيلة الذهبية :

كان نصيب جوجي بن جنكيزخان المناطق التي تشمل ممالك البلغار، الروس الجَرْكَس، خوارزم ، وبلاد القفجاق[2]، وأضاف مدن أَرَان، تبريز، وهمذان، مَرَاغَة إلى حدود مملكته، وأوكل جنكيزخان وظيفة الصيد لجوجي[3] وهي أحسن وظائف الدولة، وكلفه بقيادة الجيش الذي قام بغزو الدولة الخوارزمية، والمناطق التي تقع على ساحل نهر سيحون، وبعد أن أخضع" جوجي "تلك المناطق تركها ولحق بالجيش المغولي المتوجه لغزو إقليم خوارزم[4]، بعدها توجه إلى منطقة القفجاق، وبقي بها إلى أن توفى سنة 624هـ/ 1227م، قبل وفاة أبيه.وبوفاة جوجي لم يكن أمام جنكيزخان إلا إعادة تقسيم بلاد القفجاق بين حفيديه وهما أوردا وباتو، فعين الابن الأكبر أوردا على القسم الشرقي، أما المنطقة الغربية والتي تفوق مساحتها الجزء الغربي كانت من نصيب باتو(باطو)، ولقبه " بالصَايْن أي الملك الجيد[5]، فقد أمره جده بإكمال توسعات والده وغزو بلاد الروس، وكان باتو يتمتع بدعم جده جنكيزخان، ومن بعده الخان الأعظم أوكتاي سنة 627هـ/1229م، فقد مُنح الإشراف على قوات عسكرية تعدت ثلاثين ألفامن أجل استكمال غزو بلادالروس والمجر، وكان تحت إمرته كل من كيوك بن أوكتاي، ومانكو بن تولوي، وبايدار بن جغتاي[6].

[1] – الرمزي: المصدر السابق، ص 381.

2– نفسه، ص 362.

3– الخالدي: المرجع السابق، ص 199.

[4]– أحمد حافظ حمدي: المرجع السابق، ص ص 138، 139.

5– القلقشندي: مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تح: عبد الستار أحمد فراج، ج2، عالم الكتب، بيروت، ب.ت،ص 99.

6– بايدار ابن جغتاي: حفيد جنكيزخان وذكر رشيد الدين أنه سادس أولاد جغتاي وتميز بقصر قامته وإجادته للرماية . أنظر: الهمذاني رشيد الدين :جامع التواريخ، ج3، ص 144.

بدأ باتو توسعه نحو الغرب من الفولغا، ليصل إلى جبال الكربات، ويتوغل في روسيا وبولندا والمجر خلال سنوات (635- 640هـ / 1237-1240م) ،حيث ضمن انقياد الأمراء والعساكر وطغت شهرته على أخيه "أوردا، وأصبح يلقب بخان القبيلة الذهبية[1].

عرفت القبيلة الذهبية توسعات كبيرة في اتجاه الغرب في عهده فبعد أن استقل بالأراضي التي تحت إمرته، وإخضاع بلادالروم وصلت ممتلكاته ما بين سنوات 635-640هـ / 1237- 1242م إلى جبال الكربات وتوغل في روسيا وبولندا والمجر[2]، وعادإلى قاعدته بلاد القفجاق ليستقر له الملك حيث بنى مدينة سراي القديمة على الجانب الشرقي للفولغا واتخذها عاصمة لدولته وعمَر فيها القصور ولم يمض وقت طويل حتى أضحت من المراكز الحضارية لمغول القفجاق، وظل باتو تابعا شكليا للخان أوكتاي منذ توليه عرش الخانية ووفيا للتقاليد والأعراف المغولية حتى وفاة كيوك.

أما عن التأسيس الحقيقي للقبيلة الذهبية فكان بعد وفاة الخان الأعظم كيوك سنة (639-640هـ/1241-1242م)، وبعودة باتو من بلاد الروس شرع في تنظيم دولته وسطر نظامها داخليا وخارجيا، وسعى لتعمير البلاد وتأمين الطرق[3] ورسم الحدود الممتدة من نهر إيرتش حتى الفولغا، ومن خوارزم إلى بلاد الصقالبة والتي تضم بداخلها شعوبا أجناسا مختلفة من الأتراك والتركمان والروس، لتقوم مملكة مغول القفجاق بداية من سنة 640هـ/1242م واقعة على طول نهر الفولغا وتشمل بلاد الروس، والقرم والقفجاق وخوارزم إلى جهة الشمال وبالرغم من اتساع هذه المملكة، إلا أن المغول أحكموا قبضتهم عليها، حيث قام باتو بتنصيب ولاة على بعض المقاطعات، وتعيين حكام على المقاطعات الروسية من اختيار أهالي الروس وكان يفرض عليهم خراجا في كل سنة، وقد استمر باتو في حكم القبيلة الذهبية إلى أن توفي سنة 653 هـ/1255م وتوراث الحكم من بعده أفراد عائلة جوجي واستمروا في حكم هذه الأراضي[1].

1- Gaston Cahen: Les Mongols Dans Les Balkans,Revue Historique,Presses Universitaires de France, T. 146,Fasc.1,1924 P56.

2- أسامة إبراهيم حسيب: الغزو المغولي لروسيا(1222-1240م)،ط1، المكتب العربي للمعارف، 2008، ص 139؛ طقوش: تاريخ المغول العظام، ص 101- 103.

3- طقوش : تاريخ مغول القبيلة الذهبية، ص 17.

1- أنظرالجدول رقم (01).

قسمت الإمبراطورية المغولية إلى أقاليم كبرى يشرف عليها ما يعرف بالإيلخان[1] مع ضرورة تبعيته للخان الأعظم في عاصمة المغول قراقورم، فكان من نصيب جوجي خان ماتم ذكره سابقا على أن يعود في كل صغيرة وكبيرة إلى الخان الأعظم، ويمكن القول أن أسرة جوجي عملت بهذا المبدأ في عهد باتو بن جوجي ولم يستمر طويلا في عهد بركة خان الذي كانت له قطيعة مع الخانية العظمى خان في عهد قوبيلاي خان.

وفي البداية أشرف كل من باتو وبركة خان على إدارة شؤون الدولة في مختلف المجالات، وأول شيء قاما به هو تثبيت حدود دولتهم مع جيرانهم من المغول خاصة، فانتقلا معا إلى منغوليا من أجل هذا الأمر وذكر أن نفوذ هذه الدولة لم يتعد خوارزم ومدينة أترار من جهة الشرق وفي جهة الغرب كان هناك نزاع حدود حول أذربيجان وحران مع أبناء عمومتهم من مغول فارس وأسرة هولاكو[2].

والمعروف أن اللقب الذي اتخذه حكام المغول هو لقب الخان وبعد اعتناقهم للإسلام عرفوا عدة ألقاب منها السلطان، فالقلقشندي أطلق لقب السلطان على حكام هذه الدولة ووظيفته هي الإشراف على كل صغيرة وكبيرة في بلاده غير أن الواضح من رواية القلقشندي أن حكام هذه الدولة لم يكن لهم وقوف مباشر على أحوال مملكتهم فهو يشير إلى نوع من التفويض ولم يباشروا مهامهم بأنفسهم، وثمت إشارة واضحة للدور الذي لعبته المرأة في إصدار القرارات والتدخل في شؤون الدولة ومما قاله القلشندي في هذا الخصوص :" ... ولخواتين هؤلاء مشاركة في الحكم معهم وإصدار الأمور عنهم ..."[3]، وقد جاء القلقشندي على ذكر أوزبك خان على أنه لا التفات له من أمور مملكته إلى جمليات الأمور دون النظر في تفاصيل الأمور والأحوال وأضاف بأنه يقنع بما حمل إليه ولا يبحث عن وجوه القبض والصرف وأن لكل أمرة من خواتينه جانبا من الحمل[1].

[1]- الإيلخان: كلمة مركبة من لفظين إيل ومعناه التابع وخان ومعناه الملك ومعناه الملك التابع

[2]- سعاد هادي حسن إرحيم الطائي:دراسات في تاريخ الترك والمغول، ط1، دار ومكتبة عدنان، بغداد، 2015، ص 272.

[3]- القلقشندي:صبح الأعشى، ص 475؛ العمري ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: كامل سلمان الجبوري، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت ص 144.

[1]- القلقشندي:صبح الأعشى، ص 475؛ العمري: المصدر السابق، ص 144.

5.العلاقات السياسية والعسكرية مع إيلخانية فارس:

بالرغم من صلة القرابة بين إيلخانيتي فارس ومغول القبيلة الذهبية إلا أن العلاقة بين الطرفين ساءت مع مرور الزمن ودخل أبناء جوجي وتولوي في صراع عسكري خطير، وتعود بداية النزاع إلى رغبة هولاكو في التخلص من مناوئيه، وهناك العديد من الأسباب التي حملت هولاكو على الدخول في صراع مع ابن عمه ومن بينها:

- يعد اعتناق بركة خان للإسلام من الأسباب الرئيسية التي جعلت من هولاكو يناصبه العداء .
- موقف بركة خان من سقوط الخلافة العباسية والنهاية التي تعرض لها الخليفة العباسي المستعصم بالله .
- الخلاف حول الحدود السياسية بين المملكتين ومطالبة أسرة جوجي بمقاطعتي آران وأذربيجان على أنهما تقعان ضمن الحدود التي رسمت والدهم جوجي بينما اعتبرها هولاكو من أملاك والده تولوي خان[1].
- مساندة الأمير بركة خان للأمير أريق بوكا[2] في صراعه ضد قوبيلاي خان[3]حول عرش الخانية العظمى في قراقورم ،الأمر الذي أغضب هولاكو وجعله يغادر إيلخانيته باتجاه قراقورم للوقوف على الأوضاع هناك ومساندة قوبيلاي خان ضد بركة خان وأريق بوكا، وانتهى الأمر في الأخير إلى انتصار هولاكو وقوبيلاي وتم إعلان قوبيلاي خانا أعظما للمغول غير أن بركة لم يعترف بهذا الخان[4].

كل هذه الأسباب وأخرى جعلت الصدام العسكري لا مفر منه ولذلك فقد قام بركة خان باعداد جيش قوامه ثلاثين ألف مقاتل وسار به قاصدا إيران، فعبر منطقة دربند[1] التي تشكل الحد الفاصل بين المملكتين ثم ذهب إلى شروان[2] .

---

[1]- فؤاد عبد المعطي الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين(أسرة هولاكو)، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، 1978م، ص ص41، 42.

[2]- أريق بوكا:ابن تولوي بن جنكيزخان وهو شقيق قوبيلاي خان وأظهر هذا الأخير رغبة شديدة في معارضة قوبيلاي خان عندما ارتقى على رأس الخانية الكبرى . الهمذاني:تاريخ خلفاء جنكيزخان، ص 237.

[3]-قوبيلاي خان: ابنتولوي بن جنكيزخان وهو الابن الرابع لتولوي خان(656- 693هـ/1259-1294م).أنظر:الهمذاني:تاريخ خلفاءجنكيزخان، ص 237 .

[4]- طقوش: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند، ص37.

[1]- دربند:منطقة تسمى باب الأبواب. أنظر: الحموي:المصدر السابق، مج2،ص 449.

وعندما علم هولاكو بذلك قدم إلى شماخي[2] وذلك سنة 660هـ/ 1262م واصطدم بجيش بركة وانهزم أمامه، فقتل من قتل وفر من فر منهم، وذكر المقدسي هذه الوقعة في حوادث سنة660هـ، وذكر عددا كبيرا من الفارين(المستأمنين) بين فارس وراجل بنسائهم وصغارهم هاربين إلى بلاد المسلمين[3]، وأرسل هولاكو خان ابنه أباقا على رأس جيش كبير لغزو أملاك القبيلة الذهبية، غير أن بركة خان تصدى لهذه المحاولة وأفشلها وانتصر على أباقا خان سنة 661 هـ / 1263م، وبعد وفاة هولاكو استمر العداء بين الطرفين في عهد أباقا خان إلى أن توفي بركة خان سنة 665 هـ / 1267م وهو يحاربه .

وتعد الاضطرابات السياسية التي شهدتها القبيلة الذهبية بعد وفاة بردي بك(758-760هـ/1357-1359م)،نكبة على بلاط المملكة والدوائر الحاكمة في الدولةوالتي عرفتاضطرابا شديدا بعد وفاة هذا الحاكم وعلى مدى أكثر من عشرين عاما (760-782هـ/1359-1380م) ظهر خلالها خطر تمزق الدولة وتولى الحكم عدد من الحكام لم يكن أحد منهم على مستوى يؤهله لأن يمارس الحكم ويجمع شتات المغول،وتوالى عزل وتولية الخانات، فلا يكاد الخان يبقى في منصبه شهرا بل أياما حتى تدبر مؤامرة ضده ويتولى من بعده آخر، وتتصف المرحلة بالغموض والتضارب واستقل الولاة والقادة بما تحت أيديهم وتمزقت الدولة[4].

[1]- شروان: مدينة من نواحي باب الأبواب وتسميه الفرس بالدربند بناها أنوشروان فسميت باسمه ثم خففت بإسقاط شطر اسمه وقد خرج منها عديد العلماء .أنظر : الحموي: المصدر السابق، مج3، ص 339.

[2]- شماخي: بفتح أوله وتخفيف ثانيه من أهم مدن بلاد شروان في طرف آران وهي من أعمال باب الأبواب. أنظر:نفسه مج 3، ص 361.

[3]- المقدسي: المصدر السابق،ج5، ص ص 438،439 .

[4]- طقوش: تاريخ المغول القبيلة الذهبية والهند، ص ص 86، 87.

ثانيا / إيلخانية فارس :

1.تأسيس الايلخانية:

ظهرت إيلخانية فارس نتيجة للتوسعات العسكرية التي قام بها هولاكو[1]في غرب آسيا، وكان مانكوخان(648–655هـ/1251–1258م) قد حدد لهولاكو خطة لحملته هذه مع تأكيده على ضرورة الالتزام بقوانين الياسا[2].

أما عن أهداف الحملة فقد حددها له ابتداء من إخضاع خراسان ثم التوجه الى قلاع الإسماعيلية ثم العراق ودعمه بعمال مهرة في صناعة المنجنيقات، ووصل تعداد الجيش إلى مائة وعشرين ألف مقاتل، وأمره بأن لا يتعرض للخليفة العباسي في بغداد إذا أعلن ولائه[3]،كما أمره أن يستشير دوقوز خاتون في كل الشؤون والقضايا[4].

تقرر خروج الحملة بقيادة هولاكو من العاصمة المغولية قوراقورم في جمادى الأولى سنة (651هـ/ 1253م) ووصلت إلى مدينة سمرقند[5]في 653هـ/1255م[1]، حيث خضعت خراسان كلها لهولاكو، ومنها وجه رسائل إلى كل الأمراء والملوك في إيران يخبرهم فيها بأهداف حملته وعزمه على فتح حصون الإسماعيلية

[1]– هولاكو خان: ابن تولوي بن جنكيز خان وهو الابن الرابع لتولوي خان، وأمه هي سيور قوقيتي من عائلة مالكة في قبيلة كرايت . أنظر: الهمذاني:جامع التواريخ، تاريخ المغول الإيلخانيين، تاريخ هولاكو، تر: فؤاد عبد المعطي الصياد، مج1، ج1، مر: يحي الخشاب، دار إحياء الكتب العربية، ص 219؛ الكتبي: المصدرالسابق، ج4، ص240.

[2]– عباس العزاوي المحامي: تاريخ العراق بين احتلالين، مج1، ط1، الدار العربية للموسوعات، لبنان، 2004، ص 159.

[3]– الهمذاني: تاريخ هولاكو، مج2، ج 1، ص 237 .

[4]– دوقوز خاتون: من قبيلة الكرايت وهي ابنة أبقو بن أونك خان ،وكانت دوقوز زوجة تولوي بن جنكيز خان والد هولاكو، ثم تزوجها هولاكو بعده عملا بالعرف المغولي الذي يسمح بزواج الأبناء من نساء آبائهم، وكانت دوقوز هذه مسيحية وعملت على مساعدة المسيحيين فقوي بذلك حال هذه الطائفة .أنظر: الهمذاني:تاريخ هولاكو، ص 220.

[5]– سمرقند: بلد معروف مشهور ببلاد ما وراء النهر وهو قصبة الصغد مبنية على جنوبي وادي الصغد (زرافشان) مرتفعة عليه.أنظر: الحموي:المصدر السابق، مج3، ص ص 246، 247 .

[1]– أحمد شريفي: "قيام الإمبراطورية المغولية"، دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، العدد، 28، ص 456.

والقضاء على هذه الطائفة، وطلب منهم الانضمام إلى جيشه وإلا أصبحوا هم أيضا هدفا لحملته[1] ثم عبر نهر جيحون(أموداريا)[2]ووصلت الحملة إلى إيران، فسارع الملوك والأمراء إلى الترحيب بهم والدخول في طاعة هولاكو، وهؤلاء هم "شمس الدين كرت" ملك هرات، والأتابك "سعد بن زنكي" أتابك فارس و"قلج أرسلان" سلطان سلاجقة الروم[3]، ولم تكن هناك أية مقاومة عند ما وصل جيش هولاكو إلى إيران، وخضع الأمراء والملوك له، مستسلمين لسياسة العنف والرعب التي تميز بها جيش المغول، ومنهم من أظهر ولائه من أجل نيل حظوة عند حكام المغول.

1.2.القضاء على الطائفة الإسماعيلية:

كانت الطائفة الإسماعيلية[4]موزعة على حوالي خمسين قلعة حصينة في جبال قومس وقهستان وروذبار يحكمها حاكم يطلق عليه اسم "محتشم"، وكان من أشهرها قلعة"**ألموت**"التي تعتبر عاصمة لهم[5]،ولعل القضاء على هذه الطائفة كان من أهم الأهداف التي وجب تحقيقها خاصة وأن المغول كانوا على علم بالخطر الذي تشكله[6]،ودخولهم بغداد دون اخضاع هذه القلاع سيشكل شوكة في ظهورهم، لذا فإن هولاكو قد بدأ بهذه الطائفة، كما أن أخبار هذه الطائفة كانت قد وصلت إلى "مانكو خان" عندما اشتكى له المسلمون عن الأعمال الإجرامية التي ارتكبها هؤلاء في منطقة قزوين[1]، ووجه هولاكو قواته بقيادة "كتبغا" في 10 شعبان ه

---

[1]- الهمذاني:تاريخ هولاكو، ص 240 .

[2]- أموداريا: وهو نهر جيحون وهو الحد الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والتركية أي إيران وتوران، فما كان في شماله من أقاليم سماها العرب ما وراء النهر وهو نهر جيحون.أنظر:كي، لسترنج: المرجع السابق ،477 .

[3]- Grousset René : l'empir des steppes atila Gengis–khan,Tamerlans, Paris, 1983, p 247 .

[4]- الإسماعيلية : كانت هذه الطائفة تقوم في الشمال الغربي بالنسبة للدولة الخوارزمية وقد سميت بالإسماعيلية لأن أتباعها كانوا ينادون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق وكان لجعفر الصادق أربعة أولاد أكبرهم إسماعيل، كما عرفوا بالباطنية، واطلق عليها الحشاشيين. أنظر: الجرجاني علي بن محمد:معجم التعريفات، تح : محمد صديق المنشاوي دار الفضيلة، القاهرة، ص 25 ؛ القلقشندي:صبح الأعشى، ص245؛ الصياد: المرجع السابق، ص74.

[5]- القزويني:المصدر السابق، ص 200.

[6]- Peter Jackson : The Mongols And The Islamic World, Yale university press, new Haven And London, 2017,p74-91.

[1]- الصياد: المغول في التاريخ، ص 235.

654/ 1256م، الذي حاصرها واستولى عليها الواحدة تلوى الأخرى وقد انتهى أمر الإسماعيلية بعد سقوط قلعة ألموت،حيث خربت قلاعهم ولم ينشأ المغول قلاعا جديدة بعدها[1].

2.2سقوط بغداد :

أرسل القائد هولاكو إلى الخليفة العباسي المستعصم بالله[2]يطلب منه أن يمد جيش المغول بالمساعدة للقضاء على طائفة الإسماعيلية، غير أن الخليفة رفض هذا الطلب لعدم ثقته في هولاكو، ولما قضى هذا الأخير على الإسماعيلية، أرسل إلى الخليفة يعاتبه على عدم تلبية طلبه ويطلب منه أن يهدم الحصون التي تحمي بغداد و أن يردم الخندق من ورائها، كما طلب منه أن يسلم الحكم لابنه ويحضر لمقابلته، فرفض الخليفة المستعصم مرة أخرى طلب هولاكو ورد عليه يهدده ويحذره ويصفه بأنه شاب صغير السن يفتقد للخبرة والتجربة[3]، وكان الخليفة يظن أن باستطاعته رد المغول عن بغداد في حالة الهجوم عليها وأنه يملك القوة التي يستطيع من خلالها مواجهة جيشهم، رغم علمه بوضع البلدان الإسلامية التي كانت عاجزة عنتقديم المساعدة العسكرية للخليفة، فمصر والشام كانتا تعيشان حالة من الفوضى الداخلية بسبب ضعف الأيوبيين، وأما سلاجقة الروم فقد خضعوا للمغول[4].

كان لموقف الخليفة المستعصم اتجاه هولاكو نتائج سلبية، حيث قرر هذا الأخير الزحف نحو بغداد وأرسل إنذارا نهائيا وشديد اللهجة إلى الخليفة الذي جمع وزراءه ومستشاريه وعرض عليهم رسالة

---

[1]– الذهبي شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان: تاريخ الإسلام، تح:عمر عبد السلام تدمري،ج48، ط1، دار الكتاب بيروت،1999،ص25؛ الديار بكري:المصدر السابق، ص 376؛ الأمين حسن:الاسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي، الغدير، بيروت، ط1، 1971، ص155 ؛ Peter Jakson Op cit, p 126

[2]– المستعصم بالله: عبد الله منصور بن محمد بن أحمد بن الحسن أمير المؤمنين أبو أحمد المستعصم بالله بن المستنصر بالله بن الظاهر بن الناصر المستضيء البغدادي بن المستنصر بالله آخر الخلفاء العراقيين ولد سنة 609هـ وأمه اسمها هاجر بويع بالخلافة عند موت أبيه كان متدينا متمسكا بالسنة مدة خلافته خمسة عشرة سنة وثمانية أشهر وأياما. أنظر:السيوطي:المصدر السابق، ص 364؛ الكتبي:المصدر السابق، ج2،ص 230؛ ابن الكازروني ظهير الدين محمد البغدادي:مختصر التاريخ، تح: مصطفى جواد، مطبعة الحكومة، 1970، ص 266.

[3]– الهمذاني:تاريخ هولاكو، ص ص 268،269.

[4]– العريني: المرجع السابق، ص ص 216،217.

هولاكو[1] المتضمنة إنذاره النهائي، فأشار عليه وزيره ابن العلقمي[2] أن يرسل إلى هولاكو الهدايا ويعتذر إليه ويذكر اسمه في الخطب وفي السكة، كما كان يفعل الخلفاء مع السلاطين البويهيين والسلاجقة، فيما خالفه قائد الجيش "مجاهد الدين أيبك" الذي رأى ضرورة التصدي للمغول.

وتظهر الإستراتيجية العسكرية المغولية في الطريقة التي زحفت بها الجيوش على بغداد والتي قامت على تطويق المدينة من عدة اتجاهات، وأحكم المغول سيطرتهم عندما زحف جيش يقوده "جرماغون" و"بايجو نويان" من بلاد الروم نحو مدينة الموصل ومنها إلى بغداد، أما الجيش الآخر الذي قاده "كتبغا" فزحف عن طريق منطقة خوزستان وحاصر بغداد من الجهة الشمالية، وزحف هولاكو بجيش آخر فحاصر بغداد من الجهة الشرقية ولسد جميع المنافذ عن بغداد انتشرت فرق مغولية في الضواحي فأصبحت بغداد في حصار تام[3].

وفي الثالث عشر من محرم سنة 656 هـ الموافق لـ20 جانفي 1258 م أحكم المغول السيطرة على مدينة بغداد حيث لم يعد لها أي مخرج أو منفذ يمكن من خلاله النجاة، واستمر حصارها لمدة شهر كامل، قذفت خلاله بغداد بالمنجنيقات فأحدثوا بها أضرارا كبيرة حتى سقط القسم الشرقي من المدينة ، وأدرك الخليفة أن لا فائدة من المقاومة فعرض على هولاكو الصلح فقام الخليفة بإرسال الهدايا وإعلان الطاعة، لكن هولاكو أصر على أن يرسل إليه الخليفة قائد جنده فأرسله إليه[4]، ثم خرج الجند يتبعه الكثير من سكان بغداد فأمر هولاكو بقتلهم جميعا في الثاني من صفر الموافق للثامن مارس من نفس السنة، وعندئذ قرر الخليفة الاستسلام للمغول بعد استشارة وزيره ابن العلقمي الذي أكد للخليفة أنه حصل من هولاكو على وعد بالإبقاء على حياته ومنصبه في حالة إبرام الصلح على أن يتم اقتسام خراج العراق بينهما.

---

[1]- الهمذاني:تاريخ هولاكو، ص 271؛الذهبي: تاريخ الإسلام، ص28.

[2]- ابن العلقمي: محمد بن محمد بن علي وزير المستعصم بالله، ولي الوزارة أربعة عشرة سنة وكان شيعيا،أتهم ابن العلقمي بأنه كاتب المغول وحثهم على القدوم إلى بغداد لإسقاط الخلافة العباسية انتقاما لما تعرض له الشيعة. أنظر: الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك:الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ج2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د،ت)، ص15 ؛ الكتبي: المصدر السابق، ج3، ص 252.

3- ابن العبري :المصدر السابق، ص 472.

[4]- الهمذاني:تاريخ هولاكو، ص290 ؛ عبد الرحمن بن حسن الجبرتي:عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تح: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، تق: عبد العظيم رمضان، ج1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1997، ص 27.

وفي الرابع عشر صفر656هـ العاشر مارس 1258م من هذه السنة استسلم الخليفة لهولاكو، وجريا على عادة المغول إذا دخلوا مدينة فإن الدمار والخراب قد حل بها، وهو حال بغداد إذ بقيت تحت التخريب لمدة أسبوع كامل فهدموا المساجد والقصور وأتلفوا مكتبتها، وقتلوا العلماء والأئمة والفقهاء وقتلوا الآلاف من سكانها ولم ينج منهم إلا القليل[1]، الذي قضى عليهم الوباء الذي انتشر أما الخليفة المستعصم فكان مصيره القتل فوضعه المغول في كيس ورفسته الخيول بحوافرها حتى الموت وقتل معه أبناؤه[2]، "وكانت بلية لم يصب الإسلام بمثلها"[3].

2.3.حملة هولاكو على بلاد الشام:

بعد سقوط بغداد استقر هولاكو في مدينة مراغة[4] ونقل إليها ما غنمه من حصون الإسماعيلية وبغداد[5] ثم أعاد تنظيم جيشه من أجل التوجه نحو بلاد الشام التي كانت في تلك الفترة تشهد نزاع داخل البيت الأيوبي بالإضافة إلى الخطر الصليبي المتربص بها.

وبدا العجز واضحا لدى الأيوبيين في صد الهجوم المغولي على بلاد الشام، ويتجلى ذلك في مبادرة أمير دمشق وحلب الناصر يوسف، بإرسال ابنه محمد إلى هولاكو ليعرض عليه ولاءه للمغول ويطلب مساعدتهم في

---

[1]– هناك من المؤرخين من ذكر أن مدة استباحة بغداد وأهلها وأعمال القتل والتخريب بلغت ثلاثون يوما وهو ما ذكره سبط ابن الجوزي قائلا :" ودخل التتار مدينة بغداد وبذلوا السيف في أهلها واستمر القتل والسبي ثلاثون يوما، ويزيد القلقشندي على ذلك عشرة أيام أي أربعين يوما. أنظر : أبي بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر، تح : أولرخ هارمان، ج8، قسم الدراسات الإسلامية، القاهرة، 1971، ص ص35، 36؛ سبط ابن الجوزي:مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تح: إبراهيم الزيبق، ج22 ، ط1، الرسالة العامة، بيروت، 2013،ص 631 ؛ القلقشندي:مآثر الأناقة في معالم الخلافة ، ص 92؛ المقدسي: المصدر السابق، ج5، 304.

[2]– هذه الرواية ذكرها العديد من المؤرخين مع اختلاف في طريقة قتل الخليفة ، فذكر أنه خنق وقيل رفس في بساط وقيل غرق في دلة على ما ذكره القلقشندي. أنظر: الدواداري: المصدر السابق، ج8، ص ص 35،36؛ابن الجوزي:المصدر السابق، ص 631 ؛ القلقشندي:مآثر الأناقة في معالم الخلافة، ص 92؛ Peter Jakson : Op cit, p 128.

[3]– ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج7، ص 469.

[4]– مراغة: أعظم وأشهر بلاد أذربيجان، وكانت تدعى أفراز هروذ.أنظر: الحموي :المصدر السابق، مج5، ص 93.

[5]– كمال الدين عبد الرزاق ابن الفوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تح: مهدي النجم، دار كتب العلمية، بيروت، 2003، ص ص 233، 234.

استرجاع مصر من المماليك، وقد أدار ظهره لقريبه أمير ميافارقين في التصدي للمغول[1]، فطلب منه هولاكو الحضور بنفسه لتقديم الولاء لكنه رفض وغادردمشق[2]، وبذلك زحفت جيوش المغول نحو الشام سنة 657هـ/1259م.

وفي طريقها إلى حلب استولت على ميافارقين وعلى مدن الجزيرة الفراتية ومدن ديار بكر مثل ماردين[3]ونصيبين[4]، وفي الثاني من صفر سنة 658 هالموافق لـ18 جانفي 1260 م، تمت محاصرة حلب بمساعدة جيوش ملك أرمينة الصغرى وجيوش ملك أنطاكية، ثم دخلتها وقتلت العديد من سكانها واستسلمت قلعتها[5]، لتكون الوجهة التالية للمغول دمشقوالتي غادرها أميرها الناصر يوسف متوجها إلى مصر ثم استقر في غزة[6]، وفي غياب حاكم يدافع عن المدينة وأهلها قرر أهل دمشق تسليم المدينة للمغول تجنبا لما سيلحقهم من الغزاة مثل سائر المدن فدخلها كتبغا في صفر 658هالموافق لـ مارس1260م، ولم يتعرض المغول لأهلها، لكن القلعة رفضت الاستسلام فاقتحمها المغول وهدَموها[7]، ثم تقدموا نحو فلسطين واستولوا على نابلس.

[1]- ابن العبري:المصدر السابق، ص483.

[2]- نفسه، ص487 .

[3]- ماردين: قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر و دارا و نصيبين. أنظر: نفسه،مج5، ص 39.

[4]- نصيبين : مدينة عامرة من بلاد الجزيرة بين الموصل وبلاد الشام. نفسه، ج4، ص 288.

[5]- ابن العبري:المصدر السابق، ص487؛ الذهبي:تاريخ الإسلام، ص ص 49،50.

[6]- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري:نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: نجيب فواز وحكمت فواز، ج29 ، دار الكتب العلمية، بيروت (د . ت)، ص ص 302، 303.

[7]- ابن كثير:المصدر السابق،ج17، ص397.

2.3.1معركة عين جالوت :

لم يبق أمام المغول سوى مصر والحجاز واليمن- ولم يبق من يدفعهم عن العباد والبلاد إلا العساكر المصرية-[1]، فوجه هولاكو رسالة إلى سلطان المماليك في مصرالمظفر قطز[2]، يطلب منه الاستسلام للمغول ويؤكد له استحالة التصدي لجيشه الذي لا يقهر وبأن لا يبدي أي مقاومة ضد المغول الذين استولوا على كل البلاد التي مروا بها وأنه لا توجد أي قوة يمكنها الوقوف في وجوههم[3]، وهو الأمر الذي استشاط له سلطان المماليك[4] غضبا فكانت ردت فعله أن أمر بقتل الرسل الذين حملوا إليه رسالة هولاكو[5]، وأخذ في الاستعداد لمواجهة المغول باتفاقه مع الأمراء والأكابر علىتجهيز العساكر وصمَموا على لقاء العدو المخذول وجمعوا الفرسان والرجالة والعربان وغيرهم وخرجوا من القاهرة بأعظم أبهة[6].

ويبدو أن هولاكو لم تسمح له الفرصة لينفذ تهديده ووعيده لأنه كان مضطرا للذهاب إلى منغوليا لحضور القوريلتاي المنعقد من أجل تنصيب خليفة للخان الأعظم منكو خان المتوفى[7]ومعه عدد من الجند تاركا لقائده كتبغا إدارة الشام.

---

[1]- العيني:عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ص 243.

[2]- المظفر قطز :الملك المظفر سيف الدين قطز أحد مماليك المعز أيبك التركماني صاحب مصر كان بطلا شجاعا حازما كسر التتار في عين جالوت.أنظر: المقدسي:المصدر السابق،ج5، ص 388؛ ابن العماد:المصدر السابق، مج7،ص 507؛الذهبي:المصدر السابق، ج 23، ص 200.

[3]- القلقشندي:صبح الأعشى، ج 8، ص ص 63، 64.

[4]- المماليك البحرية: يعود أصلهم إلى بلاد القفجاق والقوقاز قرب بحر قزوين وتم جلبهم في عهد نجم الدين أيوب وتمت تنشئتهم على تعاليم الدين الإسلامي وسموا بالبحرية لأن نجم الدين أيوب اتخذ لهم جزيرة الروضة قرب النيل مركزا لهم وقد استأثر هؤلاء بالحكم بعدما قتلوا طورنشاه آخر الأيوبيين سنة 648 هـ/ 1250م واستمرت دولتهم إلى غاية 748هـ/ 1383م.أنظر: عبد الفتاح عاشور: مصر والشام في عهد الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية،1972، ص 169.

[5]- يشير المقريزي إلى حادثة قتل رسل المغول بان السلطان قطز أمر بقتلهم ثم أحظرت رؤوسهم وكانوا أربعة فوسط واحدا بسوق الخيل تحت قلعة الجبل ووسط آخر بظاهر باب زويلة ووسط آخر ظاهر باب النصر. أنظر: المقريزي:السلوك، ج1، ص 516.

[6]- العيني:عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج1، ص 243.

[7]- مات منكوخان سنة 658هـ فكان موته فتحا للإسلام لأنه أوجب عودة هولاكو من بلاد الشام وبعد وفاته استقر قوبيلاي خان عوضا عنه ودامت مدته إلى سنة 698هـ . أنظر: ابن دقماق:المصدر السابق، ص 270.

والمؤكد أن هذا الحدث كان في صالح المماليك الذين كما ذكرنا أخذوا في الاستعداد لهذه المعركة فقام السلطان قطز بتقسيم قواته إلى جيشين الأول: تحت قيادة بيبرس البندقداري[1]الذي تقدم به في شعبان 658هـ/جويلية 1260م إلى غزة في فلسطين وقضى على الحامية المغولية التي كانت موجودة هناك[2].

أما الجيش الثاني: بقيادة قطز فخرج من مصر في طريقه إلى فلسطين وعبر الطريق الساحلي الذي يمر بعكا للوصول إلى الشام بموافقة الصليبيين على المرور عبر الأراضي الخاضعة لهم، فعلم قطز أن جيش المغول ومعه جيش أرمينية وجيش الكرج وصلوا إلى عين جالوت قرب الناصرة بين بيسان ونابلس[3]، ولما التقى الجيشان أسفرت معركة عين جالوت في 25رمضان/6 سبتمبر 1260م عن هزيمة ساحقة للمغول، ثم زحف قطز نحو دمشق[4]، والذي قتل فيها عدد كبير من المغول وعلى رأسهم قائدهم كتبغا وأخذ رأسه وأسر ابنه فانهزم من كان بالشام من التتار[5]، "فكانت الوقعة التي أيد الله بها المسلمين على التتر وأخذ بها منهم ثار الوبر والمدر وحاق بهم مكر السيف وحكم فيهم الحتف بالحيف وقتلوهم وأخذوهم ومعهم ملكهم كتبغا نوين"[1]،

---

[1]- بيبرس البندقداري : الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس التركي البندقداري ثم الصالحي صاحب مصر والشام ولد في حدود 620هـ. أنظر: ابن العماد:المصدر السابق، مج7، ص 610؛ الجبرتي:المصدر السابق، ص 28.

[2]- الهمذاني:تاريخ هولاكو، ص 313 .

[3]- الهمذاني:تاريخ هولاكو، ص ص 313،314؛ النويري: المصدر السابق،ج29،ص ص 476 – 477؛ المقريزي:السلوك، ج1، ص 515 (هامش 1)؛ اليافعي أبي محمد بن عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان:مرآة الجنان وعبرة اليقضان، ج4، ط 1، دار الكتب العلمية،بيروت، 1997، ص 113؛الذهبي:تاريخ الإسلام،ج48، ص 60.

[4]- ابن كثير: المصدر السابق، ج17،ص 401؛المقريزي:السلوك، ص ص516 ،517؛ابن عبد الظاهر محيي الدين:تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تح:مراد كامل،مر:محمد علي النجار، الشركة العربية للطباعة والنشر، 1961، ص ص39، 40؛السيوطي:المصدر السابق، ص372؛ المقدسي: المصدر السابق، ص399؛ الصفدي: تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، تح: زهير حميدان الصمصام وإحسان بنت سعيد خلوصي،ج2، إحياء التراث العربي،دمشق،1992،ص162؛الذهبي:تاريخ الإسلام،ج48،ص60؛ابن خلدون:المصدر السابق،ج5،ص437؛الدواداري: المصدر السابق، ج8، ص 49؛ القرماني: المصدر السابق، ج2، ص 269.

[5]- العيني:المصدر السابق، ج1، 2010، ص 243 ؛ المقدسي:المصدر السابق، ص 317 ؛ محمد بن طولون الصالحي الدمشقي:إعلام الورى بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تح:محمد أحمد دهان، ط2، دار الفكر، 1984، ص 31.

[1]- اليونيني:المصدر السابق، ج1، ص 366.

ويقول اليونيني معلقا عن هذه المعركة :" ومن العجائب أن التتار كسروا وأهلكوا بأبناء جنسهم من الترك" ويذكر شعرا نسبه للشيخ شهاب الدين أبوشامة حيث يقول :

غلب التتار على البلاد فجاءهم من مصر تركي يجور بنفسه

بالشام بددهم وفرق شملهـــــم ولكل شيء آفة من جنسه[1]

وأرسل هولاكو إلى أخيه قوبيلاي خان(657-692 هـ/ 1260-1294م) الذي خلف منكو خان على عرش إمبراطورية المغول يخبره بهزيمة جيشه في عين جالوت، ويعلمه باستعداده للعودة إلى الشام والاستيلاء على مصر والقضاء على المماليك فيها، فأصدر قوبيلاي مرسوما بتولية هولاكو ملكا على البلاد الممتدة من نهر جيحون شرقا إلى الشام ومصر غربا على أن تكون ميراثا لأبنائه من بعده[2]،وهذه البلاد التي تولاها هولاكو هي التي عرفت باسم إيلخانية مغول إيران.

2.النظام الإداري للايلخانية :

بعد إخضاع العراق عمل هولاكو على تثبيت دعائم مملكته وأخذ في ترتيب الأقاليم التي خضعت له واتخذ مراغة قاعدة لحكمه،وقضى فيها معظم فترة تواجده في الايلخانية وأحاط نفسه بأرباب العلم والسياسة، وضرب اسمه على السكة وحملت على وجهها اسم **الخاقان منكوخان هولاكو خان**، وبعد وفاته وتوارث أولاده من بعده الحكم[3]،واتسعت أملاك الايلخانية في هذا العهد وشملت أملاك الخوارزميين والإسماعيلية وماكان للعباسيين ويمكن تحديدها جغرافيا من نهر جيحون والمحيط الهندي ومن بلاد السند إلى نهر الفرات مع جزء كبير من آسيا الصغرى وبعض من أقاليم القوقاز[4] وقد فشلت محاولاته في إخضاع بلاد الشام ومصر وقام هولاكو بتقسيم دولته إلى ستة أقاليم كبرى وهي :

- ممالك العراق الغربي وخراسان ومازندران إلى ابنه الأكبر أباقاخان.
- ممالك أرّان وأذربيجان إلى ابنه يشموت

[1]- اليونيني:المصدر السابق، ج1، ص 367.

[2]- الهمذاني: تاريخ هولاكو، ص336.

[3]- أنظر الجدولرقم (02)

[4]- انظر الخريطة رقم (04)

- بلاد الروم (آسيا الصغرى) إلى معين الدولة سليمان بروانة الذي كان وزيرا لسلاجقة الروم ودخل في طاعة الروم.
- بلاد فارس لأحد الأمراء ويدعى أنكيانو.

وعهد بحكم بغداد إلى المؤرخ علاء الدين عطا ملك الجويني واستوزر ثلاثة من المسلمين[1].

بهذا التقسيم صار الحكم لا مركزي،كما حرص هولاكو على أن تسير مختلف هذه المقاطعات من طرف أولاده ولم يستطع هولاكو إكمال مشروعه التوسعي على حساب بلاد الشام حيث توفي في 19 ربيع الأول سنة 663 هـ/ 1265م وكان عمره ثمانية وأربعون سنة بعد أن قضى في حكم إيران اثنا عشر سنة[2].

3.خلفاء هولاكو خان (العصر الوثني) :

يمكن لنا تقسيم التواجد المغولي في بلاد فارس إلى مرحلتين، المرحلة الأولى التي آل فيها حكم فارس لإيلخانات وثنيين بداية من مؤسس الايلخانية هولاكو خان إلى غاية اعتلاء بايدو العرش سنة694هـ/ 1295م،مع الإشارة إلى أن هذه المرحلة توسطها حكم أحمد تكودار أحد حكام المغول المسلمين، وتبدأ المرحلة الثانية باعتلاء السلطان غازان خان 694-658هـ/1294-1357م الحكم وإعلانه للإسلام كدين رسمي للدولة المغولية وتخليه عن تعاليم الياسا الجنكيزخانية [3] وانفصاله التام عن مقر الإمبراطورية المغولية في الصين وتستمر هذه المرحلة غلى غاية تفكك الدولة إلى دويلات صغيرة بعد وفاة السلطان أبي سعيد بهادر خان ونحاول من خلال هذه الجزئية التطرق الى الشخصيات التي تولت حكم المرحلة الأولى السابقة الذكر.

[1]- الهمذاني : تاريخ هولاكو، ص 338؛ طقوش: المغول العظام والإيلخانيين، ص 202؛ فهمي: المرجع السابق، ص 149.

[2]- ابن الفوطي :الحوادث الجامعة، ص 384؛ الهمذاني : تاريخ هولاكو، ص 348؛الدواداري: المصدر السابق، ج8، ص 114؛ ابن العبري: المصدر السابق، ص 497؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج17، ص 468؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ص 615.

[3]- عاطف منصور محمد رمضان:"العقائد والديانات غير الإسلامية في النقود الايلخانية"، أدوماتو مجلة نصف سنوية محكمة تعنى آثار الوطن العربي، رجب 2008/1429، ص 82.

3.1.أباقا خان (663 – 681 هـ / 1265 – 1282م):

أباقا بن هولاكو بن تولوي بن جنكيزخان ثاني إيلخانات فارس بعد والده هولاكو خان، ولد في منغوليا سنة631هـ/ 1234م وقدم رفقة والده إلى إيران وخاض معه جميع الحروب[1]، وقد خلف أباقا خان هولاكو على عرش الايلخانية بعد انعقاد القوريلتاي المصغر الذي عقده ممثلي الأسرة المتواجدين في الغرب، ومن دون شك فإن والدته دوقوز خاتون كان لها دور في ذلك، وبعد خمس سنوات نال موافقة الخان الأعظم قوبيلاي خان بتسيد أبقا خان على أراضي إيلخانية فارس[2].

اتخذ أباقا خان من تبريز[3]عاصمة له وعندما وصلها قادما من مازندران استقبله أمراء الدولة وأعيانها وأعلنوا له ولائهم، فقام بتوزيع المهام وضبط أمور دولته إداريا حيث عين أخاه يشموت على دربند وشروان ووادي موغان وألاتاغ وعهد بقيادة الجيوش المغولية في بلاد الروم والشام إلى أشهر القادة وهما سمغار، وعهد إلى سونجاق بإدارة العراق وهذا بدوره أناب عنه عطا ملك الجويني المؤرخ[4].

كما أوكل إلى محمد شمس الدين الجويني[5]منصب الوزارة وأطلق عليه صاحب الديوان[6]، وبادر أباقا خان إلى استعادة هيبة جيشه الضائعة وسار على سياسة أبيه في علاقته بالمماليك ومصادقة المسيحيين، وقد ميز عهده العديد من الوقائع التي كان لها أثر على دولته ومن أهمها الحروب التي دارت بينه وبين المماليك من

---

[1]– الهمذاني:جامع التواريخ، تاريخ أبناء هولاكو، ص 3؛ الكتبي:المصدر السابق، ج2، ص 452(هامش2)؛ الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين، ص 33.

[2]– فهمي:المرجع السابق، ص 153.

[3]–تبريز: عاصمة أذربيجان وأشهر مدنها مدينة عامرة أسوارها محكمة ووصفت بالحسن وجودت الفاكهة فيها. أنظر: الحموي:المصدر السابق، مج2، ص 13.

[4]– فهمي:المرجع السابق، ص 154.

[5]– شمس الدين الجويني: شمس الدين محمد بهاء الدين محمد الجويني أخ عطا مالك من أسرة اشتهرت بالأدب والفضل وكان لها دور في النهوض بدولة الايلخانيين في فارس والعراق وقد شغل هدا الأخير صاحب الديوان في عهد هولاكو خان ثم تولى إدارة فارس في عهد أباقا خان والوزارة في عهد أحمد تكودار وتعرضت عائلة الجويني إلى نكبة شديد بمقتل أفرادها جميع بما فيهم شمس الدين في عهد أراغون في 4شعبان684هـ/1284م. أنظر: الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين، ص ص 36- 156.

[6]– طقوش:تاريخ المغول العظام والايلخانيين،ص 203.

ناحية وبينه وبين مغول القفجاق والجغطائيين من جهة أخرى، وإذا كان أباقا قد وقف الند للند في وجه أبناء عمومته من المغول فإنه ذاق مرارة الهزيمة في مواجهته للمماليك في مصر والشام .

وانهزم أباقا خان في ثلاثة معارك هامة وهي معركة البيرة[1]سنة671 هـ/1272م، ومعركة الأبلستين[2]675هـ/1276م ومعركة حمص[3] سنة 680هـ/1281م، وظل في صراعاته تلك حتى وفاته بهمذان سنة 680هـ/1282م[4]، والتي يبدو أنها كانت نتيجة الصدمة التي سببتها هزيمة المغول في معركة حمص في الشام قبل سنة على يد المماليك، والتي فقد فيها المغول عددا كبيرا من خيرة جنودهم وقادتهم، وأورد ابن الفرات(ت732هـ/1331م) شهادة لأحد أمراء المماليك وهو **شمس الدين آق سنقر المنصوري** الذي انشق عن السلطان المنصور والتحق بالمغول، وهي شهادة تبين تكبد المغول للعناء والجهد في إعداد هذا الجيش، ومدى الخسارة الفادحة التي انجلت عنها هذه المعركة، حيث يقول:" كنت بين التتر فوق العشرين سنة فما رأيتهم اعتدوا ولا جمعوا مثل هذه المرة...عن قتل الجم الغفير من التتر لا يحصون كثرة"[5].

---

[1]- البيرة: بدأت بزحف المغول إلى مدينة البيرة وحصارها وأدركهم السلطان الظاهر بيبرس فصعد إلى قلعتها وأجزل المكافأة لواليها وجنود الحامية.أنظر: ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ابن الفرات:تاريخ ابن الفرات، تح: قسطنطين زريق،مج7، المطبعة الأميركانية،بيروت، 1942، ص 184.

[2]- الأبلستين: حدثت هذه المعركة يوم الجمعة 10 ذي القعدة 675هـ/ 16 أبريل 1277م بهجوم الجيش المملوكي بقيادة السلطان الظاهر بيبرس على المغول وحلفائهم من سلاجقة الروم وعساكر الكرج وأوقع بهم هزيمة نكراء ،فقتل وأسر خلقا كثيرا وسمحت هذه المعركة للظاهر بيبرس بالتوغل في آسيا الصغرى حتى وصل إلى قيصرية عاصمة سلاجقة الروم. أنظر:نفسه ، ص 66.

[3]- معركة حمص: جرت أحداثها في 14 رجب 680 هـ/29 أكتوبر 1281م حيث حاول آباقا خان الاستيلاء على الشام، والتقى الجيش المغولي بجيش المماليك بالقرب من حمص فأسفرت المعركة عن هزيمة المغول الذين تكبدوا فيها خسائر فادحة حيث قتل معظم الجند.أنظر: بيبرس المنصوري ركن الدين الدوادار:زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة،تح: دونالد س.ريتشاردز، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، 1998، ص ص 195 ، 196.

[4]- الهمذاني: تاريخ أبناء هولاكو، مج2، ج1، ص 85؛ابن العبري: المصدر السابق، ص 505؛ الدواداري: المصدر السابق، ج8، ص 248؛ ابن خلدون : المصدر السابق، ص 616.

[5]- ابن الفرات: المصدر السابق، ص ص 216- 218 ؛ الهمذاني:تاريخ أبناء هولاكو، ص85.

3.2.أحمد تكودار (681 – 683هـ / 1282 – 1284م):

هو سابع أبناء هولاكو[1]، ويأتي ترتيبه الثالث في سلسلة إيلخانات مغول فارس، وهو أول إيلخان مغولي يعتنق الإسلام ويتخذ له اسما إسلاميا وهو أحمد، أما اسمه المغولي (تكودار) فقد ورد على هذا الشكل في المصادر الإسلامية ومعناه "الكامل أو الأول"[2]، وكثيرا ما يضاف إليه الاسم العربي الإسلامي أحمد ليصبح اسما مركبا هو (أحمد تكودار)، وكان تكودار مسيحيا في طفولته، وذلك بسبب أن أمه كانت مسيحية نسطورية، وسمي باسم مسيحي وهو "نيقولا[3].

لم يحضر تكودار مع أبيه هولاكو فتح بغداد وغزو بلاد الشام لأنه كان في بلاط "قوبيلاي" الخان (الخاقان) الأعظم في "خانباليغ" بالصين، وبعد تولي أخيه "أباقا عرش الدولة انتقل إلى إيران وانظم إلى أمراء بيت هولاكو الذي كانت تواجهه تحديات خطيرة تمثلت في ثلاث قوى معادية وهي: مغول تركستان شرقا ومغول القفجاق شمالا والمماليك في الشام ومصر غربا[4]، ويبدو من المصادر أن الخان الأعظم قوبيلاي رأى في تكودار ما جعله يبعده عن الصين ويحصر طموحه في البلاد التي كانت لأبيه هولاكو مع إخوته السبعة، وهم أباقا، هولاجو، جوشكاب قنقورتاي، منكوتمر، وقايدو[5]، وقد أدت الوفاة المفاجئة لأخيه" أباقاخان" في سنة680هـ/1282م إلى تنصيبه حاكما على الدولة[6].

لم يكن تكودار ملازما لأخيه "أباقاخان حين وفاته، بل كان في إقليم كردستان[7]، و على عادة المغول فأن أمراء البيت الحاكم ملزمون بحضور مراسم دفن خاناتهم، ولذلك من كردستان توجه إلى همذان للمشاركة

---

[1]– الهمذاني:تاريخ أبناء هولاكو، ص 88.

[2]– ابن الفرات:المصدر السابق، مج5، ج2، ص 4.

[3]– سير توماس أرنولد:الدعوة إلى الإسلام، تر: حسن إبراهيم حسن وآخرون، ط 3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970، ص260 ؛ العريني:المرجع السابق، ص 302؛ الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين، ص 121.

[4]– فهمي:المرجع السابق، ص 166.

[5]– الهمذاني:تاريخ أبناء هولاكو، ص 223 و ما بعدها .

[6]– ابن العبري : المصدر السابق، ص 505؛ الدواداري: المصدر السابق، ج8، ص 248.

[7]– كردستان:ظهرت كلمة كردستان كمصطلح جغرافي أول مرة في القرن الثاني عشر الميلادي في عهد السلاجقة، عندما فصل السلطان السلجوقي سنجر القسم الغربي من إقليم الجبال وجعله ولاية تحت حكم قريبه سليمان شاه وأطلق عليها اسم كردستان.أنظر: ليسترنج: المرجع السابق، ص 227.

في هذه المراسم، فاجتمع أمراء بيت هولاكو وخواتينهم وقادة الجيوش للتشاور في من سيتولى عرش الايلخانية ويعتلي سدة الحكم، حيث دامت هذه المشاورات حوالي شهر، وانقسم المجتمعون إلى فريقين، فريق يرى ضرورة الالتزام بتعاليم "الياسا" الجنكيزية وبالتالي يتولي الحكم أكبر الأمراء سنا من أبناء "هولاكو" ويكون بذلك"منكوتمر " الذي توفي متأثرا بجراحه في معركة حمص، وفي هذه الحالة فإن تكودارأصبح من بعده أكبر أمراء بيت هولاكو، أما الفريق الثاني فقد التف حول "أرغون " ابن "أباقا"، والذي رأى تحقيق رغبة والده في توليه عرش الايلخانية بعده، وتعد هذه الرغبة من "أباقا"سابقة لم يتعود عليها المغول ولم تنص عليها تعاليم الياسا، كما تطرح تساؤلا عن مدى التزام المغول بتعاليم هذه الياسا، والتي يظهر أن بوادر التنصل منها قد بدأ منذ عهد أباقاخان، وفي الأخير تم الاتفاق على تولي تكودار حكم الالخانية يعد انعقاد مجلس "القوريلتاي" سنة 681هـ/1282م.

عمل أحمد تكودار على تعميق العلاقة مع المسلمين فأرسل سفرائه[1] إلى فقهاء بغداد وإلى السلطان قلاوون[2] يعلن لهم إسلامه، كما سعى الى عقد معاهدة مع السلطان قلاوون، في حين أن الساخطين من كبار قادة المغول وأمرائهم لم يستسيغوا هذه السياسة الجديدة وسرعان ما التفوا حول ابن عمه أرغون خان منكرين تحول الايلخانية إلى الإسلام وتقرب حاكمها من المسلمين فدبروا فتنة بالقصر كانت نهايتها مقتل أحمد تكودار سنة 683هـ / 1284م[3].

3.3.أرغون بن أباقا خان (683 – 690 هـ / 1284 – 1291م):

أرغون هو ابن أباقا بن هولاكو، وكان يعتبر نفسه الوريث الشرعي لعرش للإيلخانية لأنه أكبر إخوته[4] فبعد مقتل تكودار تم تنصيب أرغون على عرش الايلخانية ولإعطاء الشرعية له اجتمع أمراء المغول وقادتهم

[1]– ابن العبري: المصدر السابق، ص 506؛ الدواداري: المصدر السابق،ج8، ص 252.

[2]– السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو المعالي وأبو الفتح قلاوون الألفي التركي الصالحي النجمي سابع سلاطين المماليك تولى بعد خلع السعيد بن الظاهر بيبرس سنة 678هـ. أنظر: محيي الدين بن عبد الظاهر:تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تح:مراد كامل، مر: محمد علي النجار، الشركة العربية للطباعة والنشر، 1961، ص 43؛ المقريزي: السلوك،ج2، ص 122؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج7،ص 248.

[3]–طقوش: تاريخ المغول العظام والايلخانين،ص 233؛ فهمي: المرجع السابق، ص 167.

[4]– الهمذاني: تاريخ أبناء هولاكو، ص 118.

ونصبوه إيلخانا عليهم بعد القوريلتاي الذي عقد في(آب شور) من نواحي أذربيجان ثم ثبته قوبيلاي خان ومنحه لقب الايلخان في ذي الحجة من سنة 684هـ/ 1286م .

تميز عهد أرغون بأنه كان امتدادا لعهد والده أباقا وجده هولاكو حيث حظي خلاله الوثنيون والمسيحيون بمعاملة حسنة، فلقد كان بوذيا متعصبا، ولأن زوجته " أوروك خاتون"كانت مسيحية نسطورية فقد حظي النساطرة برعايته، وأقاموا كنيسة عند خيمته، وقرب إليه الشامان وآمن بطقوسهم وعمل على تقويتهم، وفي فترات خلوتهلم يكن يدخل عليه إلا هؤلاء ليلا ونهارا ويتباحثون معه في المعتقدات، في حين عرف باضطهاده للمسلمين في بلاده وعزلهم من مناصب القضاء والمالية، ومنعهم من دخول بلاطه[1]وبدأ أرغون بآل الجويني فقتل رجالهم وأبناءهم وأحفادهم وكل من كانت له صلة بهم لأن شمس الدين الجويني كان صاحب الديوان في عهد أحمد تكودار[2].

كما عرف عهد أرغون علو شأن اليهود وسيطرتهم على الحكم والذين لطالما ناصبوا العداء للمسلمين ومن امثلة ذلك ما قام به "**سعد الدولة الأبهري**"[3] من اضطهاد لهم وإبعادهم عن الوظائف الكبرى واتهامهم لدى الخان بعدم الإخلاص وأنهم وراء المشاكل التي تتخبط فيها الإيلخانية، وقد توفي أراغون سنة 691هـ/ 1291م بعد مدة حكم دامت سبع سنوات قد وصفه الذهبي قائلا :" كان شهما مقداما كافر النفس شديد البأس، سفاكا للدماء عظيم الجبروت. "[4] وقال عنه ابن حبيب أنه كان شجاعا مقداما، شديد السطوة، حسن الصورة "[5].

---

[1]– الهمذاني: تاريخ أبناء هولاكو، ص 159؛ أرنولد: المرجع السابق، ص 263.

[2]– فهمي:المرجع السابق، ص 173.

[3]– سعد الدولة الأبهري: أحد الوزراء البارزين في عهد أرغون خان وهو طبيب يهودي اسمه العبري (مرد خاى) ووالده يدعى صفي الدولة، كان سعد الدولة من أهالي منطقة أبهر غرب قزوين، وهو من بين الأطباء الذين كانوا يشرفون على علاج العائلة الحاكمة في عهد أرغون خان، تميز بثقافته الواسعة، كما له خبرة كبيرة بالشئون المالية في بغداد. أنظر: الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين، ص 162.

[4]– الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد:العبر في خبر من غبر، تح: محمد السعيد زغلول، ج 3، دار الكتب العلمية ،بيروت، (د. ت)، ص 372.

[5]– ابن حبيب الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر:تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تح: محمد محمد أمين،ج1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1976، ص 141.

3.4.كيخاتو بن أباقا (690– 694هـ/ 1291–1294م):

كيخاتو بن أباقا بن هولاكو، استلم البلاد وهي تعاني من مشاكل داخلية عديدة وكانت الأوضاع تستلزم حاكما مقتدرا للسيطرة على الأمور تم استدعاؤه من آسيا الصغرى أين شغل منصب الوالي عليها وعلى إثر الاجتماع الذي عقد في ألاتاغ تقرر توليته الحكم وكان ذلك سنة690م/ 1291م.

عمل الإيلخان الجديد على إبعاد أمراء الأسرة الإيلخانية عن الإدارة وكلفهم بأمور الجيش فقط وعرف في بداية عهد عدة ثورات صاحبها موجة من العنف والدمار، ويبدو أن كيخاتو لم يكن على عزيمة أبائه وأجداده في أمور الحكم والسيطرة ونجده مسرفا مقبلا على أمور الدنيا وملذاتها وكان يقضي معظم أوقاته في اللهو والشرب[1]، وحدث في عهده ما عرف بالأزمة النقدية وذلك بعد أن ألغى التعامل بالذهب والفضة واستبدلهما بالعملة الورقية التي تسمى"جاومبارك"[2]، وبدأ العمل بها سنة 693هـ/ 1294م، وهذه الخطوة لم يتقبلها الأهالي وعملوا على رفضها وتعاملوا بها اضطرارا لا اختيارا مهابة القتل والاضطهاد[3]،فقدتعرض السوق إلى الكساد وأدى فشل هذه العملة إلى تصدع اقتصاد البلاد مما اضطره إلى إعادة التعامل بالذهب والفضة مرة أخرى،ويبدو أن أيام كيخاتو لم تكن لتطول أكثر فطالته يد الثائرين التي سلمته لبايدو بن طوغان بن هولاكو فاحتجزه حتى يقضي على أتباعه ثم قتله في سنة 694هـ/ 1295م وبمقتله بدأ عهد بايدو خان[4].

3.5.بايدو خان (16جمادي الأولى 694 – 23ذي الحجة 694هـ / 1295–1296م):

الأمير بايدو بن طوغان بن هولاكو،اعتلى العرش بعد عشرة أيام من إعدام كيخاتو خان وبعد انعقاد القوريلتاي تقرر تقليد بايدو الحكم، لكن لم يكد هذا الأخير أن يستلم عرشه حتى ظهرت شخصية غازان خان حاكم خراسان ونازعه الحكم ودخل معه في صراع إلى أن استطاع غازان التغلب على بايدو بمساعدة من وزيريه طغاجار والأمير نوروز .

---

[1]– فهمي:المرجع السابق، ص 182، 183.

[2]– جاو مبارك: (الشاو) عملة ورقية عرفت عند أهل الصين منذ القرن الثالث هجري التاسع ميلادي ونقش عليها انه بتاريخ ثلاث وتسعين وستمائة تم تداول هذه العملة وكانت قيمة الجاو مدونة داخل دائرة في وسط العملة وتختلف من نصف درهم إلى عشرة دنانير.أنظر: شبولر:العالم العالم الإسلامي في العصر المغولي،تر: خالد أسعد عيسى، مر:سهيل زكار، ط1، دار حسان للطباعة والنشر،دمشق، 1982، ص 71.

[3]– ابن الفوطي:المصدر السابق، ص 324.

[4]– فهمي: المرجع السابق، ص186.

يعتبر عهد بايدو خان آخر عهد للوثنية في الايلخانية إذ ستعرف الدولة عودة الإسلام كدين رسمي لها بداية من عهد غازان خان وهو ما سنأتي على ذكره في الفصل المتعلق بانتشار الإسلام .

4.تفكك الايلخانية (العهد الجلائري):

يعد السلطان أبو سعيد آخر إيلخانات الأسرة المغولية الذين حكموا بلاد فارس ذلك لأن أبا سعيد لم يترك وريثا للعرش وكانت نهاية لحكم أسرة هولاكو خان وزوال دولتهم فبعد سنوات قليلة من وفاته سنة736هـ/1335م صار العرش الايلخاني محل نزاع بين أفراد الأسرة وقادة الجيش والوزراء وأدت هذه الحالة السائدة إلى تلاشي الدولة نهائيا سنة 756هـ/ 1355م، ونجد تعليقا للقلقشندي على هذه الأوضاع بقوله :" وبموته – أي السلطان أبي سعيد – تفرقت المملكة بأيدي أقوام وصارت شبيهة بملوك الطوائف من الفرس "[1].

ويشير كذلك القلقشندي في نص نقله عن مسالك الأمصار في وصف حالة الفوضى السائدة قائلا :" وكان العهد بهذه المملكة لرجل واحد وسلطان مفرد مطاع وعلى هذا مضت الأيام إلى حين وفاة أبي سعيد فصاح في جنباتها كل ناعق وقطع رداءها كل جاذب وتفرد كل متغلب منها بجانب فهي الآن نهبى بين أيديهم "[2] ، وصارت أراضي الايلخانيين منقسمة بين عدة أسر وهي:

-دولة آل كرت وعاصمتها هرات .

- دولة السربداريين[3] وعاصمتها سبزاور

[1]- القلشندي: المصدر السابق، ج 4، ص 420.

[2]- نفسه، 421.

[3]- السربداريين: تقع في شمال شرق رايران وتحديدا في إقليم خراسان حكمت هذه الأسرة بعد وفاة أبي سعيد واتخذت المذهب الشيعي وقامت علت أنقاض الدولة الإيلخانية بعد أن استغل نؤسسها عبدالرزاق بن شهاب الدين فضل الله الباشتيني (ت738هـ) موت أبي سعيد فأعلن الثورة على الدولة واتخذ من سبزاور عاصمة له.أنظر: راكان ذعار المطيري: الصفويون السنة (دراسة تاريخية في الجذور السنية للدولة الصفويةفي إيران)، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ص ص 1590، 1591.

– دولة المظفريين[1] عاصمتها شيراز.

– دولة الجلايريين أو الإيلكانيين واتخذوا من بغداد وتبريز عواصم لهم، وتعد هذه الدولة امتدادا للايلخانيين نظرا لصلة القرابة والنسب،كما كانلهم علاقة قوية ومتينة بحكام مصر في ذلك الوقت،حيثاهتم سلاطينها بالأدب الفارسي وبالشعراء الفرس،وعرف عن حكامها حبهم للشعر ونظمه[2]، ويمكن أن نحصر الصراع حول الاستيلاء على مقر الحكم في أسرتين كان لهما دور في الحياة السياسية للايلخانية قبل هذا العهد وهما :أسرة الأمير جوبان وأسرة الأمير حسن جلاير الذي يعود له الفضل في تأسيس دولة الجلائريين.

[1]– المظفرية : نسبة إلى إلى الأمير مظفر الدين، حكمت في المناطق الجنوبية لإيران وتحديدا فارس وكرمان وأصفهان وترجع أصولها إلى العرب اين قدموا زمن الفتوحات الإسلامية واستقروا في خراسان وقد اتصلنت بالايلخانيين ونالوا ثقة حكامها حيث تولى الأمير مظفر الدين قيادة جزء من الجيش الايلخاني.أنظر: نفسه، ص 1590.

[1]– شعبان طرطور: المرجع السابق، ص5.

[2]– نفسه.

ثالثا / مغول تركستان (آسيا الوسطى):

1.التعريف بمغول تركستان:

المقصود بآسيا الوسطى الأقاليم التي تتوسط آسيا والتي تشمل تركستان[1]وبلاد ما وراء النهر وغزنة[2] وظهرت هذه المملكة مع التقسيم الذي وضعه جنكيزخان وكانت من نصيب ابنه الثاني جغتاي الذي اشتهرت باسمه أي مغول جغتاي،كماعرفت بمملكة ما وراء النهر أو مغول تركستان، ويأتي صاحب طبقات ناصري على ذكر جغتاي فيقول: "كان جغتاي الابن الثاني لجنكيزخان وكان رجلا ظالما وقاتلا سيئ الأفعال ولم يكن هناك شخص من قواد المغول أكثر عداوة منه للمسلمين وكان لا يروق لجغتاي أن يذكر أي مخلوق قط المسلمين إلا بسوء"[3]، وعن موطنه ومقر إقامته فإنه ذكر بأنها كانت في الموطن الأصلي للمغول وذكر كذلك ما منحه إياه جنكيزخان من الولايات التي كانت تحت تصرفه وكانت جيوشه في كل موضع فيما وراء النهر وفرغانة وأوترار وبناكت، وتركستان وظل جغتاي على رأس قبائله وجيشه عدة سنوات إلى أن مات[4].

اشتهرت الأراضي التي خصصها جنكيزخان لابنه جغتاي بالعديد من التسميات منها مملكة جغظاي أو مملكة تركستان أو مملكة بلاد ما وراء النهر، وقد توارثها أولاده من بعده[5]حتى ظهور تيمور لنك واتخذوا من سمرقند عاصمة لهم لتشمل هذه المملكة تركستان وبلاد ما وراء النهر وغزنة ونجد أن هذه البلاد تعاقب عليهاالعديد من الدول الإسلامية التي تركت بصمتها في الحضارة كالدولة الغزنوية (531- 555هـ/961-

[1]- تركستان: بلاد واسعة منسوبة لشعبها من الترك والايغور إحدى قبائل هذا الشعب وكانت هي الأخرى تشمل العديد من المدن الهامة مثل فاراب وكاشغر وختن وجند وأسفيجاب والماليق وغيرها.أنظر: رجب عبد الحليم:المرجع السابق،ص 277.

[2]- غزنة: يلفظها العامة بغزنة وعند العلماء تعرف بغزنين وهي مدينة واسعة في طرف خراسان والحد بينها وبين الهند، ومنطقة معروفة وتشكل جزء مما يعرف اليوم بأفغانستان وكانت غزنة حاضرة للدويلات إسلامية عديدة منها الدولة الغزنوية (531-555هـ/961- 1160م) ثم الدولة الغورية (555-612هـ/1130–1215م)ثم استولى عليها الخوارزميين بضع سنوات حتى سقوطها على يد جنكيزخان وضمها لممتلكاته سنة 1217م. أنظر: الحموي: المصدر السابق،مج4،ص 201؛رجب عبد الحليم:المرجع السابق ،ص277 .

[3]- الجوزجاني: المصدر السابق،ج2 ، ص 181

[4]- نفسه؛ سعاد هادي حسن الطائي: المرجع السابق، ص 13(هامش01).

[5]- أنظر الجدولرقم (03)

1160م) ثم الدولة الغورية (555- 612هـ/ 1160-1215م) ثم استولى عليها الخوارزميون لتؤول إلى جنكيزخان الذي أوكل مهمة تسييرها في حياته إلى محمود يلواج[1] ثم ابنه مسعود بك .

2.إيلخانية تركستان في ظل المغول العظام:

يظهر لنا من خلال ما توفر من مادة حول هذه المملكة أنها تختلف عن مغول القفجاق والايلخانيين في فارس فهذه المملكة فرغم أنها حددت من طرف جنكيزخان لابنه جغتاي إلا أن السلطة الفعلية لم تكن بيده وأنها كانت تحت تسيير الخان الأعظم مباشرة: فمثلا تم تعيين مسعود بك ابن محمود يلواج لتسيير شؤون ما وراء النهر من طرف أوكداي خان (626- 639 هـ/1229–1241م)[2] وخليفته كيوك (644- 647 هـ/ 1246 – 1249م)[3] ويضيف بارتولد أن الأراضي الممتدة إلى سمرقند وبخارى كانت تحت حكم محمود يلواج قبل أن يعين حاكما على بكين رغم أنها كانت خاضعة لجغتاي[4].

ويمكن لنا أن نعزز هذا بما ذكره القلقشندي حول عدم ممارسة جغتاي لأي دور في مملكته :"كان جنكيزخان قد أوصى بمملكة ما وراء النهر لولده جداي ويقال جغطاي فلم يتمكن من ذلك"[5] والذي حدث أن هذه المملكة ظلت تخضع للمتغيرات التي تحدث في الخانية العظمى في منغوليا وبالتحديد قراقورم، لذا هي لم تأخذ طريقها لتكوين مملكة يتوارثها أبناء جغتاي بطريقة مرنة وسلسة مثلما حدث عند الايلخانيين في فارس، وقد ترك جغتاي حفيده قراهولاكو[6] خليفة له، لكن الخان الأعظم كيوك خان قام بعزله وعين بدله

---

[1]- محمود يلواج: هو فخر الدين أبو القاسم محمود بن محمد وهو من أهم أعيان دولة جنكيزخان وأهم وزرائه وهو حاكم البلاد الشرقية من شاطئ نهر جيحون إلى منتهى بلاد الخطا وبقي في منصبه هذا حتى عهد منكوخان بن جنكيزخان ، فرتب الممالك ونظم أمور الدولة كان نائبا سديدا وكان يتقن لغات عدة منها الخطائية والمغولية والايغورية وغيرها ، كانت وفاته سنة 652هـ/ 1254م ودفن في مدين خان بليق. أنظر: سعاد هادي حسن الطائي:المرجع السابق، ص 16(هامش 27).

[2]-الصياد:المغول في التاريخ، ص 189.

[3]- طقوش:تاريخ المغول العظام والإيلخانيين، ص 113.

[4]- و.بارتولد:تاريخ الترك في آسيا الوسطى، تر: أحمد السعيد سليمان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996، ص 204.

[5]- القلقشندي:صبح الأعشى، ج4، ص 449.

[6]- قراهولاكو : الابن الرابع لمواتوكان (ماتيكان) ابن جغطاي أي أنه حفيد لجغطاي وقد عهد له جغطاي بخلافته وقد كانت زوجته المدعوة أركنة خاتون .أنظر: الهمذاني:جامع التواريخ تاريخ خلفاء جنكيزخان من أوكتاي قاان إلى تيمور قاان، تر:فؤاد عبد المعطي الصياد، مر: يحي الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت)، ص 143.

ييسومنكو(مونككا)[1] أكبر أبناء جغتاي لأنه في نظره لا يمكن للحفيد أن يرث العرش في ظل وجود الابن[2]، وكان ييسو منكو هذا لا يفيق من السكر لدرجة أن زوجته وتسمى " نايشي" هي التي تكفلت بإدارة شؤون المملكة[3]، ولكن باعتلاء مانكو خان (648–655 هـ/ 1250–1257م) سدة الحكم تلقى البيعة وأنواع الفروض والطاعة من قواد المغول إلا أتباع جغتاي الذين رفضوا هذه البيعة واتخذوا موقفا معاديا من الخان الجديد وزيادة على ذلك أظهروا التمرد والعصيان، وفي مراوغة منهم أرسلوا الرسل إلى منكوخان قائلين:"حينما تجلس على العرش، سوف نأتي طائعين للتهنئة"[4]وهم في الواقع يخططون للقضاء عليه، وما إن سمع منكوخان بما يحاك ضده من مؤامرة فإنه أعد الجيش لملاقاة العصاة وقبل أن يبادرو بالهجوم باغتهم وكما قال الجوزجاني :" وأعملوا السيف واستقبلوا بها كل من كان من أتباع جغتاي وجيشه فقضوا على الجميع واستراح خاطره واستقر الملك لمنكوخان واعتلى عرش الصين وبلاد تركستان"[5] وأعاد مانكو خان **قراهولاكو** إلى منصبه وطلب منه أن يتخلص من **ييسو منكو** عن طريق حملة تهدف إلى القضاء على أتباع جغتاي وأوكداي والوصول إلى متاخمة حدود أملاك جوجي الموجودة تحت حكم باتوخان، ولم يثن موت قراهولاكو الجيش عن مسيره باتجاه ييسومنكو الذي وقع أسيرا وقتل.

وتم تعيين أورقنة خاتون (أركنة)[6] لتسير المملكة باسم ابنها مبارك شاه[7] لصغر سنه وبهذا الأمر استطاع منكو خان أن يبسط نفوذه على الأقاليم رفقة باتوا وقد قال في هذا الشأن :" كما أن الشمس تنشر شعاعها

---

[1]– ييسو مونككا: الابن الخامس لجغتاي عينه كيوك خان على رأس الجغتائيين بدل قراهولاكو.أنظر: الهمذاني:تاريخ خلفاء جنكيزخان، ص 150.

[2]– الجويني:المصدر السابق، 259.

[3]– فلاديميروفتش بارتولد فاسيلي:تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، قسم التراث الوطني، الكويت، 1981، ص677.

[4]– الجوزجاني:المصدر السابق، ص 194.

[5]– نفسه، ص 195.

[6]– أرقنة (أركنة) خاتون: وهي زوجة قراهولاكو ووالدة مبارك شاه برزت في الصراع الدائر بين قوبيلاي خان وأريغ بوكا حول عرض المغول.أنظر : الهمذاني: تاريخ خلفاء جنكيزخان، ص143؛ ف.بارتولد:المرجع السابق، ص 690.

[7]– مباركشاه: ابن قراهولاكو بن جغتاي وأمه أركنة خاتون وهي من عملت على تملكه وذكر الهمذاني انه أسلم ولم يسمح بأن يلحق بالرعايا الظلم والجور. أنظر : الهمذاني:تاريخ خلفاء جنكيزخان، ص 151.

على كل مكان كذلك يمتد سلطاني وسلطان باتوا إلى جميع الأطراف"[1]، وهذه إشارة إلى امتداد نفوذه خاصة بعد أن قضى على نفوذ عائلة جغتاي وفقد أفرادها مراكزهم في هذا العهد وكان نصيبهم إما القتل أو النفي (فيما عدا قرا هولاكو الذي مات ميتة طبيعية) ونشأ أطفالهم في مقر الخان الأعظم ويعلق الجوزجاني قائلا :" ... وهكذا فعل منكو بحيث لم يبق أثر من جيش جغتاي على وجه الأرض إلا بعض أبناء جغتاي الذين ذهبوا إلى الصين عند آلتون خان في طمغاج"[2].

وحدث أن أعيدت لمن تبقى من أفراد هذا البيت بعض المناطق من أملاكهم في عهد قوبيلاي خان[3] وظلت أورقنة خاتون تحكم بالماليق حيث استقبلت هناك هولاكو سنة 1254م الذي كان في طريقه إلى الغرب لتنفيذ أوامر الخان الأعظم، وواصل مسعود بيك حاكما للولايات الإسلامية في هذه الأطراف وأضيفت له بلاد الأويغور أيضا باسم منكوخان وباتو[4].

بعد وفاة مانكوخان سنة655هـ / 1257م نشبت حرب أهلية بين أبناء تولوي بسبب منصب الخانية العظمى ولأول مرة أصبح هناك حاكمان للإمبراطورية المغولية أحدهما قوبيلاي خان الذي نصب نفسه خانا على الصين ويدعمه قادة الجيش، والأخر شقيقه أريق بوكا في منغوليا ويسانده معظم أقارب الأسرة الحاكمة[5]، ولم تكن مملكة جغتاي بمنأى عن هذا الصراع فحاكمة البلاد أورقنة خاتون أبدت دعمها لأريق بوكا، وقد قام قوبيلاي بمحاولة للاستيلاء على ممالك جغتاي فندب لهذا الأمر أميرا من الأمراء ويدعى **أبيشقة بن بوري** ولكن أنصار أريغ بوكا قطعوا عليه الطريق ببلاد التانغوت وقتل بأمر من أريق بوكا ومن جهته أريق بوكا لم يعتمد على أورقنة خاتون فقرر أن يرسل إلى تركستان أميرا من نسل جغتاي من أجل السيطرة على تلك الأنحاء ويقطع الطريق أمام كل من هولاكو خان وبركة خان إذا حاولا تأييد قوبيلاي خان[6]، ويذكر بيرتولد أن من أولى الانعكاسات لهذا الوضع المتأزم هو عجز منغوليا وحاكمها الجديد أريق بوكان عن تأمين المواد الغذائية

[1]- و.بارتولد:المرجع السابق ،ص 205.

[2]- الجوزجاني:المصدر السابق، ص 195.

[3]- ف.بارتولد:المرجع السابق، ص 689.

[4]- نفسه، ص 690.

[5]- ابن العبري: المصدر السابق، ص 491؛ رنسيمان ستيفان:تاريخ الحروب الصليبية، تر: السيد الباز العريني، ج3، ط3، 1993، ص531؛الصياد:المغول في التاريخ، ص 216.

[6]- ف.بارتولد:المرجع السابق، ص 699.

خاصة القمح من الصين فعمل على إيفاد الأمير **ألغو**[1] أحد أبناء جغتاي إلى تركستان من أجل الحصول على حاجاتهم من القمح والأسلحة ولم يكن يدر في خلده أن هذا الأمير يعمل على تنفيذ مخطط لحسابه الخاص ويكون لصالح قوبيلاي ولو بطريقة غير مباشرة، وهذا المخطط هو إخضاع الولايات التابعة لشعب جغتاي ووصل إلى خوارزم الداخلة تحت نفوذ أبناء جوجي، وبعد الشكوى التي لحقت إلى أريق بوكا عن طريق **أركنة خاتون** أعلن الحرب على **ألغو** كانت نتيجتها هزيمته على يد ألغو، وقام ألغو بتعيين مسعود بك واليا على سمرقند وبخارى واستطاع أن يفتح أوترار قبل وفاته سنة 1266م[2] .

وبعد وفاة ألغو خان سنة 1264م تم تعيين "**مبارك شاه**" وهو ابن أركنة خاتون خانا على مملكة جغتاي ولكن ما لبث أن عين قوبيلاي آخر الخانات العظام (658-693هـ/1260-1294م)أحد الأمراء الجغتائيين وهو "**براق**"[3]، وأعطى تعليماته بضرورة تقاسم المهام معا، ولكن هذا التعيين لم يمنح تركستان الاستقرار، فنجد أن براق هذا أيقن بأن مبارك شاه قد ثبت نفسه في السلطة، فتظاهر وكأنه لاجئ وطلب منه السماح له باتخاذ منطقة "**جغانيان**"مكانا لإقامته ومن هناك عمل على لم شمل أفراد عائلته وأتباعه وحتى من أمراء مبارك شاه إلى أن وضع يده على ما وراء النهر وأمام تعاظم نفوذه وجد "**مبارك شاه**" نفسه أمام حتمية الاستسلام لبراق وبدية من سنة 663هـ/1264م صار"**براق خان**" سيدا على العرش في مدينة أوزكند[4] ووضع يده على جميع أملاك ألغو وأرقنة خاتون وأدرك قوبيلاي بأن هذا الفتى الطموح لن يكون أداة طيعة في يده فوجد نفسه أمام تفعيل خطة سلفه منكوخان من أجل القضاء على كل أتباع جغتاي ويفتح الاتصال بهولاكو خان في الغرب لكن أوضاعه لم تسمح بتنفيذ خطته لانشغاله بالحرب ضد الصينيين وفي ظل هذا واصل براق مد نفوذه واستولى على مدينة **ختن**، وبهذا تقلص نفوذ قوبيلاي خان في تركستان، ويبدو أن براق لم ينعم بما حققه من

[1]- ألغو: وهو ألغو بن بايدار الابن السادس لجغتاي أراد أريق بوكا تعيينه على المملكة وكلفه بتحصيل الأموال والمؤن وكل المستلزمات، توفي سنة 662هـ / 1263م.أنظر:الهمذاني:تاريخ خلفاء جنكيزخان، ص 150.

[2]- و.بارتولد:المرجع السابق، ص 206.

[3]- براق: براق بن بيسو توا ابن مواتوكان ابن جغطاي وهو بدوره له خمسة أولاد وهو بكتيمور، دوا، توقته، أولاداي ، بوزمه، وقد كان عند قوبيلاي فأرسله ليرأس مملكة جغطاي. أنظر: الهمذاني: تاريخ خلفاء جنكيزخان، ص 140.

[4]- ف.بارتولد:المرجع السابق، ص 707.

انتصارات فقد ظهر أحد أحفاد أوكداي وهوقايدو[1] الذي كان ضمن جيش أريق بوكا، وحتى بعد اختفاء أريق بوكا عن الساحة السياسية واصل قايدوا حربه وفي سنة667هـ/1269م وعقد مجلسا عاما تقرر فيه الدفاع عن الأراضي المزروعة ضد غارات البدو، ويبدوا أن المغول لم يكن لهم بديل عن مسعود بك فهو الوحيد الذي حافظ على منصبه رغم كل الظروف التي مرت بها المنطقة فحتى قايدو هذا عينه مع ابنيه الكبيرين لإدارة المناطق الحضرية[2].

3.علاقة الجغتائيين بالايلخانيين في إيران :

عرفت العلاقة بين الطرفين عداء مستمر في أغلب الفترات، فقد مثّل كل منهما خطر على الآخر وجب التخلص منه، وكانت الحدود هي السبب المباشر للنزاع بين الأسرتين، إذ نجد أن الامتداد الطبيعي لإيران محمي بسلاسل جبلية عالية، جبال القوقاز من الجنوب الغربي، وجبال زاغروس في الغرب والجنوب الغربي، وهضبة بامير، وجبال هندوكوش وامتداداتها في الشرق ولم تكن هناك منطقة مفتوحة إلا المنطقة الشمالية الشرقية في بلاد ما وراء النهر، ومن هنا وجد مغول التركستان منفذا لهم لشن غاراتهم على إيران، وبما أن الإيلخانيين مثلوا عدوا مشتركا لمغول القبيلة الذهبية والجغتائيين فإن هؤلاء عملوا على تكوين حلف لضربهم[3]،والواقع أنه لم يحدث أن تحقق أي هجوم بين الطرفان، وهناك إشارات إلى وجود بعض المناوشات العسكرية بينهما، والتي كان سببها النزاع القديم الذي كان يتكرر كلما غفل الإيلخانات عن الجهة الشرقية من دولتهم ومنها ما حدث في عهد السلطان محمود غازان عند ما كان بصدد إخضاع ثورة الابن الأكبر لبايدوا حيث حاول مغول ما وراء النهر بقيادة "أوجاي بنبراق خان" للإغارة على خراسان فألحقوا بها الخراب والدمار ووصلت هذه الحملة إلى مازندران وحالوا الوصول إلى العاصمة تبريز فتصدى لهم الأمير نوروز ضرب عليهم حصارا استطاع من خلاله القضاء على هذه الحملة[4].

---

[1]- قايدو: قايدو بن قاشي بن اوكداي بن جنكيزخان وأمه تدعى سنكه وقد تربى في معسكر جنكيزخان وبعد أوكتاي صار ملازما لمنكوخان وبعدها لازم أريق بوكا واشترك معه في القتال ضد قوبيلاي واستطاع بفضل دهائه وعقله أن يكون قوة لا يستهان بها فساس الأمور عن طريق المكر والخديعة .أنظر : الهمداني:تاريخ خلفاء جنكيزخان، ص 21.

[2]- و.بارتولد:المرجع السابق، ص 207.

[3]- طقوش: تاريخ المغول العظام والإيلخانيين، ص 226.

[4]- فهمي:المرجع السابق، ص 194.

وتعرضت الإيلخانية إلى غارة أخرى أثناء توجه السلطان غازان إلى محاربة المماليك أين استغل مغول تركستان عدم وجود العدد الكافي من الجيش على الجهة الشرقية وعملوا على غزو المنطقة، وخلفت هذه الغزوة خسائر في ممتلكات الإيلخانية وهو ما جعل السلطان غازان يعود لإعادة الأمور إلى نصابها فوجه حملة إلى تلك الجهات حيث استطاع إيقاف العدوان وسحق القوات التي أغارت على الدولة.

رابعا / مغول الصين (أسرة اليوان):

يعد قيام الدولة المغولية في الصين والتي عرفت بحكم (أسرة يوان) بداية من عهد قوبيلاي خان (658-693هـ/1260-1294م) والتي استمرت إلى غاية (770هـ/1368م) واحدا من أهم الأحداث الحاسمة في تاريخ الإمبراطورية المغولية بالنظر إلى ما تركته من بصمات وآثار على آسيا عامة والصين خاصة ونحاول التطرق في هذا العنصر إلى أهم النقاط الفاصلة في عهد قوبيلاي خان.

تعد الصين من المناطق التي تعرضت للغزو المغولي في بدايته، واتخذها قوبيلاي خان عاصمة لملكه خاصة بعد أن ألحق جنوبها بشمالها لانجذابه لحضارة الصينيين وعادتاهم، إلى هذا الوقت كانت منغوليا المنطقة الأصلية لجنكيزخان وعاصمتها قراقورم هي مكان حكم الخوانين العظام وبعد وفاة جنكيزخان كانت هذه الأراضي[1] من نصيب ابنه الأصغر تولوي واستمر في إدارة عاصمة الإمبراطورية والمناطق التابعة مدة عامين 624-626هـ/ 1227-1229م بصفته وريثا للعرش استنادا إلى العرف المغولي السائد يساعده ثلاثة مستشارين إلى أن أنتخب الخان الجديد[2].

1.فتح الأقاليم الشمالية للصين :

لقد تمكن جنكيزخان من تحقيق العديد من الانتصارات على الصينيين لكنها لم تصل إلى حد إخضاع كل الأقاليم الصينية، وقد انتزع بعض الأجزاء فقط من مجمل الأراضي الشاسعة مثل جزيرة شانتونج وأطراف خليج بنشلي والعاصمة الأولى بكين، وظلت أسرة كين تحكم سيطرتها على باقي المناطق كما أنها شكلت خطر على المغول وقامت باسترداد قسم كبير من مملكتهم بعد رحيل جنكيزخان مباشرة، واتخذت من مدينة

[1]- الصياد: المغول في التاريخ، ص 165.

[2]- الهمذاني:تاريخ خلفاء جنكيزخان، ج1، ص 29؛ الصياد:المغول في التاريخ، ص 165؛العريني:المرجع السابق، ص 156.

"**كاي فونج**" في هونان عاصمة لها[1]،غير أن الغزاة لم يكن لديهم استعداد للسماح لهذه الحركات الاسترادادية في الصين، وكان علىخلفاء جنكيزخان أن يحافظوا على كل الأقاليم الخاضعة لهم، لذا نجد من الأعمال التي قام بها أوكتاي خان (626-639هـ/1229-1241م) هو تجهيزاته لاقتحام الصين فجيش الجيوش وأعد العدة لذلك وفي سنة 627هـ/1229م تحرك مع أخويه جغتاي وتولوي إلى سهل "**هوانج هو**" ثم قسمت قواتهم إلى جيشين رئيسيين هجم أحدهما من الشمال بقيادة أوكتاي واختار الآخر الهجوم على الجنوب بقيادة تولوي وانتهت المعارك بانتصار المغول على القوات الصينية انتصار ساحقا واستخلصوا منهم مساحات شاسعة من الأراضي .

بعد هذا أوكل المغول مهمة إخضاع العاصمة "**كايفونج**" إلى القائد "**سوبوتاي**" وقابله الصينيون باستعداد كبيرة للتصدي له وضرب سوبوتاي حصار على المدينة 1233/631م استمر مدة طويلة إلى غاية سقوط المدينة رغم الصمود الكبير الذي أبداه الصينيون، وقام المغول كعادتهم بقتل معظم سكان المدينة[2]، ولم ينجوا منهم إلا القليل ولو لا تدخل الوزير"**يي ليوتشوتساي**"[3] لدمرت المدينة بأكملها حيث التمس هذا الأخير من أوكتاي بألا يدمر المدينة ويلحقها بالأملاك المغولية وبهذا تم للمغول الاستيلاء على أقاليم الصين الشمالية بأكملها.

وقد ترك المغول تسيير الصين للوزير "**يي ليوتشوتساي**"لما تمتع به من كفاءة وسداد رأيفأخذ على عاتقه تنظيم هذه الأقاليم بإرادة حازمة وقمة في التنظيم معتمدا في ذلك على الكتاب والعمال من الصينيين والأيغوريين والإيرانيين وأهل التبت، وعمل على تنظيم الشؤون المالية وضبط التعاملات ثم عمل على إعداد ميزانية ثابتة للإمبراطورية عن طريق تأدية الضرائب نقدا ونوعا من مختلف المنتجات كالحرير وكميات الحبوب وقام بتشييد مدينة خان باليغ في بكين[4].

---

[1]- الصياد:المغول في التاريخ، ص 184.

[2]- أحمد حطيط:المرجع السابق، ص ص 50 ،51.

[3]- يي ليوتشوتساي: وهو من الصين الشمالية عمل عند آل كين تمتع بثقافة عالية ودرس علوم الفلك والجغرافيا والأدب وفي سنة 612هـ/ 1215م كان حاكما على مدينة بكين ولاه جنكيزخان العديد من المناصب وصحب جنكيزخان في مختلف حملاته التوسعية .أنظر: الصياد: المغول في التاريخ،ص 156.

[4]- الصياد:المغول في التاريخ، ص 189.

وفي عهد مانكو خان (649-657هـ/1251-1259م) تم تجهيز حملة سنة 654هـ/1256م بقيادة أخيه قوبيلاي لإخضاع أقاليم الجنوبية للصين التي كانت لا تزال تحت سيطرة أسرة سونج وتمكن قوبيلاي من إخضاع قسم من هذه الأقاليم وبينما هو في مهمته وصله نبأ وفاة أخيه مانكوخان سنة 655هـ/1257م فترك أمر الغزو وعاد إلى شمال الصين ليحضر تعيين الخان الجديد.

بعد أزمة الحكم التي ظهرت عقب وفاة مانكو خان أضحت الصين مركزا لقوبيلاي خان الذي رفض أن يكون أريق بوكا حاكما على المغول لذا عقد مجلسا خاصا سنة 658هـ/1260م في مدينة "كي مينج فو" وأعلن من خلاله خلع أخيه أريق بوكا ونصب نفسه حاكما للمغول.

لم يكن قوبيلاي خان ليهنأ بمنصبه إلا إذا تخلص من مناوئيه وأولهم شقيقه أريق بوكا والاستيلاء على العاصمة قراقورم، فكان له ذلك سنة 662هـ/ 1263م، وبعدها تفرغ إلى الصين الجنوبية لمدة عشرين سنة بذل فيها قوبيلاي خان جهودا جبارة من أجل إخضاعها[1] وتم له ذلك نهائيا سنة 678هـ/1288م وقضى على أسرة سونج وربط شمال الصين بجنوبها .

وفي عهد العاهل المغولي بلغت الإمبراطورية المغولية ذروتها في التوسع والامتداد فضمت الصين وكوريا والهند الصينية والتبت والهند إلى حدود نهر الغانج وإيران وآسيا الصغرى والقرم وجزءا كبيرا من روسيا إلى حدود نهر الدنيبر[2]، وكان من الضروري إيجاد نظام يتحكم من خلاله قوبيلاي خان في هذه الأراضي الشاسعة.

2.الإصلاحات في عهد قوبيلاي خان :

2.1الصين العاصمة الجديدة:

عند اعتلاء قوبيلاي خان خامس الخوانين العظام الحكم سنة (658هـ/1260م) قام بنقل مركز الحكم إلى مدينة خان باليغ[3] الصينية بدلا من قراقورم ولعل هذا الاختيار عائد إلى الأزمة السياسية التي كانت بين

---

[1]- الصياد:المغول في التاريخ ، ص ص 216، 217.

[2]- طقوش:تاريخ المغول العظام، ص 171.

[3]- خان باليغ : كانت تدعى "جوندكو" بالخطائية وهي عاصمة لملوك الخطا المدينة التي باشر ببنائها قوبيلاي خان قبل أن يتولى العرش في سنة 653هـ/ 1255م وقد أنشئت على أطلال مدينة قديمة حيث ذكر رشيد الدين أنها منذ أقدم الأزمنة وقد شيدت بناءا على اختيار المنجمين والحكماء واعتبرت دائما مقترنة بكامل السعادة والإقبال ولأن جده جنكيزخان قام بتدميرها فأراد هو يعمرها وبنا بجانبها مدينة اسمها "داي دو" . أنظر: الهمذاني:جامع التواريخ ، ج1، ص 271.

قوبيلاي خان وشقيقه أريق بوكا حول عرش الخانية، والابتعاد عن مشاكل الحكم والمناوئين له في منغوليا خاصة من العائلة الجنكيزخانية، ولا يمكن إغفال الانبهار الذي أبداه قوبيلاي بحضارة الصينيين، وقد عرف الحكم المغولي في الصين بداية من هذا العهد باسم أسرة يوان المغولية[1].

مثل تحول المغول عن عاصمتهم وقاعدة حكمهم وموطنهم الأصلي منغوليا بداية عهد جديد للمغول في مختلف الجوانب، فبانتقال المغول من مركز حكمهم المتميز ببيئته الصحراوية الرعوية إلى أعرق مراكز الحضارة في تلك الفترة والأكثر تمدنا انعكس على مظاهر الحياة العامة للمغول وأدى بهم إلى الامتزاج في تلك الحضارة لعدم قدرتهم على مقاومتها.

2.2.الإصلاحات الإدارية :

يبدو التأثر بالنظام الإداري الصيني واضحا من خلال الإصلاحات التي قام بها قوبيلاي فظهور نظام التسلسل الهرمي للوظائف الإدارية العليا في البلاد دليل على ذلك وعرفت العاصمة الجديدة للمغول وجود سبعة مناصب إدارية لم تكن أغلبها معروفة عن المغول ويأتي على رأس النظام الأمراء العظام "**الجونغ سانغ**" أو **الجينكسنك**[2] وهذه الوظيفة لم يسبق للمغول أن مارسوها سواء في الخانية العظمى أو باقي الإيلخانيات المرتبطة بها. ويأتي ثانيا في التسلسل الإداري منصب الوزارة وقد سبق للمغول أن عرفوا هذا المنصب غير أنه خضع للتسمية الصينية في عهد اليوان وعرف باسم "**فنجان**"[3]، ويندرج تحت هذين المنصبين خمس مراتب من الوظائف السامية وهي تحمل مسميات صينية الأصل وهي على الترتيب (بوجينك) (زوجينك) و(سم جينك) و(سمي) و(لنجون) أو (كنجون)

[1]– اليوان: كلمة صينية ذات معاني مختلفة أهمها الأصل والقوة اللامتناهية.أنظر:هيئةتحري:"التأثيراتالحضارية الصينية على حكم أسرة اليوان"، مجلة آداب البصرة، كلية الآداب، جامعة البصرة، العراق، 2015، ص 18.(هامش 12).

[2]– يبدو التأثر واضحا من خلال المصطلحات فهي باللغة الصينية وبما ان المغول لم تكن لهم لغة تقاوم اللغة الصينية فإنهم اعتمدوا على كل ما هو صيني .

[3]– جرت العادة أن يتم تعيين أربعة فناجين (وزراء) يمثلون مختلف الأقوام الكبيرة المنضوية تحت لواء الإمبراطورية المغولية وكان أحد هؤلاء الوزارة الأربعة يتبوأ الرياسة بينهم وكان يطلق عليهم "شوفنجان" والتي تعني "زبدة الفناجين أو مقدم الفناجين".أنظر: الهمذاني:جامع التواريخ، ج1، ص 276.

وعرف المغول في الصين نظام (الشينك) أو الديوان الأعظم وهو بمثابة الإدارة المركزية وهو مشابه في وظيفته لديوان الممالك الذي عرفه المغول الايلخانيون في فارس وهو في غاية الكمال والدقة فيما يخص الإدارة والأنظمة، وأعطى رشيد الدين وصفا لهذا النظام بقوله:" أن الديوان الشينك كان واسعا ويقدر بمساحة قرية وفيه دور وغرف كثيرة مع مرافقها وتوابعها ويقوم الغلمان والخدم الكثيرون بملازمة الموظفين والقيام على خدمتهم"[1].

وفيما يخص نظام الهيئات والتي تكمل الإدارة والملحقة بهذا الديوان فإن مهامها كانت تتمثل في تعيين حكام الولايات وإرسال الموظفين الإداريين الأكفاء ويطلق عليهم اسم (الماندرين) وهي الطبقة الإدارية الجديدة التي ظهرت في ظل حكم أسرة اليوان.

لقد أتت الغزوات المغولية على مختلف مظاهر الحياة في الصين واستفاقت البلاد على دمار اقتصادي وانتشار المجاعة وأهملت الزراعة وتحولت أراضيها إلى أراض بور وتضرر الفلاحون جراء ذلك وتحولوا من مزارعين إلى لصوص يقطعون الطريق[2]، فكان على الحكام الجدد أن يعملوا على إعادة تعمير ما تم تخريبه، ففي الجانب الزراعي فإن الوزير "**يي ليوتشوتساي**" قال:"لو سمح لأبناء قومية هيان أن يزرعوا ويدفعوا الجباية والضرائب فذلك يفيد نبلاء المغول" ونصحهم بترك ما يضر الإنتاج الزراعي، لذا كان على قوبلاي خان أن يعمل بجد على النهوض بالزراعة في هذه البلاد وأطلق سياسة زراعية بدأها بالمعاملة الحسنة للمغلوبين وبعث الثقة في نفوسهم وقضى على قطاع الطرق وحث الناس على العودة إلى الأماكن المهجورة الخربة، ووجه أوامره إلى إنشاء الدائرة المسئولة عن الزراعة وتكليفها بإدارة شئون الزراعة وتربية دودة القز في أنحاء البلاد وأرسل المرشدين الزراعيين إلى تفقد أحوال الإنتاج في أرجاء البلاد وطلب منهم أن يكتبوا إلى الحكومة المركزية تقارير نتيجة التفقد، وبالإضافة إلى ذلك عملت دائرة الزراعة على مراجعة الكتب القديمة وجمع الخبرات والتجارب المتقدمة من أوساط الشعب حتى أتمت تأليف كتيب بعنوان "مهمات الزراعة وتربية دودة القز"ووزعته على أنحاء البلاد من أجل تشجيع الناس على ممارسة النشاط الزراعي، وتم إنشاء دائرة مسئولة على إدارة شئون حفر القنوات والري وجمع اليد العاملة اللازمة اليومية في أنحاء البلاد لترميم النهر الأصفر وتشييد منشآت الري[1].

[1]- الهمذاني:جامع التواريخ، ج1، ص 280.

[2]- الصياد:المغول في التاريخ، ص 219.

[1]- سلسلة كتب سور الصين العظيم:تاريخ الصين، ج 2، ط1، دار بناء الصين للنشر، 1987، ص 35، 36.

وأولى قوبيلاي خان عناية فائقة بالتجارة فمهد الطرق وأنشأ أخرى وأقام عليها حراسة قوية فكانت قوافل التجارة تروح وتجيء في الطريق البحري بين غرب آسيا وشرقها وكثيرا ما سعى قوبيلاي خان إلى توثيق الروابط الاقتصادية بين الايلخانين في إيران والصين[1].

أما البريد فقد أولاه المغول في الصين اهتماما كبيرا من خلال تنظيمه تنظيما دقيقا وأنشأ المحطات وكفل كل ما هو ضروري في هذا النظام من أجل أن تقوم بمهمتها على أكمل وجه لأنه أدرك أهمية البريد في حال الحرب والسلم كما أنه يربطه ويزوده بمختلف المعلومات عن باقي أجزاء الإمبراطورية، وقد أثار نظام البريد إعجاب الرحالة الايطالي ماركو بولو[2] فالطرق والمسالك تسمح للسعاة بنقل الأوامر والأخبار بسرعة حتى الأماكن البعيدة من الدولة وتقوم المحطات على مسافات معينة من خمسة وعشرين إلى خمس وأربعين ميلا، وهي مزودة على الدوام بالسعاة والرباطات وقطعان غنم ومخزون من الحبوب لتموين المسافرين بالإضافة إلى أماكن للراحة والنوم ويكفي نظرة إلى عدد الأحصنة المسخرة لخدمة هذا النظام والبالغ عددها أكثر من ثلاثمائة ألف حصان موزعة على مختلف الطرقات يتكفل بها متعهدي الطرقات حتى ندرك قيمة البريد عند المغول في عهد قوبيلاي[3]،وقامت بين المحطة والمحطة كل ثلاثة أميال قرى أو مراكز سعاة ينقلون سعيا على الأقدام الرسائل والمواد الغذائية والأشياء الغريبة الأخرى المبعوث بها إلى الإمبراطور وكان هؤلاء الموظفين ذوي أجور معفيين من الضرائب على غرار أغلبية الضباط الإمبراطوريين، يراقب تحركاتهم كتبة مقيمون في كل مركز، أما السعاة الفرسان الذين يحملون اللوحة الإمبراطورية التي تخول لهم مصادرة الركائب فكانوا ينقلون الأوامر العاجلة إلى الأماكن البعيدة[1].

---

[1]– طقوش:تاريخ المغول العظام، ص 176.

[2]– ماركو بولو: ولد ماركو بولو بمدينة البندقية عام 1254م وفي سن السابعة عشرة من عمره صحب والده وعمه في ثاني رحلة لهما لبلاد الصين الواقعة تحت سلطة المغول بقيادة قوبيلاي خان في هذه الفترة، فوصلها عام 1275م ولم يمض وقت طويل حتى تعلم لغة المغول وعاداتهم، وقضى هناك سبعة عشر عاما تقلد خلالها العديد من الوظائف بتكليف قوبيلاي خان ويعتبر كتابه من أهم كتب الرحلات فيما يخص آسيا والصين خصوصا. أنظر: محمد سالم بكر باعامر:المرجع السابق، ص 66(هامش 14).

[3]– طقوش:تاريخ المغول العظام، ص 173.

[1]–إدوارد بروي:تاريخ الحضارات العام القرون الوسطى، تر: يوسف أسعد داغر و فريد م. داغر، ج3، ط2، منشورات عويدات، بيروت – باريس، 1986، ص 376.

3.2العملة :

عرفت الصين في الجانب المالي اتخاذ النظام الورقي المعروف "بالشت جاو" أو "الجاو" والذي كان متداولا في البلاد، وأولى قوبيلاي اهتماما خاصا بالناحية الاقتصادية وهذا ما جعله يهتم بالعملة التي خصص لها عناية كبيرة من خلال دار سك النقود التابعة له ويشير ماركوبولو أن هذا الخان يمتلك سر صنعة الكيميائي القديم وله طريقة في إنتاج النقود يذكرها ماركو بولو وهي كالآتي: يأمر بنزع اللحاء من أشجار التوت التي تستخدم أوراقها لتغذية دودة القز ويأخذ منها تلك القشرة الداخلية الرقيقة التي تقع بين اللحاء اليابس الأخشن وخشب الشجرة فتنقع تلك القشرة ثم تدق بعد ذلك حتى تتحول إلى عجينة يصنع منها الورق الذي يماثل في مادته الورق الذي يصنع من القطن ولكنه أسود تماما، ثم يأمر بتحويله إلى نقود ذات أحجام مختلفة وتأخذ شكل المربع تقريبا .

وتحدث ماركوبولو عن هذه الورقة النقدية التي ضربت وصورها كأنها مصنوعة من خالص الذهب والفضة وذلك للعناية التي نالتها العملة من قبل قوبيلاي خان وإنها كانت تمر على العديد من الموظفين المختصين في الجانب النقدي ويسهرون على تخريجها حتى النهاية وتختم بختم خاص وأي تزوير لهذه العملة يتعرض صاحبها إلى عقوبة تصل إلى حد الإعدام، وبعد الانتهاء من المرحلة الأخيرة تطرح هذه العملة من أجل التداول في كامل أجزاء الإمبراطورية وكل مخالف لها تكون عقوبته الموت[1]، وهذا ما أكده ابن بطوطة في كتابه تحفة النظار :" وإذا مضى الإنسان إلى السوق بدرهم فضة أو دينار ذهب يريد شراء شيء لم يؤخذ منه، ولا يلتفت عليه حتى يستبدله بالبالشت (النقد الورقي)، ويشتري به ما أراد"[2].

وللإشارة فإن هذا النوع من العملة قد استعمل في عهد الوزير الإيراني المسلم السيد الأجل البخاري وطوال فترة وزارته ظل التعامل بالجاو محكما ودقيقا، وعلى أساسه أمكن تنظيم دخل الملكة كلها[1]، غير أن هناك من يرى أن هذه العملة كانت احد أسباب تصدع مغول الصين في القرن الرابع عشر ميلادي[2].

---

[1]– ماركو بولو: رحلات ماركو بولو، تر: عبد العزيز جاويد، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996، ص ص 64، 65.

[2]– شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ابن بطوطة:تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الإسفار، تح : عبد الهادي التازي، مج4،أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997، ص 129.

[1]– الصياد:المغول في التاريخ، ص 222.

[2]– طقوش:تاريخ المغول العظام، ص 177.

في نهاية الفصل يتبين أن ما أقدم عليه جنكيزخان من تقسيم لدولته بين أولاده ما هي إلا إستراتجية واضحة لمواصلة الغزو وإضافة بلدان أخرى إلى أملاك المغول وتظهر الخريطة السياسية في نهاية القرن الثالث العشر الميلادي مدى شساعة المساحة التي تربع عليها المغول والأهم من ذلك أن هذه المساحة تدار من طرف عائلة واحدة لذا نجد أن العالم أصبح في قبضة أسرة واحدة، وهو ما أدى إلى ربط بلاد الشرق الأدنى والشرق الأقصى في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية وحتى الدينية.

الفصل الثاني:

انتشار الإسلام بين المغول

أولا/ الصراع الديني المسيحي البوذي الإسلامي :

إن ظهور المغول كقوة عسكرية خلال القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلاد جعل من القوى المسيحيةتسارع للتقرب من هذه القوة وكسب ودها في محاولة لجعلها حليفا لهم لأمرين اثنين أولا لاتقاء شرهم وزحفهم وثانيا محاربة المسلمين.

ونجد أن الإسلام أضحى محاصرا من قبل البوذية[1] وهدفها من هذا هو التصدي لانتشار الإسلام في مناطق آسيا وعملوا على استمالة المغول إلى صفهم ودأبوا على نشر معتقداتهم في صفوفهم، وبهذا يكون الإسلام قد واجه منافسة من طرف المسيحية والبوذية، وبالفعل استطاعتا الحصول على عطف الكثير من خانات المغول منذ عهد جنكيزخان[2].

1.التسامح الديني عند المغول :

أبدى المغول تسامحا دينيا كبيرا مع أهل الملل الأخرى من شامانية[3]ومانوية[4]وبوذية ومسيحية وإسلامية إلى درجة كبيرة خاصة بعد أن توقفت غاراتهم واستقر الأمر لجنكيزخان فصار لكل هؤلاء الحرية في ممارسة شعائره الدينية في مكانه المخصص لعبادته وحرصوا على أن لا تلحق أي طائفة الضرر بأخرى[5].

---

[1]– البوذية: تنسب هذه الديانة إلى (جوتاما بوذا) الذي ظهر في الهند وولد سنة 560 ق.م وتوفي سنة 480 ق.م وتعتبر شخصية بوذا هي المحور الأساسي لهذه الديانة في معتقداتها ومبادئها إذ ينظر إليه بكونه إله تجسد في صورة بشرية، ويعود الفضل إلى دعاة البوذية في استقرارها في هضبة التبت ثم انتشرت في شرق آسيا حتى وصلت إلى المغول. أنظر:أحمد علي عجيبة: دراسات في الأديان الوثنية القديمة، جار الآفاق العربية، القاهرة، 2004، ص ص136، 137.

[2]– محمد رجب عبد الحليم :المرجع السابق،ص 30.

[3]– الشامانية: معتقدات وأفكار كل تتضمن كل ما يسمو على مدارك المغول وكل ما يخشونه ويرهبونه فاتخذوا آلهة في النهر والجبل والشمس والقمر ويتقربون منها دفعا لشرها وإبعاد غضبها وجلب رضاها آملين أن تعطيهم الصحة في أجسامهم وعقولهم ملتمسين منها حماية أبنائهم وحيواناتهم .أنظر : الصياد:المغول في التاريخ، ص 235؛شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي، ص 21.(هامش1)

[4]– المانوية: أصحاب ماني بن فاتك الحكيم الذي ظهر بعد عيسى بن مريم عليه السلام، وقتله برهام ابن هرمز بن سابور ، أحدث دينا جديدا بين المجوسية والنصرانية، وكان يقول بنبوة المسيح، ولا يقول بنبوة موسى عليهما السلام .أنظر:أبي الفتح ابن أبي بكر الشهرستاني: الملل والنحل،تح:عبد العزيز محمد الوكيل،دار الفكر ،بيروت ،(د.ت)،ص245

[5]– طقوش:تاريخ المغول العظام، ص 41.

وبلغت درجة التسامح الديني عند المغول أن اعتقد أصحاب تلك الديانات أن المغول اتبعوا معتقداتهم، بينما نجد أن هذا التسامح سياسة مغولية من أجل الحفاظ على التوازن داخل الإمبراطورية الناشئة، ومن مظاهر ذلك أنهم قربوا إليهم كل من له الخبرة للاستفادة منهم دون النظر في عقيدتهم، وكذا إعفاءهم للعلماء من الضرائب، ومن صفات المغول جميعا "تعظيم الفقهاء والفقراء والزهاد والمؤذنين والأطباء وأرباب العلوم على اختلافهم"[1]، ولإبراز ذلك نعطي بعض الأمثلة فجنكيزخان استعان بشخصية محمود يلواج الخوارزمي[2]من المسلمين، وكذا تاتا أونجا[3] من الأويغوريين، والصيني يي ليو تشوتساي، ونجد أن الخان الأعظم لم يول أهمية للمعتقد بقدر ما أعطى الأولوية للكفاءة والخبرة وتتوافق هذه الفكرة مع ما أورده القلقشندي بقوله :" فكان من طريق جنكيزخان أن يعظم رؤساء كل ملة ويتخذ تعظيمهم وسيلة إلى الله "[4] في قيام دولته واستمر التسامح الديني في عهد أبناء جنكيزخان مع الشعوب المغلوبة وهو ما توجزه لنا مقولة المؤرخ الحافظ الذهبي حين قال:" ومن عادة بني جنكيز خان أن كل من انتحل منها مذهبا لم ينكره الآخر عليه"[5].

2.التنافس البوذي والمسيحي والإسلامي:

انطلاقا من التسامح الذي أبداه المغول في تعاملهم مع أهل الأديان والشرائع فإن التنافس الديني كان محتدما بين الإسلام والمسيحية والبوذية.

2.1.البوذية تحل محل الشامانية:

نالت الشامانية الكثير من العناية والمساندة منذ عهد جنكيزخان الذي استلهم الحكمة من وزيره البوذي تشانج تشون، واستفاد رهبان البوذية من قرار الإعفاء من الضرائب، وزاد نفوذ البوذية بعد أن احتلت قوات

---

[1]– القلقشندي:صبح الاعشى، ج4، ص 311.

[2]– محمود يلواج الخوارزمي: التحق بخدمة جنكيزخان قبل هجومه على أملاك الدولة الخوارزمية لقب بيلواج ومعناه السفير في اللغة التركية ولقب بذلك كونه اشتغل سفيرا بين جنكيزخان ومحمد خوارزم شاه وكانت أول سفارة له في سنة 614هـ/1217م شغل منصب مستشار لجنكيزخان ووزيرا له ثم نائبا عنه في منطقة ما وراء النهر ثم حاكما عليها . أنظر:الصياد: المرجع السابق،ص 155.

[3]–تاتا أونجا:يعتبر آخر ملك نايماني ثم اتخذه جنكيزخان مستشار ومعلما لأطفاله يعلمهم الخط الأيغوري.نفسه.

[4]– القلقشندي:صبح الأعشى، ص 311.

[5]– الذهبي:العبر في خبر من غبر،ج3،ص 310.

جنكيزخان هضبة التبت معقل البوذية ومنح تورجين نائب الخان(639-644هـ/1241-1244م) وكان للبوذيين أسبقية على أهل المعتقدات الأخرى، وهناك من المغول من تسمى بأسماء بوذية ومن بينهم قوبيلاي خان[1].

أدت المناظرات التي كان يعقدها البوذيين مع نظرائهم من قساوسة الشامان في حضرة جنكيزخان إلى علو كعب البوذيين مما قلص تواجد الشامان تدريجيا إلى أن حلت البوذية محلها في البلاط المغولي ونجح المعتقد البوذي في جلب اهتمام المغول والتأثير عليهم خاصة بعد أن استقرت التعاليم البوذية في هضبة التبت وتمكن دعاتها من نشرها في الجزء الشرقي من الإمبراطورية في آسيا[2]، وتوج أصحاب هذا المذهب بعد مدة ليست بالقصيرة من قيام الإمبراطورية وذلك باعتناق قوبيلاي خان البوذية[3].

لقد تمتع أتباع بوذا بمكانة كبيرة لدى الخانات العظام ومن بينهم أوكتاي الذي منحهم الحرية التامة في إقامة الشعائر فراح الكهنة يشتركون في المناظرات الدينية مع مختلف الطوائف وخاصة في العاصمة قراقورم، ونجد أن البوذية تعاظم نفوذها وعملت على استقطاب القوة المغولية حيث ركزوا نشاطهم على عاصمة الإمبراطورية البعيدة عن مواطن الإسلام، وبامتداد النفوذ المغولي إلى فارس فإننا نجد أن المعتقد البوذي وصل إلى هذه المناطق بواسطة المغول فهولاكو وأبناؤه يعتنقون البوذية وعملوا على دعمها ببناء المعابد واستقدام رهبان من الهند مما جعل المسلمين وحتى اليهود متخوفين من هذا الانتشار السريع للبوذية.

[1]-أرنولد: المرجع السابق،ص ص 251، 252؛ الصياد: المرجع السابق، ص 336؛ أحمد حافظ حمدي: المرجع السابق، 278.

[2]- أرنولد: المرجع السابق، ص 251، 252.

[3]- جونمان: كوبيلاي ملك المغول الذي أعاد بناء الصين، ط1، تر: أحمد لطفي،دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، 2013، ص 163 .

2.2.الإسلام في مواجهة الوثنية:

لقد عرفت آسيا الإسلام قبل ظهور المغول كإمبراطورية في هذه الأطراف، فقد وصل المسلمون خلال القرن الرابع الهجري، العاشر ميلادي إلى الجهات الشرقية من منغوليا من أجل التجارة وتمكنوا من تأسيس جاليات إسلامية هناك مما ساعد على التقرب من أهالي تلك البلاد ونشر الإسلام بينهم[1].

والعامل الثاني يعود إلى الغزوات المغولية التي انتهت بحشود من الأسرى المسلمين حملوا إلى منغوليا والصين خاصة من ذوي الحرف والمهن مما أفرز كذلك جاليات أخرى تدين بالإسلام وقد ورد أنه في إحدى الغزوات لم يبق من سكان المدينة سوى أربعمائة رجل من أصحاب الحرف الذين أبقاهم المغول للانتفاع بهم في أعمالهم[2]، غير أن المأمورية كانت صعبة خاصة في أماكن انتشار البوذية ولم يستطع المسلمون التغلب على نظرائهم البوذيين ليس في ميدان المناظرة لكن لكون البوذيين تلقوا دعما كبيرا من طرف الخانات العظام وكذلك كثرة عددهم مقابل المسلمين .

وتشير المصادر إلى معانات المسلمين أثناء الغزو المغولي لغرب آسيا وتلقيه لصنوف العذاب حيث لا تخلوا كتب المؤرخين من مدى بشاعة المناظر التي هالتهم، وقد عرفت مختلف الشرائع نوعا من الحرية في عهد أوكتاي خان(626-693هـ/1229-1241م) بما فيها الإسلام[3]، ويزيد صاحب طبقات ناصري عن هذا بأن أوكتاي خان أحب المسلمين كثيرا، وأنه اجتهد في راحتهم ورفاهيتهم ومن مظاهر ذلك أمره بأن ينادى المسلمون بكلمة أخ أو صاحب وأمر المغول بأن يزوجوا بناتهم للمسلمين[4]، لذا أخذ نفوذ المسلمين يتزايد خاصة بتواجد جاليات مسلمة في العاصمة قراقورم وفدت من آسيا الوسطى الخاضعة للحكم المغولي وهو ما يفسره تقلد المسلمين لعديد المناصب السياسية والعسكرية حيث احتفظ بهم المغول لخبرتهم وكفاءتهم في

[1]- حسن أحمد محمود:الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972، ص176.

[2]-أحمد حافظ حمدي:المرجع السابق، ص 176.

[3]- يشير الجويني إلى مدى التسامح الذي لقبه المسلمين من طرف أوكتاي خان والحماية التي وفرها لهم ، وقد قدم لنا هذا المؤرخ المعاصر لغزوات المغول العديد من القصص حول انتصار أوكتاي للمسلمين من ظلم غيرهم وحتى انه انتصر لهم وحماهم من أخيه جغطاي في قصة الرجل الذي شوهد يسبح في النهر. أنظر:الجويني:المصدر السابق، ص 216 وما بعدها .

[4]- الجوزجاني،المصدر السابق،ج2، ص ص 165، 166.

مجالات عديدة ومثال ذلك أوكلت مهمة تسيير شؤون بلاد ما وراء النهر إلى الوزير المسلم محمود يلواج وابنه مسعود بك، ولم تمنع المؤامرات والمضايقات التي مارسها جغتاي بن جنكيزخان صاحب تركستان والمتعصب ضد الإسلام والمسلمين[1] من تقدم النفوذ الإسلامي في البلاط المغولي وتمكنه من قلوب بني جلدته من المغول ويظهر ذلك في تقرب شخصيات مغولية من الدين الإسلامي مثل باتو بن جوجي حفيد جنكيزخان ومع أنه لم يسلم إلا أنه سمح للمسلمين بإعادة تعمير ما خرب من مدنهم، ونجح الإسلام في مهمته بأن نال شرف اعتناقه بركة خان بن جوجي بن جنكيزخان حاكم القبيلة الذهبية واتخذ موقفا مشرفا بوقوفه ضد ابن عمه هولاكو وناصبه العداء لحربه ضد المسلمين.

2.3.المسيحية لم تصل إلى مبتغاها :

عرفت هذه الديانة التسلل إلى آسيا قبل ظهور المغول بزمن طويل ونستطيع القول أنها ظهرت منذ القرن الأول الهجري، السابع ميلادي فقد نقل المبشرون النساطرة المسيحية من الغرب إلى الشرق الأسيوي حتى شمال الصين، وبظهور المغول عمل المسيحيون على استمالتهم، ولعب النصارى وخاصة النساطرة منهم دورا بارزا من أجل كسب ودهم، ولعل هؤلاء استندوا إلى معرفة المغول بالمسيحية لاعتناقها من طرف قبيلة الكرايت، والحقيقة أن النصارى تواجدوا بصفة كبيرة في البلاط المغولي كمبشرين ودعاة للمسيحية وتضمن هدفهم من ذلك كسب المغول واستخدامهم كقوة لضرب المسلمين[2]، لذا نرى أن ملوك أوربا سارعوا إلى إيفاد العديد من السفارات والبعثات من أجل القيام بعمليات التبشير وهو ما يفسره تواجد العديد من الشخصيات البارزة في العاصمة قراقورم والصين فنجد مثلا يوحنا الكاربيني[3]، ووليام روبروك[4]، وماركو بولو الذي عاصر قوبيلاي خان وقد مكث لفترة طويلة في الصين وتقلد منصب تسيير شؤون إحدى الولايات الصينية .

---

[1]– محمد علي البار:كيف أسلم المغول، ط 1، دار الفتح للدراسات والنشر،الأردن، 2008،ص 80.

[2]– أرنولد:المرجع السابق، ص 252.

[3]– يوحنا أف بيان ديل كاربيني: سفير البابا إينوسنت الرابع إلى كيوك خان في قراقورم وكان ذلك سنة 1245م وقد تركت هذه السفارة معلومات قيمة عن المغول وحياتهم وأنظمتهم.أنظر:محمود سعيد عمران:المغول والأوربيون والصليبيون وقضية القدس، دار المعرفة الجامعية ، الأزاريطة، 2003، ص 309.

[4]–ويليام روبروك: قائد البعثة التي أوفدها الملك لويس التاسع إلى مغول القفجاق وذلك سنة 1252م.أنظر:إبراهيم سعيد فهيم محمود:في تاريخ المغول وعلاقتهم بأوربا، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 2007، ص 263.

وعلى العموم فإن الشرائع الثلاثة سابقة الذكر تنافست فيما بينها، وبلغت درجة التسامح إلى أن اعتقد أهل هذه الملل أن المغول قد اقتنعوا بهم وآمنوا بشرائعهم لكن في الأخير لم يتجاوز هذا الأمر حد التعاطف في مرحلة من المراحل، والسؤال المطروح هو هل ستصمد هذه القوة في وجه العوامل المؤثرة التي باتت قريبة من هؤلاء الغزاة بحكم تواجدهم في أراضيهم؟ ونحاول معرفة هذه النقطة من خلال التعرض لأهم العوامل التي استغلها المسيحيون والمسلمون في استمالة المغول ونبدأ بالجانب المسيحي .

3.العوامل المؤثرة في التحول الديني للمغول :

3.1.تأثير الزوجات المسيحيات:

أدت المرأة المسيحية دورا كبيرا في التأثير على الشخصية المغولية ولا يكاد يخلوا تاريخ المغول السياسي والديني من هذا التأثير وتم الاتصال بين المرأة المسيحية والمغول عبر قبيلة الكرايت المسيحية وزعيمها أونك خان وبعد تشكل الإمبراطورية المغولية كانت هذه القبيلة جزء من هذه الإمبراطورية، وبذلك صارت النساء المسيحيات قريبات من سادة المغول الذين اتخذوا منهن زوجات ومحضيات، وتوجد العديد من الأمثلة عن نساء من الكرايت تزوجن بخانات المغول العظام وأثرن فيهم للعطف على المسيحيين وتقريبهم والسماح لهم بتقلد وظائف إدارية هامة.

ومن الأمثلة على ذلك نجد والدة كيوك خان (644-647هـ/1246-1249م) توراكينا خاتون المسيحية كان لها دور في تنشئة ولدها على يد رجل مسيحي يدعى "قداق"، وبتوليه الحكم قرب إليه شخصية مسيحية يسمى "جينغاي" الذي شغل منصب مستشار لدى والده وعلى العموم فإن نفوذ المسيحية عرف حضورا كبيرا في عهد هذا الخان ونتيجة لهذا عرف أتباع المسيحية عطفا شديدا من أمثال الأرمن والكرج والروس[1]، وتأثر مانكو خان (648-655 هـ/ 1250-1257م) بوالدته **سرقويتي بيكي** التي كانت تدين بالمسيحية إلا أنها سلكت سلوكا حسنا اتجاه الرعايا المسلمين، ومع بقائه على الشامانية إلا أنه أبدى تعاطفا مع جميع الشرائع، فشهد الطقوس البوذية والأعياد المسيحية والإسلامية [2].

[1]- الصياد:المغول في التاريخ، ص199.

[2]- شبولر:العالم الإسلامي في العصر المغولي، ص 42؛الصياد:المغول في التاريخ ، ص 211.

وفي غرب آسيا لا يبدو أن الأمر تغير بالنسبة لتأثير الزوجات والمحضيات في بلاط مغول فارس حيث نجد دور المرأة المسيحية واضح سواء في المجال السياسي أوالإداري أو الديني، فزوجة هولاكو دوقوز خاتون مسيحية الديانة نسطورية المذهب تعمل على تحقيق أهداف المسيحيين، ورغم أن هولاكو خان لم يعتنق المسيحية إلا انه أظهر عطفا كبيرا على المسيحيين وأصبح في نظر النساطرة كأنه قنسطنطين وزوجته دوقوز بمثابة هيلينا[1]، ولو أن في الأمر مبالغة فالمغول لم يكن لهم يوم نية في اعتناق المسيحية وإتباع الباباوات أو ملوك أوربا بل عرضوا على هؤلاء المجيء إليهم وتقديم فروض الطاعة والولاء لهم.

استمرت الوضعية الحسنة للمسيحيين في عهد أباقا خان (663-680هـ/1265-1282م) الذي سار على نهج والده ومتأثرا بزوجة أبيه دوقوز خاتون التي أعطت كل الامتيازات للنصارى ومع بقائه على البوذية إلا أننا نلمس القوة التي صارت للمسيحيين، ومما زاد في قوة هؤلاء هو زواج هذا الحاكم بالأميرة ماريا ابنة الإمبراطور ميخائيل باليولوجوس(658-681هـ/ 1259- 1282م) والمعروفة باسم"دوسينا خاتون"، ويعد زواجه منها زواجا سياسيا أدى إلى توثيق الصلة بالمسيحية الشرقية ونجد العديد من مظاهر العناية بالمسيحيين مثل حضور أباقا أعياد القداس والسماح بإقامة كنيسة صغيرة لزوجته ماريا (دوسينا) ويُعتقد أن أباقا اعتنق المسيحية وأنه عمد مع النصارى في همذان 680هـ/1281م يوم عيد النصارى الكبير[2].

ويعد عهد أرغون خان استمرارا لنفوذ المسيحية تقلد النصارى المناصب والوظائف الهامة في الدولة وخاصة منها الشؤون المالية ومن أسباب الرعاية والعطف على النسطوريين من النصارى في هذا العهد يعود إلى زوجة آرغون المسيحية "أوروق خاتون" من قبيلة الكرايت وابنة أخت لزوجة هولاكو دوقوز خاتون التي عمدت ابنها اولجايتو سنة 688هـ/ 1289م باسم نيقولا تيمنا بالبابا نيقولا الرابع، وأعيد بناء الكنائس التي دمرها أحمد تيكودار[3].

[1]- محمد رجب عبد الحليم:المرجع السابق، ص 34.

[2]- فهمي: المرجع السابق، ص 155.

[3]- العريني:المرجع السابق، ص 305.

3.2.جهود أصحاب البلاط من المسيحيين والبوذيين:

ذكر آنفا أن جنكيزخان وخلفاؤه من بعده قد عملوا على تقريب شخصيات من مختلف الملل وأفسحوا لهم المجال ليكونوا وزراء ومستشارين يعتمدون عليهم في بناء الإمبراطورية وذلك لما اكتسبه هؤلاء في بلدانهم من خبرات التي سبقت المغول في مجال الإدارة[1]، والمميز أن المغول لم يختاروا هؤلاء بحسب الجنس أو الدين إنما اشترطوا الكفاءة في ذلك لتعج بذلك الإمبراطورية بأهل الديانات والشرائع وهو ما ولد صراع بينها[2] أججته تلك الشخصيات، وانتهز الوزراء المسيحيون والبوذيون فرصة تواجدهم في عواصم المغول المختلفة للتأثير على الحكام المغول وإقناعهم باعتناق معتقداتهم وضرب الإسلام وغزو بلاده ولم يتوان هؤلاء في ادخار أي جهد من أجل تحقيق أهدافهم فهذا راهب نصراني يشجع جنكيزخان على غزو العالم الإسلامي بقوله :"لا تخف افعل ما شئت فإنك مؤيد "وهناك من البوذيين من ادعى بأنه رأى في منامه جنكيزخان ويطلب منه أن يبلغ ابنه أوكتاي خان بأن يقضي على المسلمين في كل مكان[3].

ويبدو من خلال التواجد المسيحي في بلاط قراقورم أن هدفهم كان جذب الخانات العظام ليتبعهم بذلك سائر حكام الايلخانيات المغولية وقد صب المبشرون كل تركيزهم على عاصمة الإمبراطورية وهو أمر فشل في تقديره هؤلاء، إذ أننا لا نلمس نجاحا يذكر في وجود من اعتنق المسيحية سواء في قراقورم أو الممالك المغولية الأخرى، وربما هناك مثال واحد يدل على نجاحهم خارج قراقورم وهو اعتناق الأمير صرتق بن باتو للمسيحية والذي تولى شؤون القبيلة الذهبية بعد وفاة والده سنة653هـ/ 1256م لكن المسيحية لم تدم طويلا في القبيلة الذهبية بما أن حاكمها بركة خان قد اعتنق الإسلام[4].

3.3.جهود الملوك والبابوات في تنصير المغول:

تظهر محاولات التأثير على المغول وجذبهم إلى المسيحية من خلال الجهود الحثيثة التي لعبها البابوات وملوك أوربا في كسب الخوانين العظام والإيلخانات والبحث عن سبل تنصيرهم، ونلمس وجود علاقة مسيحية

---

[1]– الصياد:المغول في التاريخ، ص 150؛العريني: المرجع السابق، ص 58.

[2]–أرنولد:المرجع السابق، 250.

[3]–الصياد: المغول في التاريخ، ص 192؛محمد رجب عبد الحليم:المرجع السابق، ص 39.

[4]– نفسه،ص 39؛ مرجونة المرجع السابق، ص 307.

مغولية مع تنامي المد المغولي، إذ أن الدافع الأول من تقرب ملوك بابوات أوربا هو اتقاء شر تلك القوة والتقرب منهم، وتمثلت إستراتيجية هذا التقرب في إيفاد السفارات إلى مقر الخانية العظمى في قراقورم .

من البعثات التبشيرية التي وصلت إلى البلاط المغولي في عهد الملك الفرنسي"**لويس التاسع**"(624-669هـ/1226-1274م) ردا على سفارة مغولية بعثة على رأسها "**أندريه لونجيجمو**"، وكانت البعثة محملة برسائل وهدايا ثمينة منها خيمة على هيئة كنيسة صغيرة وبعض الأشياء لإقامة القداس، وأثناء تواجد لويس التاسع في بلاد الشام (650-652هـ/1253-1255م) أخذ "**وليام روبروك**" الإذن منه أجل المغادرة إلى مغول القفجاق، وجرت عدة مراسلات بين ملوك أوربا وإيلخانات إيران تضمنت شكرهم للمغول على المعاملة الحسنة اتجاه المسيحيين ودعوتهم إلى اعتناقها[1]، حيث راسل ملك إنجلترا"**إدوارد الأول**"(672-707هـ/ 1273-1307م) آباقاخان برسالة مؤرخة في 16 رجب 673هـ/26 جانفي 1274م،شكره فيها على رعايته للمسيحيين النساطرة والمسيحيين الشرقيين عموما.

إن مثل هذه السفارات وبغض النظر عن طابعها الرسمي أو الغير الرسمي فإن هدفها كان التبشير بالمسيحية ويبدو أن الإشاعة لعبت دورا هاما فهؤلاء المبشرين كانوا يسمعون عن اعتناق الأمراء والخوانين المغول للمسيحية وعن حسن معاملة المغول للمسيحيين وأن المغول يبحثون عن من يعلمهم وينشر بينهم المسيحية لكن الواقع أن المغول تسامحوا مع أهل كل الديانات حتى اعتقد هؤلاء أن المغول تبنوا أفكارهم وديانتهم.

وفيما يخص رجال الدين في أوربا وعلى رأسهم البابوات فإنهم عملوا على تأسيس علاقة مع المغول ففي عهد البابا "**انسونت الرابع**"(642-652هـ/1244-1252م) عرف البلاط المغولي توافد أربع سفارات سنة 642هـ/1245م اثنين من الرهبان"**يوحنا الكاربيني**"و"**لورانس البرتغالي**"[2]، ووفد آخر يقوده "**آسيلين اللومباردي**"و"**أندريه لونجيجيمو**" ومن بين أسباب إرسال هذه الوفود ما سمعه البابا عن تسامح المغول مع مختلف الأديان[3]، وحدث في عهد هولاكوخان أن أرسل البابا "**إسكندر الرابع**"(652-660هـ/1254-

[1]- محمد رجب عبد الحليم: المرجع السابق، ص 115.

[2]- عادل إسماعيل محمد هلال: العلاقات بين المغول وأوربا وأثرهاعلى العالم الإسلامي،ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية الاجتماعية،1997، ص 89؛ مرجونة: المرجع السابق، ص 311.

[3]- هلال : المرجع السابق، ص 59.

1261م) رسالة مؤرخة في سنة 658هـ/1260م جاء فيها أن البابا علم برغبته في اعتناق المسيحية، وأنه لم يجد من يعلمه عقائدها، وحثه فيها المغولي على اعتناق المسيحية[1]، وفي عهد آباقاخان استمرت العلاقات بينه وبين كل من البابا"**كلمنت الرابع**" (664-666هـ/1265-1268م)،و"**غريغوري العاشر**"(670-675هـ/1271-1276م)، و"**نيقولاالثالث**"(675-679هـ/1277-1281م) حيث تبادل معهم المراسلات التي ركزوا فيها على حث آباقاخان على اعتناق المسيحية[2].

اعتقد بابوات وملوك غرب أوربا أن معظم إيلخانات مغول إيران كانوا مسيحيين أو قريبين جدا من اعتناق المسيحية، ولعل ذلك يعود إلىما لقيه المسيحيين في الايلخانية من حسن المعاملة، بل وتفضيلهم على المسلمين أغلبية سكان إيران[3].

ورغم الجهود التي بذلها الباباوات والملوك إلا أنهم لم يتمكنوا من تحويل الإيلخانات إلى المسيحية، فالمغول الذين أخضعوا نصف العالم المعروف آنذاك لسلطتهم رأوا في تحولهم إلى المسيحية خضوعا لسلطة البابا لأن دعوتهم إلى اعتناق المسيحية كانت تتم دائما باسم البابا الذي كانت له سلطة زمنية فهو الذي كان يتوج الملوك والأباطرة في أوربا[4].

ثانيا / انتشار الإسلام بين المغول:

انتصر الإسلام في حربه ضد البوذية والمسيحية واستطاع أن يتسلل إلى قلوب أولئك الغزاة فرغم المنافسة الشديدة من مختلف المعتقدات وكل المكائد التي دبرت والتحالفات التي أبرمت ضده إلا أنه كان يشق طريقه إلى التمكن بهدوء تام إلى أن أظهره الله على كل منافسيه.

---

[1]- D'ohsson:HistoiredesMongols depuis Tchingiz- Khan jusqu'àTimour Bey, ouTamerlan ,Amesterdam,1834-1836., T3 ,p.410.

[2]- D'ohsson : op.cit , T3 , p. 540.

[3]- مصطفى طه بدر: مغول إيران بين المسيحية والإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 9-11.

[4]- محمد رجب عبد الحليم:المرجع السابق، ص 54.

1.العوامل المؤثرة في اعتناق المغول للإسلام :

يعود الفضل بعد الله سبحانه وتعالى إلى عدة عوامل منها دور الأمراء والقادة الذين قربهم المغول منهم فاستغلوا مكانتهم وعملوا على التأثير في الخوانين وحكام الممالك المغولية والتجار الذين كان لهم دور في انتشار الإسلام في آسيا قبل ظهور المغول عن طريق أخلاقهم وحسن تعاملهم وأخيرا يظهر دور الطرق الصوفية في نشر الإسلام.

1.1.تأثير المرأة المسلمة:

كان للنساء المسلمات دورا كبيرا في اعتناق المغول للإسلام وتم ذلك على مرحلتين، امتدت المرحلة الأولى من بداية الغزوات وطول فترة اصطدام المغول بالمسلمين، وهذه المرحلة بمثابة تعريف المغول بالإسلام عن طريق السبايا اللاتي وقعن أسرى في يد المغول، والمرحلة الثانية تبدأ بعد معركة عين جالوت التي أذنت بانحسار المد المغولي وركونه إلى مظاهر الهدوء والتحضر وانتقل المغول من مرحلة التعرف على الإسلام إلى مرحلة اعتناقه وترسيخ العلاقة بالمسلمين عن طريق المصاهرة.

من المعروف أنه من نتائج التوسعات المغولية هو الاستقرار في المناطق التي وقعت تحت سيطرتهم والنتيجة الحتمية لهذا الغزو سقوط العديد من الأسرى والسبايا في يد الغزاة، وما حدث بعد الغزو المغولي هو وجود أعداد كبيرة من الأسيرات اللاتي وقعن في قبضة المغول مما جعلهن تتنافسن في نشر ديانتهن[1]، ولم تبق حالتهن كأسيرات بل تحولن إلى محظيات وزوجات استطعن لعب دورا كبيرا في التأثير على أمراء وحكام المغول خاصة في جانب تربية أبناء المغول.

تعددت جنسيات النساء المسلمات في البلاط المغولي منهن التركيات والفارسيات وإذا عدنا إلى الغزوات الأولى بقيادة جنكيزخان وتغلبه على خوارزم شاه سنة617هـ/ 1220م نجدها انتهت بوقوع الكثير من السبايا المسلمات في يد المغول، ومما ورد في قضية وقوع أفراد العائلة الحاكمة في قبضة الجيش المغولي[2]، وعلى رأسهم "**تركان خاتون**" أم السلطان علاء الدين خوارزم شاه وسيقت إلى معسكر جنكيزخان وقد اصطحبها المغول معهم إلى بلادهم وبقيت هناك إلى أن ماتت سنة 630هـ / 1233م وكان مصير اثنتين من

[1]- محمد رجب عبد الحليم:المرجع السابق،ص 66.

[2]- أحمد حافظ حمدي:المرجع السابق، ص 161.

بنات السلطان علاء الدين خوارزم شاه من نصيب جغتاي بن جنكيزخان فتزوج واحدة منهن، كما وهب جنكيزخان الابنة الثالثة لحاجبه داشمند[1].

استمرت عمليات الغزو والسبي للمسلمات ويشير ابن العبري إلى سبعمائة امرأة من نساء الخليفة العباسي المستعصم بالله وقعن أسيرات في يد جيش هولاكو بعد قتل الخليفة العباسي[2]، إن مثل هذا الرقم الذي أورده ابن العبري يسترعي النظر ككل الأرقام التي جاءت حول الغزو المغولي من حيث عدد الجيوش وعدد القتلى لكن إذا وجد مثل هذا العدد من النساء المسلمات بحوزة هولاكو فإنه كفيل بأن يؤثرا تأثيرا بالغا في اعتناق المغول للإسلام كما يحدد المسار الديني لهم .

تعد هزيمة المغول في معركة عين جالوت سنة 658هـ / 1260م بداية لدور جديد لعبته المرأة المسلمة في التأثير على المعتقد المغولي فبعد هذه المعركة تحولن من أسيرات إلى زوجات يطلبهن حكام وقادة المغول، وكذا أمهات ومربيات لأطفال المغول، وتشير الروايات إلى هذا الطرح ومنها ما ورد في جامع التواريخ إلى أن آباقا خان كانت له زوجة مسلمة، وكان تيكودار خان أول مسلمي إيلخانات فارس زوجات كلهن مسلمات، حتى أرغون ابن آباقا ابن هولاكو الذي تميز بتعصبه ضد الإسلام كانت إحدى زوجاته مسلمة، كما كانت والدة السلطان غازان[3] قولتاق ابنة بيتكجي مسلمة، ولا يختلف الأمر عن أولجايتو خان[4] الذي تأثر بإسلام زوجته وواعتنق الإسلام وتسمى باسم محمد[5].

إن المتتبع لاعتناق المغول للإسلام يلاحظ أنهم اكتشفوا سماحة هذا الدين ومدى عظمته فعملوا على توثيق العلاقة بالمسلمين خاصة في جانبه الاجتماعي ونلمس ذلك من خلال علاقات المصاهرة التي ظهرت بين الطرفين خاصة بين سلاطين المماليك في مصر وحكام القبيلة الذهبية والمسلمين من إيلخانات فارس

[1]– أحمد حافظ حمدي:المرجع السابق، ص 161.

[2]– ابن العبري: المصدر السابق، ص 475.

[3]– السلطان غازان: غازان بن أرغون خان بن أباقا بن هولاكو بن تولوي وأمه قولتاق ابنة ولد غاران في التاسع والعشرين من ربيع الأول670هـ/24ديسمبر1281 في جزيرة "آبسكون.أنظر: الهمذاني:تاريخ غازان خان، ص 78.

[4]– أولجايتو خان: ثالث أبناء أرغون اعتلى العرش خلفا للسلطان غازان سنة 703هـ / 1304م و بعد اعتناقه للإسلام تسمى باسم محمد كما تلقب بغياث الدين. أنظر :فهمي:المرجع السابق، ص ص 214، 215.

[5]–أرنولد: المرجع السابق، ص 265.

ومثال ذلك تبادل المصاهرة بين حاكم القبيلة الذهبية **أوزبك خان** وسلطان المماليك الناصر محمد بن قلاوون[1] والسلطان أبي سعيد آخر حكام المغول في فارس الذي أرسل إلى الناصر محمد يطلب منه تشرفه بزواجه من ابنته[2].

من خلال هذا نجد أن هذه العلاقة أدت وبمرور الوقت إلى بروز جيل مغولي إسلامي نشأ تنشئة إسلامية مما أدى إلى دفع الحركة الإسلامية دفعا قويا، كما أننا نلاحظ عدم اقتصار ذلك على هرم السلطة المغولية بل تعداه إلى تأثر الجند بما حصل مع حكامهم فحذو حذوهم، وكما جاء في كتاب السلطان لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة "**الناس على دين السلطان إلا القليل**"[3]، لذا نكاد نجزم بأن الأمر كان بين هؤلاء بصفة أكبر بالنظر إلى عدد السبايا المسلمات اللائي وقعن تحت أيديهم، وكما تقدم فإن السبايا المسلمات عملن على التأثير والتقريب بين المسلمين والمغول ونشر الإسلام بين ربوعه.

1.2.تأثير الوزراء والموظفين المسلمين:

تمت الإشارة في صفحات سابقة من هذا البحث أن المغول منذ عهد جنكيزخان اعتمدوا في بناء إمبراطوريتهم على شخصيات من جنسيات مختلفة دون النظر إلى ديانتهم وكانوا جد متسامحين في هذا الجانب لأن هدفهم كان الاستفادة من خبرات ونظم السابقين لجهل المغول بها، وبذلك اتخذ المغول من هؤلاء وزراء ومستشارين يعينونهم على شؤون ملكهم، وكان من بين هؤلاء شخصيات مسلمة مثل محمد يلواج الخوارزمي وابنه مسعود، ونصير الدين محمد الطوسي في عهد هولاكو وغيرهم، ومن جانب آخر أيقن المسلمون ضرورة التقرب من الغزاة بعدما أصبحوا يقاسمونهم الأرض والعمل على استمالتهم والتأثير عليهم .

زاد اعتماد المغول على المسلمين في مختلف المناصب وذلك بعد أن استقر ملكهم وتوقفت توسعاتهم وكان لزاما عليهم الاعتماد على أنظمة تكون كفيلة بالإبقاء على نفوذهم في مختلف المناطق التي رفعت فيها

[1]– حدث بين الطرفين مراسلات وهدايا منها إيفاد الناصر لعلاء الدين أيدغدي الخوارزمي سنة 716هـ/ 1318م إلى أوزبك يطلب فيها أواصر الصداقة بينهما عن طريق المصاهرة وقد تم زواج الناصر من إحدى بنات البيت الجنكيزخاني كما وصفت في تلك الفترة وتدعى دلنبية وتسمى أيضا طولونية . أنظر:محمد جمال الدين سرور:دولة بني قلاوون في مصر، دار الفكر العربي، (د. ت)، ص 220.

[2]– محمد رجب عبد الحليم:المرجع السابق، ص 68.

[3]– ابن قتيبة:السلطان، تح: أيمن عبد الجابر البحيري، المكتبة الأزهرية للتراث،(د – ت)، ص 41.

راياتهم، ونظرا لما بلغه المسلمون من تحضر فقد وجد المغول فيهم خير من يعتمدون عليهم لذا نلاحظ وجود أسماء إسلامية في الممالك الأربعة للإمبراطورية واستطاع المسلمون إثبات جدارتهم واستغلوا فرصة تواجدهم وعملوا على التأثير في حكام المغول وقادتهم بأعمالهم .

إعتمد إيلخانات إيران على الشخصيات الإسلامية سواء كوزراء أو مستشارين من أجل تسيير شؤون الإيلخانية، فبداية بهولاكو مؤسس الإيلخانية في إيران الذي اعتمد على شخصية بارزة وذاع صيتها وارتبط بالدولة المغولية في إيران ألا وهي شخصية نصير الدين الطوسي[1] الذي اتخذه كمستشار ووزير له واحتل مكانة كبيرة عنده، وامتدت سلطته حتى صارت إليه مقاليد الأمور في فارس[2]، والظاهر من هذا أن هولاكو تأثر بشخصية نصير الدين حتى قيل في هذا الشأن أن هذا العالم وفضلا عن مقامه العلمي استطاع التأثير في شخصية هولاكو بأن يستحوذ تدريجيا على عقله وأن يروض شارب الدماء فيوجهه إلى إصلاح الأمور الاجتماعية والثقافية والفنية[3]، كما أن نصير الدين استمر لفترة طويلة وعاصر كل من هولاكو وابنه آباقا خان ويبرز دوره خصيصا في النهضة العلمية وخاصة ما قام به في مراغة.

وفي هذا الباب نشير إلى أنه بعد سقوط بغداد أوكل هولاكو مهمة تسييرها إلى المسلمين[4]، واستمر نفوذ المسلمين في بلاط الإيلخانيين، ففي عهد كيخاتو استلم منصب الوزارة الخواجة **صدر الدين أحمد بن عبد**

[1]– نصير الدين الطوسي: هو الخواجة نصير الدين الطوسي محمد بن محمد بن الحسن الفيلسوف صاحب الرصد كان ذا حرمة وافرة ومنزلة عالية عند هولاكو فكان يطيعه فيما يشير عليه، بنى مرصد في مراغة، ولاه هولاكو الأوقاف ألف عدة كتب بالفارسية في مختلف العلوم كالمنطق وعلم الكلام وعلم الفلك.أنظر:صلاح الدين، خليل بن أيبك الصفدي:الوافي بالوفيات، ج3، ص 148.

[2]– محمد رجب عبد الحليم: المرجع السابق، ص 68.

[3]– حسن الأمين:المرجع السابق، ص 285.

[4]– عهد هولاكو إلى الأمير علي بهادر بحكم بغداد وعين معه مؤيد الدين بن العلقمي و أما صاحب الديوان فخر الدين ابن الدامغاني ونجم الدين احمد بن عمران أوكل إليه من الأعمال الشرقية وهي الخالص وطريق خراسان. أنظر:ابن الفوطي:الحوادث الجامعة، ص361.

الرزاق الخالدي الزنجاني وأطلق عليه لقب صدر جهان أي صدر العالم كما عين أخاه قطب الدين أحمد قاضيا للقضاة و ولاه نظارة الأوقاف والممالك التابعة للإيلخانية[1].

إن هذه السياسة كان لها أثر كبير في نقل الثقافة الإسلامية إلى المغول وذلك نتيجة للاحتكاك الذي حدث بين الطرفين مما أدى إلى تغلغل الدين الإسلامي في وسط الغزاة وتشير العديد من الأمثلة على اعتناق قادة المغول للإسلام والذي كان نتيجة لاحتكاكهم بكبار الموظفين والمستشارين ومن بين الذين أسلموا الأمير "**أحمد أوغول ابن بوري بن جفتا**" أحد قادة أباقا خان، والأمير "**حسن ابن بوقو**" الذي كان صديقا لكيخاتو منذ الطفولة، ويمثل إسلام إيلخانات فارس ثمرة لجهود حثيثة قام به الوزراء وخير دليل على ذلك نجد إسلام "احمد تكودار" والسلطان "محمود غازان" الذي بإسلامه أسلم جل المغول حتى أن إسلامه وصل إلى مملكة الصين المغولية وتبعه أحد أمرائها، ويعود الفضل في ذلك إلى قائده ووزيره نوروز الذي حاول مرارا وتكرارا من أجل إقناع السلطان غازان خان بالإسلام عدة مرات وكان يبذل قصارى جهده من أجل أن يستميل قلب غازان لهذا الدين، وكان عدد المرات التي التقى فيها الطرفان أربع مرات وكل مرة كان نوروز يُذكِّر غازان خان بالإسلام ومما قاله في أحد لقاءاته به:"إن أملي كله ينحصر في أن أجلس بمشيئة الله الأمير خادم السماء على العرش ويشترط ذلك أن يتقلد الملك قلادة الإسلام"[2].

وبالنسبة لمغول تركستان فلا يمكننا أن نتكلم عن اعتناق المغول للإسلام في تلك البلاد ومقارنته بما حدث في ايلخانية فارس خاصة إذا علمنا أن حاكمها جغتاي من بين أشد الحكام المناهضين للإسلام والمسلمين، وكذلك أن هذه المنطقة عرفت تأخرا في اعتناق المغول للإسلام مقارنة بمغول القبيلة الذهبية ومغول إيران، غير أن هذا لم يمنع من وجود شخصيات إسلامية أثرت في المغول في تركستان وتمكنت من احتلا مراكز هامة في الدولة، ولم يستطع حكامها الاستغناء عن مهارات المسلمين في شتى المجالات؛ فنجد من الأمثلة على ذلك أن جغتاي نفسه اتخذ طبيبا مسلما يسمى "**مجد الدين**"، كما اتخذ من أحد أثرياء التجار المسلمين وزيرا له ويسمى "**قطب الدين حبش عميد**" وهو من منطقة أوترار قرب بخارى والذي استطاع أن يتغلغل إلى قلوب أبناء جغتاي ويجعل منهم رفقائه، وهو ربما ما عاد النفع على الإسلام خاصة إذا علمنا أن أحد أحفاد جغتاي

[1]– محمد رجب عبد الحليم: المرجع السابق، ص 73.

[2]– الخالدي: المرجع السابق، ص 229.

قد اعتنق الإسلام وتسمى باسم مبارك شاه[1]، وعلى العموم فإن الجغطائيين قد عرفوا الإسلام في عهد حاكمهم طيرماشيرين(726-734هـ/1326-1334م)[2].

وبرزت شخصية أخرى وهي شخصية بهاء الدين المرغلاني (المارغيناني) الذي صار بيته مقصدا للعلماء وجمع بين العلوم الدينية والدنيوية وكان والده يتولى منصب شيخ الإسلام في ولاية فرغانة قبل الغزو المغولي، وتأثر بنشاطه عدد كبير من الموظفين المغول واعتنقوا الإسلام مثل كورجوز[3] نائب الإيلخان في خراسان الذي كان على البوذية وباعتناقه للإسلام أعاد للمسلمين حقوقهم وقام بحماية السكان المسلمين من ظلم المغول.

ومن الأسر التي سجل لنا التاريخ دورها الكبير في المحافظة على معالم الدين الإسلامي وإعادة بعث الحركة الإسلامية من جديد أمام المد المغولي أسرة محمود يلواج أسرة ذاع صيتها في عهد جنكيزخان ممثلة في تاجر يدعى "**محمود يلواج**" الذي حظي بثقة جنكيزخان حتى تقلد المراكز العليا في دولته ومنها أنه أرسل سفيرا إلى محمد خوارزم شاه سنة 615هـ/1218م ثم عينه حاكما في بلاد ما وراء النهر[4]وظل حاكما لها في عهد أوكتاي خان، ونال هذا الرجل مكانة هامة في عهد خلفاء جنكيزخان، فقد عينه كيوك خان حاكما على بلاد الخطا، وفي عهد مانكو خان صار النصف الشرقي لإمبراطورية المغول — والممتد من شواطئ جيحون إلى منتهى بلاد الخطا والصين – تحت حكم مسعود بيك الذي استمر في حكمه لهذه البلاد حتى وفاته سنة 688هـ/ 1289م ولم ينقطع عمل –هذه الأسرة بوفاته بل واصل إخوته من بعده في عهد قايدو حفيد أوكتاي[1]

[1]– محمد رجب عبد الحليم:المرجع السابق، ص 75.

[2] – تيرماشيرين: ونجده بالطاء طيرماشيرين بفتح الطاء وسكون الراء (724 -734هـ/1324-1334م) من احفاذ جغتاي بفضله توحد أبناء جغتاي تحت سلطانه ومن اوائل السلاطسن الذين اعتنقوا الإسلام وحسن اسلامه.انظر: ابن بطوطة: المصدر السابق،ج3، ص 27.

[3]–كورجوز: ينتمي إلى الأصول الإيغورية، واختلفت المصادر التي أتت على ذكره في كتابة اسمه فالجويني ذكره باسم كركوز والهمذاني أشار له بكوركوز ويذكره السيد الباز باسم كورجز ،وهو من الرجال البارزين لما اشتهر به من ثقافة واسعة ودرايته الكبيرة بالثقافة الإيغورية والمهتمين بتعليمها خاصة الخط الذي لقنه للصبيان حتى صار مشهورا وبارعا فيه.أنظر: سعاد هادي حسن الطائي: الأمير كوركوز الأويغوري دراسة في سيرته ودوره السياسي والإداري والاقتصادي والعمراني خلال العصر العباسي(624-641هـ/1227-1243م)، قسم التاريخ ، جامعة بغداد، ص 86ومابعدها.

[4]– العريني: المرجع السابق،ص59.

[1]– و.بارتولد:المرجع السابق، ص 204؛محمد رجب عبد الحليم: المرجع السابق، ص 77.

إن الفترة التي قضتها هذه الأسرة في خدمة المغول كانت تعتبر خدمة للإسلام بحق فقد وضع أفراد هذه العائلة بصمتهم في تاريخ المغول وصبغ الدولة بالصبغة الإسلامية من خلال النهوض بتلك البلاد وبعث النشاط العلمي والثقافي وحتى العمراني، فنستطيع القول أن بخارى وكاشغر بدأ يعود إليهما بريقهما على يد مسعود بيك الذي بنى فيهما المدارس والتي عرفت بالمدارس المسعودية نسبة إليه وخربها مغول إيران سنة 1273م ثم أعيد بناؤها[1]، وحوت هذه المدارس الأئمة والمشايخ والمدرسين من أجل نشر الثقافة والعقيدة الإسلامية بين المغول والمحافظة على ما تبقى من التراث الإسلامي وبعثه من جديد[2].

وحقق الوجود الإسلامي انتصارا كبيرا في الصين مركز البوذية واستطاع أن يدخل إلى مقاطعة يونان عن طريق الشخصية الفذة "**السيد الأجل**" أحد أشهر الوزراء والحكام الذين دخلوا في خدمة المغول وممن لهم أثر كبير في نشر الإسلام في غربي الصين خاصة في مقاطعة يونان، واستغل هذا الأخير خبرته منذ تواجده مع جنكيزخان وظل محافظا على ثقة المغول فتولى مناصب عليا، فعينه أوكتاي بن جنكيزخان حاكما لثلاث ولايات وهي فونغ،و تسينغ، ويون ناي، ولما تولى منكوخان الحكم أوكل له المهام الإدارية رفقة شخصيات أخرى[3]، وأسندت إلى السيد الأجل في عهد قوبيلاي خان بيت مال الإمبراطورية ثم قلده منصب الوزارة، وعين عضوا في مجلس أمانة السر الأعلى، ثم تولى إدارة ولاية يونان[4] فعمرها السيد الأجل وبنى فيها المساجد المدارس ووضع الطرق والجسور والسدود وأزال المظالم حتى ذكر أن الفضل في انتشار الإسلام في مقاطعة يونان يعود له ولابنه "**نصير الدين**" إلى أن صار سكان عاصمة يونان مسلمين في بداية القرن الثامن هجري، الرابع عشر ميلادي نتيجة لاعتناء السيد الأجل بالدين الإسلامي والمسلمين وبوفاة هذا الأخير سنة 669هـ/1270م غلب الحزن على الصين بأسرها لفقده[5].

[1]- و.بارتولد:المرجع السابق، ص 204.

[2]- محمد رجب عبد الحليم:المرجع السابق، ص 77؛الصياد:المرجع السابق، ص 210.

[3]-محمد رجب عبد الحليم:المرجع السابق، ص 261.

[4]-أرنولد:المرجع السابق، ص 335.

[5]- محمد رجب عبد الحليم:المرجع السابق، ص 261.

1.3. تأثير السكان المحليين:

يعد هذا العامل من أقوي العوامل التي أثرت في إسلام المغول لأنه راجع إلى الاحتكاك الذي حدث بين الغزاة والسكان الأصليين، فالغزاة لا يمتون للدين ولمظاهر الحضارة بأي صلة، والطرف الثاني وهم الترك والفرس فهذان الشعبان لهما عهد طويل بالحضارة والإسلام، مما جعل المغول يذوبون في هذا الوسط مع هدوء الغارات المغولية، وذكر الهمذاني في كتاب جامع التواريخ أن المغول لم يكادوا يختلطون بالشعوب المهزومة حتى تخلصوا من وحشيتهم القديمة وراحوا يسيرون في طريق الحضارة بخطى تدريجية[1].

أفرزت الغزوات المغولية ثلاث مناطق كبرى توزعت بين أبناء جنكيزخان وهو ما ورد بيانه بالتفصيل فيما تقدم من البحث وسأحاول أن أبين هذه المناطق وتأثير سكانها على الغزاة، أماالمنطقة الأولى فهي: آسيا الوسطى والقفجاق الممثلة بشعبها التركي المسلم منذ عهد مبكر وما اكتسبوه من مظاهر الحضارة الإسلامية، وأولما تأثر به المغول في هذه المناطق هي اللسان التركي حيث نجد أن المغول تخلوا عن لغتهم وتحولوا إلى اللغة التركية ويذكر المؤرخ التركي يلماز أزطونا أن اللغة التركية هي اللغة الرسمية في كل من مملكتي جغتاي ومغول القبيلة الذهبية خلال القرن الرابع عشر ميلادي[2].

وأما المنطقة الثانية: نجد أن الفرس قد أبهروا الغزاة وحلت اللغة الفارسية مكان اللغة المغولية التي اعتبرت لغة ميتة وصارت الفارسية لغة البلاط وداخل إدارات الإيلخانية، وذاب المغول أمام النظم والخبرات الفارسية التي كانت تزخر بها المنطقة الممتدة من تركستان طبرستان والري،كما أن اللغة الفارسية انتقلت إلى المكتبات لقيت انتشارا واسعا إلى درجة وصولها إلى بلاط أكتاي خان في قراقورم وما يدل على ذلك وجود رسالة بعث بها هذا الأخير إلى إنوسنت الرابع، ورسالة **مانكو خان** إلى الملك **لويس التاسع** وكانتا مكتوبتان باللغة الفارسية[3].

ولا نكاد نجد تأثير كبير بالنسبة للغة العربية خاصة إذا ما قارناها بالفارسية والتركية وسبب ذلك الضربة القاضية التي تلقتها الحضارة العربية الإسلامية بعد سقوط بغداد سنة 656هـ/1256م مما أدى إلى انحسار هذه

---

[1]- الهمذاني:تاريخ هولاكو، ص 84.

[2]-يلماز اوزطونا:المدخل إلى تاريخ التركي، تر: أرشد الهرمزي، ط1، الدار العربية للدراسات، بيروت، 2005، ص 368.

[3]-محمد رجب عبد الحليم:المرجع السابق، ص79.

اللغة، ونجد أن اللغة العربية اقتصرت بصفة أكبر على المكتبات[1]، لكن هذا لا يمنع من وجود طوائف انتقلت إلى البلاد العربية وتأثرت بالسكان هناك وطبيعة معيشتهم.

1.4الطرق الصوفية :

ظهرت العديد من الطرق الصوفية ونمت بشكل كبير جراء العديد من العوامل، ولعل أهمها الأوضاع الداخلية للعالم الإسلامي وتسلط الحكام، وظهور الخطر الصليبي أواخر القرن الخامس الهجري، الحادي عشر ميلادي، ولم ينته هذا الخطر حتى أبتلي الناس بقدوم الغزاة من الشرق[2]، هذا الخطر الذي خلف دمارا هائلا في المنشآت وهلاك الأنفس واتخاذه لسياسة العنف والرعب طريقة لإخضاع الأمم مما جعل العديد من الناس يسلكون مسلك التصوف كوسيلة للدفاع السلبي، وكذا لأن أصحاب هذه الوسيلة قد أدركوا مكانة أهل الدين والعلماء عند الغزاة، وهو مافعله الشاعر "**كمال الدين إسماعيل**" الذي تشبه بالصوفيين ولبس خرقة الصوفيةوأقام في زاوية خارج مدينة أصفهان خوفا من المغول وعندما أغار عليها المغول بقيادة أوكتاي سنة 635هـ/1237م أكتشف أمره فأخذوا ما تحته من أموال وعذبوه حتى الموت، كذلك أدى الخوف من المغول بكثير من الناس إلى إيداع أموالهم لدى الصوفيين كي لا تطاله أيدي المغول[3]، لكن سرعان ما تحول هذا الدفاع السلبي إلى نقيضه عندما حمل هؤلاء المتصوفة ومريديهم السلاح وعملوا على مواجهة العدو وبعد هدوء العاصفة حمل المتصوفة على عاتقهم نشر الدين الإسلام بين المغول .

لقد انتشرت الطرق الصوفية في ربوع آسيا وتم بناء الزوايا والخانقوات[4] بغرض الاعتكاف والتعبد وانبرى أهل التصوف للدعوة ونشر الإسلام .

إن المتتبع لانتشار هذه الطرق يلمس نقطتين أولاهما أنها مست مراكز ومدن هامة من غرب آسيا إلى وسطها وشرقها مما يعطي دلالة واضحة على مدى انتشار الصوفية ومريديها في فترات مختلفة، والثانية هي

---

[1]- يلماز:المرجع السابق، ص 369.

[2]- محمد رجب عبد الحليم:المرجع السابق ، ص 84.

[3]-مرجونة: المرجع السابق، ص 360؛ادوارد جرانفيل براون:تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، تر: إبراهيم أمين الشواربي، ج2، ط 1،المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص 688.

[4]-الخانقوات: ويقال الخوانق ومفردها خانقاه وهي بيت ينقطع فيه الصوفية للعبادة والذكر. أنظر:مرجونة:المرجع السابق، ص 360.

ظهورها في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، الحادي عشر ميلادي وهي فترة قريبة من ظهور الغارات المغولية بل إن هناك من عاصر الغزوات المغولية والتحم في القتال واستشهد مثل نجم الدين الكبرا مؤسس الطريق الكبراوية الذي قتل سنة 618هـ/1212م[1].

لقد دخلت الطرق الصوفية في مقاومة المغول وحاولت الوقوف في وجه الغزاة عديد المرات قبل أن تنتقل إلى نشر الإسلام بينهم فهناك إشارات إلى مثل هذه المقاومة، فمثلا برزت شخصية "**أبي الكرم الداراني**"[2] الذي قاد مجموعة من أتباع الصوفية، وشن هجمات عديدة ضد المغول المتواجدين في بخارى، واستطاعوا قتل عددا من جنود المغول في كثير من المرات، لكن المغول استطاعوا القضاء على هذه المقاومة بعد أن قتلوا الآلاف منهم .

أدرك أصحاب النزعة الصوفية استحالة مقاومة المغول نظرا للفرق الكبير في القوة العسكرية، فقرروا أن ينتهجوا أسلوب الدعوة وترغيب المغول في الدين الإسلامي، وقد برز النشاط الدعوي لهذه الطرق ممثلا في الطريقة الكبراوية في الشرق من آسيا والطريقة السهروردية في غربها، ويمكن أن نعطي لمحة عن أهم الطرق التي كان لهاما دور في إسلام المغول.

1.4.1.الطريقة الكبراوية:

تنسب هذه الطريقة لمؤسسها نجم الدين الكُبْرَى المكنى بأبي الجناب وهو أحمد بن عمر الخوارزمي ولد سنة 540هـ تنقل هذا الشيخ بين العديد من أقطاب العلم في تلك الفترة طالبا للعلم ومنها نيسبور وهمذان وأصبهان ثم انتقل إلى مكة لتعلم الحديث وبعد جولة علمية عاد إلى خوارزم وأسس واحدة من أشهر الطرق

[1]– محمد رجب عبد الحليم:المرجع السابق، ص 87.

[2]– أبي كرم الداراني :هذا الاسم عند ابن الفوطي في حوادث سنة 637هـ فقال أنه إنسان أعجمي متصوف ظهر في بخارى يعرف بأبي كرم الداراني كان يري الناس الأعاجيب من أنواع الشعوذة ويأمر إنسانا أن يرميه بسهم فتثقل يده ولا يستطيع ذلك فكثر جمعه وتلقب بالمهدي وأمر بقتل اليهود والنصارى ونهب أموالهم فقتلوا ونهبوا وقال لأصحابه إني قادر على قتل المغول وكسرهم بنفسي ومن يتبعني بقدرة الله تعالى من غير احتياج سلاح فتبعه خلق كثير . أنظر:ابن الفوطي:الحوادث الجامعة، ص 156.

الصوفية وهي الكبراوية، وكان لها دور بارز في الدعوة الإسلامية في آسيا وبدخول المغول عمل على رفع راية الجهاد استشهد سنة 618هـ/ 1221م بعد اقتحام المغول لخوارزم[1].

وحدث في يوم أن كانت الدنيا تغلي بالمغول أن جمع الشيخ الكبرى أتباعه ومريديه[2] وأمرهم بالمغادرة والعودة إلى ديارهم قائلا لهم:"ستتقد في المشرق نارا يندلع لهيبها حتى يلفح المغرب، وإنها لكارثة لم يحدث مثلها حتى الآن لهؤلاء القوم الآمنين"، فقالوا له :" لماذا لا تصلي من أجلهم فربما ينكشف البلاء عن ديار المسلمين " فأجابهم قائلا :"أنه بلاء مقدر مقدور لا تنفع فيه صلاة ودعاء"[3]، أبدى الشيخ الكبرى شجاعة في مواجهة المغول بأبسط الأشياء فقد استعمل الحجارة التي وضعها في جعبته وقذف بها المغول فأتاه سهم من أحدهم فأرداه شهيدا وبعد استشهاده أصبح سيف الدين الباخرزي[4] شيخا للطريقة في بخارى وبلاد ما وراء النهر .

كذلك من الطرق الصوفية أيضا الطريقة اليسوية التي أسسها أحمد اليسوي[5]، وقد ذاع صيت جماعات من المتصوفين في تركستان تعرف **"بالخوجان"** وقاموا بدور مهم في نشر الإسلام بين المغول ومن أشهر هؤلاء

---

[1]- نجم الدين كُبْرَى:فوائح الجمال وفواتح الجلال، تح: يوسف زيدان، ط1 ، دار سعاد الصبح، 1993، ص 21؛الذهبي:سير أعلام النبلاء، تح : بشار عواد معروف، ج21 ، ط 11، مؤسسة الرسالة، بيروت ، 1996، ص 111.

[2]- من هؤلاء الشيخ صفي الدين الباخرزي، والشيخ نجم الدين الرازي، والشيخ جمال الدين الجيلاني، والشيخ جمال الدين البغدادي، والشيخ بابا كمال الجندي. وغيرهم كثير. وممن أرسلهم إلى مختلف الأماكن لنشر دعوته نجد : سعد الدين الحموي إلى خراسان، وكمال الدين السرباتي إلى تركستان، ونظام الدين الجدي إلى القفجاق، وسيف الدين الباخرزي إلى بخارى .وقد استقر هؤلاء في مناطقهم بعد استشهاد شيخهم على يد المغول .

[3]- محمد علي البار:المرجع السابق، ص 69.

[4]- الشيخ سيف الدين أبو المعالي سعيد بن مطهر الباخرزي ولد سنة 586هـ نسبة إلى باخرز من نواحي نيسابور شيخ زاهد عارف كبير المحدث الورع الزاهد أتى بخارى سنة 622هـ وأقام بها زاوية للعلم والدعوى وترك مؤلفا سماه وقائع الخلوة توفي سنة 659هـ.أنظر:نجم الدين الكبرى:المصدر السابق، ص 69؛ الذهبي: المصدر السابق، ج23،ص 363؛ ابن العماد الحنبلي:شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط ، مج7، ط1، دار ابن كثير،بيروت، 1991، ص 516.

[5]-الطريقة اليسوية: يعود تأسيسها إلى أحمد اليسوي ابن الشيخ ابراهيم أحد الدراويش الأتراك وهو أحد أبرز الشخصيات التركية في عالم الفكر وقد سلك اليسوي سبيل التصوف تحت تأثير درويش يسمى أرسلان بابا ورحل إلى بخارى فدرس في

"**محمد بهاء الدين البخاري النقشبندي**" (717-791هـ / 1318-1389م)، ولد في قصر عارفة ببخارى وهو مؤسس الطريقة النقشبندية التي سيطرت على ساحة العمل الصوفي وقضى دعاتها حياتهم في الدعوة لهذه الطريقة في نواحي سمرقند ووصل صيتها إلى تركستان وأذربيجان وإيران وصارت زواياها مراكز تضم العديد من المريدين والذين يعملون على تعليم الناس ونشر الإسلام بين المغول والترك والوثنيين ودعم مبادئ السنة في ما وراء النهر، وكان قادة هذه الطريقة معظمهم من التجار الأثرياء والقادة العسكريين [1].

إن من أكثر الطرق الصوفية شهرة الطريقة المولوية التي أسسها "**جلال الدين الرومي**" (604-672 هـ / 1207- 1282م)كان لهذه الطريقة صولات علمية من خلال المدرسة التي أنشئت في قونية من أجل نشر الدعوة الإسلامية وقد جذبت إليها العديد من الأتباع والمريدين وعرفوا باسم الجلالية نسبة لجلال الدين وعرفوا بالمولوية نسبة إلى اسم الشهرة مولانا أو مولوي، واتخذ هؤلاء من الدعوة السرية طريقة لهم في نشر تعاليم وأسس هذه الطريقة وعملوا على استمالة المغول[2].

لقد نجح هؤلاء الدعاة نجاحا باهرا في تلقين المغول مبادئ الدين الإسلامي ومن الدلائل على ذلك نجد تحول بركة خان بن جوجي سلطان القبيلة الذهبية الذي اعتنق الإسلام على يد أحد أتباع نجم الدين الكبرا وهو "**الشيخ الباخرزي**" وبإسلامه أسلم أصحابه ورجال بلاطه وجنده، واعتنق أحمد تكودارخان الإسلام بتأثير من الصوفية الأحمدية الرفاعية، واعتنق خدابنده بن أرغون بن أباغا خان الإسلام بتأثير من فقيه صوفي، وتعاظم النفوذ الصوفي في ايلخانية إيران في عهد أبي سعيد (716-736هـ/1316-1335م)من خلال الأمير المغولي جوبان الذي أظهر ولاء كبيرا لأحد شيوخ الصوفية وهو "**صفي الدين اسحق الأردبيلي**"[3].

الكتاتيب وتتلمذ على يد المتصوف الشيخ يوسف لهمذاني (ت1166م) وقد نشر أتباعه ومريدوه هذه الطريقة وأشهرهم الحكيم سليمان باقرغاني. أنظر:يلماز: المرجع السابق، ص 167.

[1]-هدى درويش:دور التصوف في نشر الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، ط1،عين للدراسات والبحوث والإنسانية الاجتماعية، 2004 ،ص 101.

[2]-محمد رجب عبد الحليم:المرجع السابق، ص 91.

[3]-مرجونة:المرجع السابق، ص 362.

1.5.التجارة:

يمكن القول أن هذا العامل شكل نقطة التقاء بين المسلمين وغيرهم من شعوب آسيا والمغول خاصة لما له من فائدة على الجانبين فالمعرف عن المسلمين أنهم اهتموا بالتجارة حتى في أقاصي آسيا ودائما ما سارت الدعوة إلى الإسلام جنبا إلى جنب مع البضائع والسلع التي حملها التجار المسلمون إلى الأطراف البعيدة في تركستان والصين[1].

وأبدى المغول إهتماما كبيرا بالتجارة وكانوا يدركون المشاكل والقلاقل التي يعاني منها التجار القادمين من البلدان المجاورة لذا كان لزاما عليهم أن يضمنوا سلامة دخولهم عن طريق فرض رقابة على الطرق التي يسلكونها وإقامة الخانقات والبريد وغيرها،حيث نجد أن آسيا كسبت نوعا من الأمن في ظل التواجد المغولي وهو ما أطلق عليه التركي يلماز أزطونا السلام العالمي[2].

أدت هذه العوامل إلى عودت النشاط التجاري إلى سابق عهده وحفزت التجار المسلمين إلى عودة إلى مزاولة نشاطهم، وكانت عودتهم في صالح نشر الدين الإسلامي بين المغول عن طريق تشييد المساجد والمدارس والخانقات[3] في المدن التجارية وكذلك في الطرق التي كانت تمر بها قوافلهم، مما جذب العديد من الترك والمغول إلى اعتناق الإسلام، ومن بين العوامل التي جذبت المغول إلى هذا الدين الأخلاق التي تحلى بها التجار المسلمون كالصدق والأمانة والبعد عن الغش وعديد الخصال الحميدة التي أدت إلى ارتفاع نفوذ المسلمين في بلاط المغول بعدما كسبوا ثقة الملوك والأمراء المغول وعملوا على استعطافهم وكسب ثقتهم والتقرب إليهم بالهدايا الثمينة من مختلف السلع التي كانوا يحملونا، ومن بين الأحداث التي تدل على ارتفاع نفوذهم حادثة قتل أحد مشايخ المسلمين التجار الأمر الذي أدى إلى امتناعهم عن الاتجار في الصين، ولما علم قوبلاي خان بهذه الحادثة ألغى تعليماته بشأن اضطهاد المسلمين وأدى ذلك إلى تعديل سياسته تجاه جميع المسلمين[4].

---

[1]- العريني:المرجع السابق، ص 152.

[2]- يلماز:المرجع السابق، ص 373.

[3]- العريني: المرجع السابق، ص 152.

[4]- محمد رجب عبد الحليم:المرجع السابق،ص 99.

بالإضافة إلى ذلك وجود مدن ظهرت كمراكز تجارية في العهد المغولي، ففي إيران نجد كل من تبريز والسلطانية، ولم تكن عاصمة القفجاق "سراي" بأقل شأن منهما حيث أن موقعها الإستراتيجي الذي يقع على خط سير القوافل التجارية الإسلامية وغيرها، جعلها قبلة للتجار من العراق وإيران والشام ومصر الذين اتخذوا لأنفسهم تجمعات وأحياء خاصة بهم حفاظا على أموالهم وتجارتهم .

2. الإسلام في الممالك المغولية:

كان انتشار الإسلام بين ممالك المغول متباينا، من حيث الأسبقية فيما بينها، وقد مر انتشار الإسلام بين المغول عبر مرحلتين الأولى مرحلة التمهيد والثانية مرحلة الانتشار، ونحاول في هذا العنصر إدراج أمثلة عن الحكام الذين اعتنقوا الإسلام في الممالك الثلاثة .

2.1.إسلام مغول القبجاق (القبيلة الذهبية) :

2.1.1.بركة بن جوجي بن جنكيزخان:

هو أول من اعتق الإسلام من حكام المغول وأمرائهم وكان ذلك سنة (640هـ/1242م)، ولم تصلنا الأخبار عن سيرته قبل اعتلائه العرش سنة 654هـ/1256م إلا الشيء القليل ومن الإشارات على ذلك أنه حضر مجلس القوريلتاي سنة 644هـ/ 1246م الذي توج كيوك خانا على المغول ثم حضوره لتتويج مانكو خان سنة 649هـ/1251م[1].

إن اعتناق بركة خان للإسلام يعتبر الحدث الأبرز في حياته وفي تاريخ المغول إذ أنه أول حاكم مغولي من أحفاد جنكيزخان اعتنق الإسلام[2]، وشكل اعتناقه للإسلام منعرجا حاسما في تاريخ المغول بالنظر إلى الانعكاسات التي طرأت على الإمبراطورية المغولية والتي من بينها اعتناق مغول القبجاق للإسلام اقتداء بملكهم

[1]- البار:المرجع السابق، ص 115.

[2]- الرمزي:المصدر السابق،ص 504؛القلقشندي:صبح الأعشى،ص 309؛أرنولد، المرجع السابق، ص 258؛طقوش:تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند، ص 31.

بركة خان وانعكس إسلامه على العلاقة بينه وبين ابن عمه هولاكو حاكم مغول فارس وناصبه العداء وتوثقت في الوقت نفسه علاقته مع المسلمين[1].

أما عن إسلامه فإننا نجد فيه روايتان الأولى أنه أسلم بسبب التاجرين الذين التقاهما بركة خان أثناء عودته إلى مملكة القبجاق وسألهما عن الإسلام فشرحا له شرحا مقنعا انتهى إلى اعتناقه الإسلام وقد كاشف أصغر إخوته في بادئ الأمر عن تغييره لدينه واعتناقه الإسلام ودعاه إلى أن يحذو حذوه، ثم أعلن اعتناقه للإسلام على الملأ[2]، والرواية الثانية وقد تمت الإشارة إليها والتي مفادها إسلامه على يد أحد مريدي الشيخ نجم الدين الكبرا وهو سيف الدين الباخرزي[3]، وبين هذه الرواية وتلك نجد أن لبركة خان له دراية مسبقة بدين الإسلام وهو ما تؤكده رواية الجوزجاني الذي ذكر أنه عند ولادة بركة خان قال والده :"لقد جعلت ابني هذا مسلما، فليحضروا له مربية مسلمة، حتى تقطع سرته على الطريقة الإسلامية، وليرضع لبن مسلمة،لأن ابني هذا سوف يكون مسلما " ويضيف أنه عند نشأته جمعوا قوما من المسلمين واختاروا واحدا منهم ليعلمه القرآن[4].

وعن تاريخ إسلامه أكان قبل توليه الحكم أم بعده فالمؤرخ القلقشندي يذكر بأن بركة خان ذهب لحضور مراسم تنصيب مانكوا خان سنة 649هـ/ 1251م وأثناء عودته إلى بلاده التقى بالشيخ سيف الدين الباخرزي في بخارى واجتمع به وأسلم على يده فكان أول حكام المغول المسلمين[5]، وبعيدا عن كل هذا فإن المهم هو اعتناقه للإسلام الذي عاد بالفائدة على الإسلام والمسلمين وأضحى الدين الإسلامي في مركز الصدارة داخل القبيلة الذهبية واقتدى قادتها وأمراؤها بحاكمهم وتحولوا إلى الإسلام واعتنقت زوجته ججك خاتون الإسلام واتخذت لها مسجدا من الخيم تنقله معها أينما تحل ولها مؤذن وإمام[6]، ويذكر الجوزجاني أن كل

[1]- ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تق: وتع: محمد حسين شمس الدين، ج7، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1992،ص 194.

[2]- القلقشندي:مآثر الأناقة في معالم الخلافة، ص 99 ؛ أرنولد:المرجع السابق، ص 258.

[3]- طقوش:تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند ، ص 31.

[4]- الجوزجاني:المصدر السابق، ص 226.

[5]- القلقشندي:صبح الأعشى، 309.

[6]- البار:المرجع السابق،ص 120.

جيشه كان مسلما كما يذكر بعض الثقات أنه قد جرت العادة بأن يحمل كل فارس في جيشه سجادة للصلاة حتى إذا ما حان وقت الصلاة أقاموها، كما لم يكن في جيشه من يتناول المسكرات[1].

وشهد معظم المؤرخين بخصال بركة خان الحميدة ونصرته للإسلام والمسلمين وتقريبه لأهل العلم والعطف عليهم فيقول ابن تغري بردي:" وكان بركة هذا يميل إلى المسلمين ميلا زائدا ويعظم أهل العلم ويقصد الصلحاء ويتبرك بهم "[2]، وذكرالذهبي في سيره الوصف نفسه من ميل للمسلمين وتعظيم للعلماء وتبركه بالصلحاء[3]، فصدق المقريزي حين قال:" كان أعظممملوك التتر"[4]، غير أنه بعد وفاة بركة خان تولى "**منكوتمرابن طغان بن باتو ابن جوجي**" تسيير القبيلة الذهبية[5] في الفترة الممتدة مابين (666-679هـ/1267-1280م) حيث شهدت فترة حكمه تراجع الإسلام خاصة إذا ما قورن بعهد عمه بركة خان ذلك أن الحاكم الجديد للقبيلة الذهبية لم يثبت إسلامه وسكتت المصادر والمراجع عن إسلامه واكتفت بذكر اعتلائه العرش والأحداث التي دارت في عهده وخبر وفاته ولم تأت على ذكر ما يدل على إسلامه رغم أنه أبقى على العلاقة الحسنة التي وضعها سلفه بركة مع المسلمين ولم يعاد الإسلام وأهله، وعمل **منكو تمر** على تبادل السفارات مع المماليك في مصر من أجل قتال مغول فارس بقيادة أبقا خان[6]، وقد كان لهذه العلاقة الوطيدة تأثيرها على الحياة الدينية في القبجاق وانتشر الإسلام في هذه المناطق حيث أنشئت المساجد والقصور على يد المعماريين المصريين وحملت الفسيفساء ورسوم الحوائط إلى سراي[7] وأعطت سياسة التقارب بين القبيلة الذهبية والمماليك ثمارها باعتناق بعض من أمراء المغول للإسلام وكان من بينهم "**ليسو نوغاي**" الذي أرسل رسالة إلى السلطان قلاوون يخبره فيها باعتناقه للإسلام، والملاحظ في هذا العهد استمرار التسامح الديني عند

---

[1]- الجوزجاني: المصدر السابق، ص 227.

[2]- ابن تغري بردي:المصدر السابق، ص 194

[3]- الذهبي:سير أعلام النبلاء، ص 62 ؛ابن خلدون:المصدر السابق، ج5، ص 603.

[4]- المقريزي:السلوك ،ج2، ص 45.

[5]- ابن خلدون:المصدر السابق، ج5، ص 604؛ GastonCahen: Op Cit,p 56

[6]- فايد حماد عاشور:العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص 210؛ طقوش:تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند، ص 43.

[7]- محمد رجب عبد الحليم:المرجع السابق، ص 115؛شبولر:العالم الإسلامي في العصر المغولي، ص 94.

المغول فبالرغم من عدم إسلام منكوتمر ومهادنته لأباقا خان[1] إلا أنه لم يتخذ موقفا معاديا من الإسلام والمسلمين ويقول شبولر في هذا الشأن:"ومع أن خلفاء بركا لم يكونوا من المسلمين إلا أنهم لم يعيقوا تقدم تعاليم النبي محمد صلى الله عليه وسلم"[2].

بعد وفاة منكوتمر عاد الإسلام مجددا ليعتلي عرش القبيلة الذهبية من خلال الشخصية المسلمة الصوفية وهو "**تدان منكوخان ابن طغان ابن باطو ابن جوجي**" (676-686هـ / 1280-1287م) وعرف هذا العهد انحسار التبشير للمسيحية واقترن اسم هذا الحاكم المسلم بإيفاده لسفارة دينية إلى سلطان المماليك في مصرالناصر قلاوون عام 682هـ/ 1283م يرأسها فقهاء من القفجاق وهما"**مجد الدين آطا**" و"**نور الدين آطا**"ومعهما كتاب يتضمن إسلام تدان منكوخان وأوصى بمساعدة رسله على أداء فريضة الحج، وقد عزز حاكم القبيلة الذهبية علاقته بإرساله لقائده نوغاي على رأس حملات عسكرية لغزو بلاد أوربا مثل هنغاريا سنة 684هـ / 1285م.

2.1.2. السلطان محمد أوزبك بن طغرل شاه بن منكوتمر(712-743هـ/ 1313-1343م):

استمر نفوذ الإسلام في هذه الأراضي وازداد قوة في مرحلة الانتشار النهائي في عهد السلطان محمد أوزبك بن طغرل شاه بن منكوتمر الذي اعتلى عرش القبيلة الذهبية في عام 712هـ / 1313م ولم يعرف الإسلام في هذه المرحلة تراجعا إلى غاية انقسام القبيلة الذهبية إلى إمارات في مطلع القرن العاشر هجري، السادس عشر ميلادي[3] .

وتصدر الإسلام الحياة الدينية لمغول القبجاق وتوطدت الثقافة الإسلامية على ضفاف الفولغا، ولم يعرف الإسلام تراجعا حتى في عهد الحكام الغير مسلمين منهم، ويعود الفضل في هذا النصر إلى المبادئ التي غرست بين غالبية المجتمع المغولي في عهد بركة خان خاصة، ويمكن اعتبار عهده تمهيدا لانتشار الإسلام بصفة كلية في مناطق دولته لذا لم يجد أوزبك خان عائقا في القضاء على كل من مناوئي الإسلام واتخاذه له دينا رسميا لدولته وجاء في كتاب البداية والنهاية "وكان مسلما- يقصد أوزبك خان- ،فأظهر دين الإسلام ببلاده

[1]- طقوش:تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند، ص 44.

[2]- شبولر:العالم الإسلامي في العصر المغولي، ص 95.

[3]- محمد رجب عبد الحليم:المرجع السابق، ص 119.

وقتل خلقا من أمراء الكفرة، وعلت الشريعة المحمدية على سائر الشرائع هناك"[1]، وعن زمن إسلامه نجد تضاربا في ذلك فالرواية الأولى تقول بإسلامه قبل توليه الحكم، وكان على يد أربعة من فقهاء الفرس وهو **سيد شيخ محمد، والشيخ قولقات، والشيخ أحمد، والشيخ حسن قرقان**، والرواية الثانية ذكرها ابن خلدون مفادها أن إسلامه جاء بعد العهد الذي قطعه لقطلتمر نائب الخان المتوفى **طقطاي**[2] وقال ابن خلدون:"وعاهده على الإسلام فأسلم واتخذ مسجدا للصلاة"[3]هذه الرواية تبناها المؤرخ الروسي بارتولد وأضاف أن أوزبك اعتنق الإسلام بعد سبع سنوات من تنصيبه حاكما على مغول القبجاق أي سنة 720هـ/ 1320م، ويذكر أن الشيخ "**سيد آتا تركستان**" المدفون بطشقند هو الذي دعاه إلى الإسلام وسماه السلطان محمد أوزبك خان[4]، ويمكن القول بأنه إذا تم الأخذ بهذه الرواية فهذا معناه أن السلطان محمد أوزبك قد اعتنق الإسلام مقابل حصوله العرش وأنه لو لم يصل إلى الحكم لما أسلم، غير أن هذه النظرية قد تسقط،وهناك من ذكر حادثة إسلام أوزبك خان من دون الإشارة إلى الشرط المتعلق بارتقاء الحكم مقابل اعتناق الإسلام وهي رواية يذكرها ابن تغري بردي المتأخر زمنا عن ابن خلدون وأشار إلى المساعدة التي تلقاه أوزبك خان من طرف قطلتمر وقال:" ... وكان الذي أعان أوزبك خان على السلطنة شخص من أمرائهم من المسلمين يقال له قطلقتمر كان على تدبير ممالكهم"[5].

وقد تناول المؤرخ شبولر إسلام أوزبك بطريقة تحليلية أكثر وبعيدا عن الجدل حول تاريخ إسلامه بذكره لعودة الهيبة والقوة لحكام القبيلة الذهبية بعد اعتلاء أوزبك لعرش المملكة خاصة بعد اعتناقه للإسلام وأضاف أن

[1]- ابن كثير:المصدر السابق، ج 18، ص 127.

[2]- طقطاي: توفي طقطاي 712هـ / 1313م وله ثلاثون سنة وقد تولى الحكم وهو ذو سبع سنين ومات على الشرك وكان له ابن قد أسلم فمات قبله وتسلطن بعده أوزبك . أنظر : الذهبي:دول الإسلام، ج2، ص 247 ؛ابن كثير:المصدر السابق، ج18، ص 126.

[3]- ابن خلدون:المصدر السابق ، ج5، ص 606؛الرمزي:المصدر السابق، ص 504.

[4]- و.بارتولد:المرجع السابق، ص 197.

[5]- ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج9، ص 161.

هذا الخان هو أول حاكم في سلسلة كاملة من الخانات المسلمين واعتبر أن أوزبك هو المؤسس الحقيقي للأمة التترية وأنه مازال هناك شعب من شعوب الأتراك في أواسط آسيا يطلق عليهم الأوزبك[1].

ومهما يكن فإن شخصية أوزبك الإسلامية عملت على تطبيق قواعد الشريعة وفرائضها، فداوم على الصلاة والصيام وحسن إسلامه واتخذ لنفسه لقبا إسلاميا ظهر على العملة التي صكها خلال فترة حكمه ونقش عليها "**غياث الدين محمد أوزبك ومحمد أوزبك خان وأوزبك خان العادل**"،وعرفت بلاد القبجاق في عهده نقلة نوعية وبلغت الدعوة الإسلامية مرحلة متقدمة[2]، ويبدو أن أوزبك أظهر حماسا شديدا من أجل نشر هذا الدين وتعميمه فإلى جانب اتخاذه دينا رسميا حرص على دعوة وتحويل كل من بقي على وثنيته إليه كما قيل:"وقتل خلقا من أمراء الكفرة"[3]، وذكر أنه خلال فترة عام واحد بعث برسالة إلى القاهرة يذكر فيها خلو بلاده من أي وثني ومن نتائج إسلام أوزبك خان هو إعطاء الصبغة الإسلامية للدولة التي اتخذت الشريعة الإسلامية دستورا لها،وتم التخلي نهائيا عن تعاليم الياسا وبدأت التأثيرات العربية الإسلامية تطرأ على هذه البلاد وأقبل الفنانين المصريين والسوريين وفتح المجال واسعا أمام رجال العلم[4].

2.2.إسلام إيلخانات فارس :

2.2.1. إسلام أحمد تكودار في إيران:

يعتبر أحمد تكودارسابع أبناء هولاكو[5]، ويأتي ترتيبه الثالث في سلسلة إيلخانات مغول إيران، وهو أول إيلخان مغولي يعتنق الإسلام واتخذ اسما إسلاميا هو أحمد، وكان أول من رفض تسمية (إيلخان)، فتلقب بلقب السلطان، وكثيرا ما يضاف إليه الاسم العربي الإسلامي أحمد ووصفه ابن حبيب (ت779هـ/1377م) بأنه كان"عالي الهمة، شجاعا، مقداما، خبيرا بالحروب"[6].

---

[1]- شبولر:العالم الإسلامي في العصر المغولي، ص 99.

[2]- طقوش:تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند، ص68.

[3]- ابن كثير:المصدر السابق، ج18، ص 127.

[4]- طقوش:تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند، ص68.

[5]- الهمذاني:تاريخ أبناء هولاكو، ص 88.

[6]- ابن حبيب:المصدر السابق، ص 72.

كان أحمد تكودار مسيحيا خلال طفولته، وذلك بسبب والدته المسيحية، وتسمي باسم مسيحي وهو "نيقولا[1] تيمنا باسم البابا "نيقولا الأول"، أما اعتناقه الإسلام فكان عند بلوغه سن الرشد لاتصاله بالمسلمين وتأثره بهم[2]، لكن بعض المصادر تشير إلى أن إسلام تكودار كان منذ طفولته المبكرة على يد شيخ صوفي هو "**كمال الدين عبد الرحمان الرافعي**"[3] الذي وكل بتنشئته، وكان هذا الشيخ ابنا لمملوك رومي الأصل من مماليك الخليفة المستعصم آخر الخلفاء العباسيين، وبعد مقتل هذا الأخير ضم هولاكو هذا الشيخ إليه وعرف بزهده وتصوفه لذلك مما سمح له بالتأثير على تكودار وحثه على اعتناق الإسلام، وهذا الشيخ هو الذي بعثه تكودار لما صار إيلخانا سنة 680هـ/1281م رسولا إلى سلطان المماليك المنصور قلاوون سنة 681هـ/1282م يعرض عليه الصلح بينهما بصفتهما سلطانيين مسلمين[4]، ومما ورد في هذه الرسالة ويدل على إسلام تكودار قوله"... تقمنا بإصلاح أمور أوقاف المسلمين من المساجد والمشاهد والمدارس وعمارة بقاع البر والربط والدواوين وإيصال حاصلها بموجب عوائدها القديمة إلى مستحقيها بشروط واقفها...وأمرنا بتنظيم الحج وتجهيز وفدها وتأسيس سبيلها وتسيير قوافلها"[5].

غير أن هناك رسالة من تكودار إلى المنصور قلاوون التي جاء فيها أنه اعتنق الإسلام:"في عنفوان الصبا وريعان الحداثة "[6]، وهي توضح أن اعتناق تكودار للإسلام كان منذ طفولته، فهو قد تولى عرش الالخانية سنة 680هـ/1281م وكان عمره ثلاثون سنة[7]، وعليه فإن عمره كان ثلاثة عشر سنة حين مات أبوه هولاكو سنة 664هـ/1246م وأنه قضى أكثر من سبعة عشر سنة من عمره مسلما قبل أن يتولى عرش الإيلخانية .

---

[1]- أرنولد:المرجع السابق، ص260؛ العريني:المرجع السابق، ص 302.

[2]- أرنولد:المرجع السابق،ص 260؛ابن الفوطي:المصدر السابق، ص 431، 432.

[3]- الشيخ كمال الدين عبد الرحمان الرافعي: عينه السلطان أحمد تكودار شيخا للإسلام لكل ممالك إيران والعراق و وضع كل أوقاف دولته تحت تصرفه، وبقي الرافعي يتصرف فيها بحرية مطلقة طيلة عهد أحمد تكودار. قام الرافعي بشطب رواتب النصارى واليهود من الدفاتر الإيلخانية، وحول المعابد البوذية والكنائس إلى مساجد، وأكره الكثير من النصارى على قبول الإسلام .محمد سالم بكر باعامر:المرجع السابق، ص 71.

[4]- الديار بكري:المصدر السابق، ص 380.

[5]- ابن العبري: المصدر السابق، ص 508؛ الدوادار: المصدر السابق، ج8، ص 252.

[6]- المقريزي: المصدر السابق، ج 2 ، ص 158(هامش 1).

[7]- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج7، ص 310.

2.2.2. إسلام السلطان محمود غازان:

يعتبر غازان أكبر أولاد أرغون خان بن أباقا بن هولاكو ووالدته تدعى قولتاق ابنة بينكجي التي تنتمي إلى قبيلة دوربان وتزوجت بأرغون وهو ابن الثالثة عشرة من عمره[1]، نشأ غازان في السنوات الأولى من حياته على البوذية معتقد أسلافه، وعمل على الاحتكاك بالبوذيين حتى أنه شيِّد العديد من المعابد في خراسان أثناء فترة حكمه لها وذلك قبل أن يتولى عرش الإيلخانية[2]، كما عرف غازان المسيحية وذلك راجع إلى تأثير زوجة جده أباقا "**دوسينا خاتون**"عليه والتي كانت تسعى إلى تنصير الأمير الصغير لكن لم توفق في ذلك لأن هذا الفتى رحل إلى خراسان في سن العاشرة مع الأمير نوروز المسلم الذي لعب دورا كبير في إسلام هذا الأمير المغولي[3].

اعتنق غازان الإسلام على المذهب الحنفي السني في اليوم الرابع من شهر شعبان عام 694هـ/ 19يونيو1295م[4]، ونال شرف إسلام السلطان الشيخ "**صدرالدين إبراهيم بن الشيخ سعد الدين حمويه الجويني**"[5] الذي أسلم على يديه ولقنه الشهادتين، وتسمى باسم محمود وأطلق اسم محمد على أخاه

---

[1]- الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص 78؛صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، تح:نبيل أبوعمشة وآخرون،ج4،ط1، دار الفكر المعاصر، لنان، 1998، ص 5.

[2]- مصطفى طه بدر: مغول إيران بين المسيحية و الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة ،(ب . ت)، ص 14 .

[3]- مثل كل من نوروز ودوسينا خاتون أحد أوجه الصراع الذي دار بين الإسلام والمسيحية من أجل كسب المغول ودوسينا خاتون زوجة جده ونجدها باسم دوزينا خاتون أو دوسينا خاتون وهي من تكفلت برعاية غازان في صغره وهي تدين بالمسيحية وحاولت التأثير في غازان من أجل اعتناق المسيحية غير أنها لم تفلح في ذلك وذلك نتيجة للصراع الدائر بين الدين الإسلامي والمسيحي .

[4]- الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر،ص8؛ الذهبي: تاريخ الإسلام،ج52.ص 37؛محمد رجب عبد الحليم:المرجع السابق، ص 188 .

[5]- صدرالدين إبراهيم بن الشيخ سعد الدين حمويه الجويني: هو الشيخ الصوفي الزاهد والإمام صدر الدين أبو المجامع إبراهيم بن الشيخ سعد الدين محمد بن المؤيد بن أبي بكر بن حمويه الجويني الشافعي ولد سنة 644 هـ في آمد بطبرستان وتتلمذ على يد أكبر علماء عصره وقد رحل في طلب العلم إلى العديد من البلدان العربية والإسلامية وفي سنة 671 هـ تزوج من إحدى بنات المؤرخ الفارسي عطا مالك الجويني، ونال مكانة كبيرة في بلاط محمود غازان، توفي سنة 722هـ.أنظر: الهمذاني: تاريخ غازان ، ص ص 122، 123 (حاشية 2)

"أولجايتو"، واقتداء بأميرهم فإن أتباعه من القادة والأمراء قد أسلموا "وفشا الإسلام في التتر"[1]، ولا يمكن لأحد أن يفوت على نفسه تلك اللحظة التاريخية فحضر المشايخ والعلماء وأقيم احتفال كبير يليق بمقام السلطان ووزعت الهدايا من الذهب والفضة على الناس، ووصل خبر إسلامه إلى العراق وخراسان[2].

2.2.3. إسلام أولجايتو خان (محمد خدابندا):

هو الابن الثالث لأرغون ولد سنة 680هـ/1281م وعلى إثر الوصية التي تركها السلطان محمود غازان لأخيه خدبندا، صار هذا الأخير حاكما جديدا لدولة المغول في فارس وابتدأ أمره بالدخول في الدين الإسلامي وتسمى بمحمد[3].

اعتنق خدابندا الإسلام على المذهب الحنفي، وأثناء ولايته لهذا الإقليم في عهد محمود غازان أحاط نفسه بفقهاء الحنفية، ولما اعتلى عرش الإيلخانية سنة 707هـ / 1307م تحول إلى المذهب الشافعي، ويبدو أن الوزير رشيد الدين فضل الله الهمذاني كان له دور أيضا في جعل خدابندا يعين أحد الفقهاء الشافعيين وهو "**نظام الدين عبد الملك المراغي**" قاضي قضاة إيران وتسري أوامره على قضاة المذاهب الأخرى[4]، فعمل نظام الدين على نشر مذهبه الشافعي، وكان كثيرا ما يناظر فقهاء المذهب الحنفي في حضرة خدابندا، وبما أنه كان واسع الإطلاع وصاحب حجة قوية استطاع الانتصار على مخالفيه في هذه المناظرات المذهبية التي أكسبته عداوة الفقهاء الحنفية، فكانوا يتصدون له بأسلوب ساخر وصاخب، فتأثر خدابندا وأمراء المغول سلبيا بهذا الخلاف بين مذاهب أهل السنة خاصة بأسلوب السخرية الذي كان يتبعه الفقهاء في مناظراتهم، وهو ما

---

[1]- القلقشندي: صبح الأعشى،ج4،ص 447.

[2]- الصفدي:تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، ص 202 ؛ محمد رجب عبد الحليم:المرجع السابق، ص 188 .

[3]- خدابندا: ورد اسمه لدى ابن خلدون بلفظ (خربندا)، و ذكره ابن بطوطة في لفظين وأن خدابندة معناه عبد الله.و خدابندة لفظ إيراني وفي اللغة الفارسية هو كلمة مركبة، خدا : الله ، بندة : عبد، و تعني الكلمة عبد الله والمؤرخون الترك كأبي المحاسن تغري بردي يسميه خربندا والذهبي كذلك، أما في لغة المغول فمعناه الثالث (خوربندا). أنظر:ابن خلدون: المصدر السابق،ج5، ص619؛العزاوي:المرجع السابق، ص401؛ طقوش:تاريخ المغول العظام، ص298.

[4]- العزاوي:المرجع السابق، ص 403.

جعله يفكر في ترك الإسلام والعودة إلى معتقدالمغول، وحاول الكهنة البوذيون، والشامانيون استغلال الوضع وأشاروا عليه بالعودة إلى معتقد آبائه.

2.2.4. إسلام أبو سعيد بهادر خان:

هو أبو سعيد بن محمد خدبندا ولد سنة 704هـ / 1307م وقد أوكلت مهمة تنشئته إلى أحد الأمراء ويدعى الأمير "**سونج**" أحد كبار البلاط المغولي، نشأ أبو سعيد تنشئة إسلامية خالصة ليعينه والده بعد ذلك على ولاية خراسا في سنة 713هـ/ 1313م،وعند وفاة والده كانأبو سعيد لا يزال في خراسان، وبعد الانتهاء من تشيع جنازة والده استلم عرش الايلخانية بموجب الوصية التي تركها والده[1].

اعتنق أبو سعيد الإسلام على المذهب السني الحنفي وهو ما تؤكده السكة التي اعتمدت في عهده وتظهر فيها أسماء الخلفاء الراشدين الأربعة، وعمل السلطان أبوسعيد على نصرة الإسلام والدفاع عن المسلمين، فرد المظالم وأبطل الفواحش وحارب المنكرات كإراقة الخمور وفرق بين المسلمين وأهل الملل الأخرى في اللباس، ونال رجال العلم والفقهاء في عهد مكانة مرموقة وشملهم عطفه[2].

2.2.5. علاقة مغول إيلخانية إيران بالتشيع:

اعتنق المغول الإسلام على المذهب السني، ولقي أصحاب المذهب الشيعي معاملة حسنة من طرف حكام المغول في إيران، فهولاكو كان نصيرا وحاميا للعالم الشيعي نصير الدين الطوسي حتى أقام له مرصدا في مدينة مراغة[3]، وكان السلطان محمود غازان قد خص الشيعة بمعاملة خاصة، فبنى للعلويين الدور في تبريز وأصفهان وشيراز وبغداد وأنزلهم فيها، وخصص لهم النفقات والمرتبات، وكان يزور قبور أئمة الشيعة وأمر بحفر نهر لنقل الماء من نهر الفرات إلى قبر الحسين بن علي بكربلاء، وكان يساعد الشيعة للحج وزيارة قبور الأئمة الآخرين في الحجاز، وكان يقول أنه رأى النبي (صلى الله عليه و سلم) في المنام ومعه علي بن أبي طالب وابنيه الحسن والحسين، وأن النبي عرفهم عليه وأمرهم أن يكونوا إخوة وأن يعانقوه، مع أنه مقرومعترف بعظمة

[1]- فهمي:المرجع السابق، ص 220.

[2]- محمد رجب عبد الحليم:المرجع السابق،ص 217.

[3]- العريني:المرجع السابق، ص 327.

الصحابة رضوان الله عليهم وغير منكر لفضلهم، إلا أن هذه الرؤيا زادت من محبته لآل البيت[1]،ويبدو أن هذه الرؤيا كانت وسيلة ليوفق بها محمود غازان بين المذهبين السني والشيعي يتفادى سخط السنيين وهم أكثرية المسلمين في إيران، وأن موقفه الإيجابي هذا من الشيعة لدليل على وجودهم في مراكز قريبة جدا من البلاط الإيلخاني، وتحول محمد خدابندا إلى المذهب الشيعي وحاول فرضه على السكان، فلقي معارضة شديدة، فالأهالي في إيران عارضوا قراره، وفي بغداد تعرض خطيب المسجد للتهديد بالقتل في حال لم يذكر أسماء الخلفاء الراشدين في الخطبة، وكذلك مناطق مثل شيراز وأصفهان، فأمر خدابندا باستدعاء قضاة هذه المدن الذين أصروا على الالتزام بمذهب السنة[2].

2.3. إسلام مغول تركستان :

يجب الإشارة إلى أن المعلومات حول اعتناق مغول تركستان للإسلام شحيحة خاصة إذا ما قورنت ببني عمومتهم في إيران والقفجاق بالرغم من اعتمادهم على وزراء مسلمين، ولعل ذلك راجع إلى السياسة العدائية التي اتبعها جغطاي ضد المسلمين[3]، غير أن الإسلام ظل يتسرب إلى مغول هذه البلاد نتيجة للعوامل التي تمت الإشارة إليها سابقا وهي عامل مشترك بين الإيلخانيات الثلاث وينتهي هذا التسرب إلى اعتناق خوانين المغول للإسلام ويتبعه في ذلك عدد كبير من الأمراء والجند[4].

[1]–الهمذاني:تاريخ غازان خان، ص227.

[2]–العسقلاني:الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج3، دار الجيل، بيروت، 1414هـ، ص 468؛ شريرين بياني، المرجع السابق، ص ص 343، 344؛ محمد حسين علي السويطي وآيات غني كمر المكصوصي: "الأثر الديني للسيد تاج الدين الآوي في الحياة الدينية في عهد السلطان اولجايتو(703-711هـ/1303-1316م)"،لأرك في الفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، ج2، العدد30، 2018، صص 30، 31؛ محمد ضايع حسون وإسراء شهيد طعمه:"السلطان خدبندا(أولجايتو) – سيرته وتوليه عرش السلطة المغولية(703-716هـ/1303-1316م)"، مجلة كلية التربية الأساسية،جامعة بابل، العدد17،2014، ص ص 104، 105.

[3]–أرنولد:المرجع السابق، ص 265 ؛ ف.باتولد:المرجع السابق، ص 661.

[4]–محمد رجب عبد الحليم:المرجع السابق، ص 231.

مر معنا سياسة الاضطهاد والتضييق التي اتبعها جغطاي ضد المسلمين إلى درجة لا يمكن لأحد أن ينطق كلمة مسلم أو كلمة الإسلام إلا إذا أريد بها التحقير والحط من قيمة الإسلام والمسلمين[1]، واستمرت هذه السياسة في عهد خلفائه المباشرين حيث تعرض بعض المسلمين للاضطهاد والقتل ومثال ذلك عندما اشتكى مسيحيو سمرقند من تحول بعض المسيحيين إلى الإسلام وعدم مواجهة ذلك من شأنه أن يشجع الآخرين على الخروجمن المسيحية وهجرها، فقام أحد كبار أمراء المغول بتعذيب شاب مسلم كان قد تحول من المسيحية إلى الإسلام وطلب منه أن يرجع إلى المسيحية ولما رفضه قتله أمام الناس تخويفا وترهيبا لهم.

ورغم سياسية الاضطهاد التي اتبعها أفراد هذه الأسرة إلا أن الإسلام بدأ يتسلل في هدوء تام إلى قلوب الأهالي، وقد كانت بلاد ما وراء النهر بسكانها المسلمين سببا في اعتناق العديد من أمراء جغطاي للإسلام، وذلك منذ عهد كبك خان (718– 726 هـ/1318 – 1326م)[2]، وقبل هذا التاريخ لا نكاد نجد من اعتنق الإسلام من أحفاد جغتاي إلا مبارك شاه (664هـ / 1265م) الذي تربى على دين الإسلام بفضل والدته "**أرغنة خاتون**" زوجة قراهولاكو،وهو أول من أسلم من هذا الفرع ولو لم تسجل له أي آثار عن إسلامه[3]، وكان النصر الحقيقي للإسلام بإعلان ترماشيرين(726 – 734هـ/1326 – 1334م) الإسلام وتبعه الأمراء والعساكر، وقد ظل المغول الذين اتبعوا زعيمهم على دينهم الجديد متمسكين به، غير أن هناك العديد من النقاط المبهمة حول سبب اعتناق هذا الحاكم المغولي للإسلام وعلى يد من اعتنقه وهناك نص للقلقشندي في هذا الشأن يمكن لنا أن نستشهد به:"وأول من أسلم من ملوك المملكة ترماشيرين سنة خمس وعشرين وسبعمائة فأسلم وحسن إسلامه وأخلص في إسلامه وأيد الإسلام، وقام به حق القيام، وأمر به أمراءه وعساكره فمنهم من كان سبق إسلامه ومنهم من أجاب داعيه فأسلم، وفشا فيهم الإسلام وعلا لواؤه حتى لم تمض عشرة أعوام حتى اشتمل فيها بملاءته الخاص والعام، وأعان على ذلك من في تلك البلاد من الأئمة العلماء والمشايخ الصلحاء"[4].

---

[1]– الجوزجاني:المصدر السابق، ج2، ص 181؛ محمد رجب عبد الحليم:المرجع السابق، ص 231 ؛أرنولد:المرجع السابق،ص 266.

[2]– محمد رجب عبد الحليم:المرجع السابق، ص 232.

[3]– أرنولد:المرجع السابق، ص 266 ؛ البار:المرجع السابق، ص 145.

[4]– القلقشندي:صبح الأعشى، ص 450.

وواضح أن ترماشيرين تحلى بالحذر الشديد اتجاه المتعصبين للوثنية خاصة من القادة العسكريين وحاول ألا يكون مصيره مثل أسلافه من الايلخانات المسلمين لذلك كتم إسلامه حتى اعتلى العرش ولما أدرك أن الأمور تسير في صالحه واستقر الأمر له نقل عاصمته إلى بخارى، ولم يلبث أن أعلن إسلامه على يد الشيخ حسن والفقيه العابد حسام الدين الياغي في نفس العام الذي تولى فيه العرش واتخذ لنفسه لقبا إسلاميا وتسمى باسم علاء الدين ترماشيرين وحافظ على أداء الصلوات في أوقاتها وأخذ يطبق الشريعة الإسلامية وقد صفه العمري بأنه "حسن الإسلام عادل السيرة طاهر الذيل مؤثرا للخير محبا لأهله"[1].

وذكر محمد علي البار نقلا فامبري وصفا لترماشيرين فقال:"بعد أن دخل الجغتائيون المتأخرون في الإسلام نجد كتب الحديث تروج أيام علاء الدين ترماشيرين المغولي كما نجد هؤلاء الأمراء باعتناقهم الإسلام عن قرب – تدفعهم غيرتهم الدينية إلى رعاية هذه الحركة الروحية – لا يألون جهدا في ذلك، ولقد رأينا كيف يتقبل أحفاد الفاتح المغولي جنكيزخان بكل خضوع زجر الشيوخ المحافظين لهم وتعنيفهم إياهم بمسجد عام في مواجهة رعاياهم وعم من بعد ذلك يتولاهم الخجل لما كان بدر منهم ويستغفرون الله على الملأ جميعا "[2].

لقد تعددت مظاهر الحياة الإسلامية عند مغول تركستان ومنها مواظبتهم على أداء الشعائر الدينية وخاصة صلاة الجماعة في المساجد فترماشرين كان لا يترك صلاة الجماعة حتى أيام البرد الشديد المهلك ولا يترك صلاة الفجر والعشاء في الجماعة ويقعد للذكر بالتركية بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس ، ويأتي إليه كل من في المسجد فيصافحه ويشد على يده وكذلك يفعلون في صلاة العصر"[3].

ومن المظاهر الأخرى التي تدل على عمق الإسلام عند مغول آسيا الوسطى وملوكها هو التواضع الشديد للعلماء وقد بلغ من تواضع السلطان تيرماشيرين لهؤلاء العلماء والفقهاء والمشايخ والصوفية أن كلمتهم كانت تعلو كلمته وأنهم كانوا لا يخافون بطشه أو نفوذه بل أن واحدا منهم كان يعنفه ويغلظ له القول حينما كان يعظه أثناء خطبة صلاة الجمعة وكان هذا السلطان لا يستنكر ذلك ولا يستغربه بل كان يتقبله بدموع الندم والتوبة، وذكر ابن بطوطة هذه الصورة التي اتصف بها سلطان الجغتائيين قائلا:" حضر صلاة العصر يوما

[1]– محمد رجب عبد الحليم:المرجع السابق، ص 237.

[2]– البار:المرجع السابق، ص 145.

[3]– ابن بطوطة:المصدر السابق، مج3، ص 29.

ولم يحضر السلطان فجاء أحد فتيانه بسجادة ووضعها قبالة المحراب حيث جرت عادته أن يصلي وقال للإمام حسام الدين الياغي: أن مولانا يريد أن تنتظره بالصلاة قليلا ريثما يتوضأ، فقام الإمام المذكور وقال ما معناه : الصلاة لله أو لترماشيرين"؟ ثم أمر المؤذن بإقامة الصلاة وجاء السلطان وقد صلى الإمام منها ركعتين فصلى السلطان الركعتين الأخيرتين حيث انتهى به القيام وذلك في موضع قريب من نعال الناس عند باب المسجد، وقضى ما فاته وقام إلى الإمام ليصافحه وهو يضحك، وجلس أمام المحراب بجوار الإمام الشيخ وابن بطوطة جالس بجانب الإمام من الناحية الأخرى فوجه السلطان كلامه إلى ابن بطوطة قائلا له "إذا مشيت إلى بلادك فحدث أن فقيرا من فقراء الأعاجم يفعل هكذا مع سلطان الترك " وكان هذا الشيخ يعظ الناس في كل جمعة ويأمر السلطان بالمعروف وينهاه عن المنكر وعن الظلم ويغلظ عليه القول والسلطان ينصت لكلامه ويبكي متقبلا النصيحة[1].

كان إسلام المغول انتصارا تاريخيا للمسلمين علت فيه راية التوحيد ضد الوثنية ومختلف الشرائع والملل التي فشلت في تحقيق كل مساعيها ومخططاتها خاصة المسيحية، وقد مر اعتناق المغول للإسلام بثلاث مراحل كانت آخرها مرحلة إعلان الاسلام دينا رسميا في إيلخانية فارس حيث فشا الإسلام بين المغول وقطعت العلاقة مع الخان الأعظم في الصين، ليصبح بذلك المغول أحد مكونات المجتمع الإسلامي ولعل الوافدية الذين اندمجوا في مصر المملوكية أكبر دليل ذلك.

[1]- ابن بطوطة: المصدر السابق،مج3،ص29 ؛محمدرجب عبد الحليم:المرجع السابق، ص ص 251، 252.

الفصل الثالث

المظاهر الحضارية للإمبراطورية المغولية

لقي العالم الإسلامي كل أنواع القسوة على يد المغول، وطاله من السلب والنهب والتقتيل والتشريد ما تقشعر له الأبدان، وكانت الضربة الهائلة التي أصابت فارس أشد وأقسى لأنها أتاحت الفرصة للغزاة أن يهدموا المدن، ويقلبوا البلاد رأسا على عقب، ويقتلوا الآلاف العديدة من الأنفس البريئة وعبر عن ذلك المؤرخ عطا ملك الجويني فقال في حسرة وألم :"من الآن حتى يوم القيامة إذا كان هناك توالد وتناسل فلن يصل تعداد الناس إلى عشر ما كان عليه، وإن تلك الأخبار التي ترويها آثار الأطلال والدمن ليمكن أن تنبئ كيف أن الزمن قد فعل فعله في الإيوانات"[1].

وكانت الضربة قاسية على المدنية إذ تحولت مراكز الثقافة والتعليم مثل المكتبات والمدارس ومصادر الفن والثروة إلى خراب ومهجعا للدواب، وقتل العلماء والفضلاء، وقد وصل العلم إلى درجة الانحطاط وتدنت الآداب إلى أقصى حدود الضعف[2]، وذكر الرمزي " أن طائفة التتار قد خربوا الديار وقتلوا العلماء وسفكوا الدماء وفعلوا من القبائح ما لم ير مثله في كتب التواريخ مذ خلق الله آدم عليه السلام فكيف يوجد في زمنهم العلماء الكرام وقد قيل أن بعد ظهورهم وفتنتهم انطمست آثار العلوم وانمحت من عرضة الوجود المعارف والفنون قلت أما ما ذكرت من كثرت الفتن وشدة المحن والقتل والتخريب في أول ظهورهم صحيح لا شبهة فيه ولكن لم يؤثر ذلك في انتقاص العلوم وانحلال المعارف والفنون بل العلوم والمعارف جارية بعد ظهورهم على ما هي عليه قبل خروجهم فإن خروجهم لم يكن معاداة الدين ولا لبغض الإسلام والمسلمين بل لأمر آخر"[3]، ويذكر بارتولد أنه من زعم أن الحياة المدنية لم تدم إلا في البلاد التي نجت من هجمات المغول فذلك زعم خاطئ، وأنه لم تكن نتيجة استيلاء المغول سيئة إلى هذا الحد وأرجع ذلك إلى أن المغول لم يستوطنوا هذه البلاد وقد اصطحب المغول معهم مستشارين مدنيين للاستعانة بهم في الشؤون الإدارية والتعمير[4].

[1]- الصياد: مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني، ط1، دار الكتاب العربي للطباعة، القاهرة، 1967، ص 217.

[2]- نفسه.

[3]- الرمزي: المصدر السابق، ج2، ص 23.

[4]- ف.بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص 92.

وهكذا نظر أولئك الذين يؤرخون العلوم والآداب إلى حالة العالم الإسلامي، وما آل إليه أمره من خراب ودمار، فظنوا أن إصلاح تلك البلاد من جديد يحتاج إلى ألاف السنين، ونظر علماء أوربا المندفعون في تيار هذه الآراء إلى الضربة التي أصابت آسيا وشرق أوربا على أيدي المغول فوجدوها كذلك ضربة شديدة.

فعلى الرغم من أن العهد المغولي يعد واحد من العهود الصعبة والمؤلمة في بلاد الإسلام، فإنه يعد في الوقت نفسه من العهود المهمة من ناحية الإنتاج العلمي والفني وفي مجالات عدة وذلك لأن فارس والعراق كانتا ولقرون مهدا للنهضة العلمية والفكرية خاصة العصر العباسي، فبعد استقرار المغول في فارس عملوا على تهيئة المناخ الحضاري لأهل إيران ليظهروا مرة أخرى إبداعاتهم، وما تعدد الشخصيات التي عاشت في ذلك العهد وحملها مشعل العلم والأدب إلا دليل على ذلك؛ فقد عاش في بلاد فارس والعراق عدد من أكبر الشعراء والأدباء والحكماء[1] مثل جلال الدين الرومي[2]، وسعدي الشيرازي[3]، وعطا ملك الجويني، ورشيد الدين فضل الله الهمذاني، وحمدالله المستوفي القزويني وغيرهم.

أولا / روافد انتقال التأثيرات المغولية للحضارة الإسلامية:

هناك عدةعوامل أدت إلى عبور التأثيرات المغولية من أقصى الشرق إلى الغرب من آسيا مرورا بوسط آسيا وأولها وأهمها هو اعتناق المغول للإسلام حيث جعل المغولي المسلم يشارك المسلم الآخر في يومياته مما جعل تلك العادات تنتقل بين الأفراد المسلمين .

1. دور الحكام :

كان لحكام المغول وأمرائهم دور هام في بعث الحياة الحضارية من جديد ويمكن أن نعثر على أمثلة كثيرة خلال فترة الدراسة؛ فهولاكو الذي بقي على رأس الايلخانية مدة عشر سنوات وهو الأكثر قسوة والأشد

[1]- ابن العبري: المصدر السابق، ص 497؛ إسماعيل عبد الرحمن الدورابي:إسلام المغول وأثره العسكري والسياسي والحضاري في قارتي آسيا وأوربا، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، جامعة أم درمان الإسلامية، 2012، ص 330.

[2]- جلال الدين الرومي:ولد في مدينة بلخ 604هـ/ 1207م واسمه جلال الدين محمد ولكنه اشتهر باسم جلال الدين الرومي نسبة إلى بلاد الروم وآسيا الصغرى أشهر شعراء الصوفية في هذا العهد. أنظر: براون:المرجع السابق، ص 654.

[3]- سعدي الشيرازي: ثالث الشعراء الكبار الذين برزوا في هذه الفترة واسمه الكامل مشرف الدين بن مصلح الدين بن عبد الله ولد في شيراز عام 580هـ/1184م، مات سنة 691هـ/1291م وقد جاوز المائة عام من عمره. انظر: نفسه، ص 668.

بأسا على المسلمين عرف بحبه للعلوم العقلية فجمع حكماء البلاد وأمرهم بأن يرصدوا له الكواكب[1]، وكان وراء إنشاء المرصد الكبير في مدينة مراغة وتزويده بأدق الأجهزة المعروفة في زمانه، وكان عماله وولاته على مستوى الايلخانية يسهرون على إدارة البلاد قال عنه الهمذاني:" كان هولاكو تواقا إلى الحكمة يُرغب الحكماء في بحث علوم لأوائل، وعين لهم المراسيم وكان يزين بلاطه بالعلماء والحكماء"[2]، ولما تأكد هولاكو من صدق نصير الدين الطوسي وأبناء رئيس الدولة وموفق الدولة[3] الذين كانوا أطباء مشهورين شملهم بعطفه وإحسانه وأعطاهم الخيول اللازمة لحملهم ومواليهم وأقاربهم"[4]، وكان آباقا خان عادلا حسن السيرة محبا لعمارة البلاد، لايرى سفك الدماء، عفيفا عن أموال الرعية[5]، ويعد حكم غازان لمغول فارس تحديدا لمرحلة جديدة في تاريخ الايلخانية وذلك بتحوله إلى الإسلام وإعلانه كدين رسمي للدولة ليتحول بعدها هؤلاء البدو شيئا فشيئا إلى الحياة المستقرة، فقد حاول هذا العاهل المغولي رغم فترة حكمه القصيرة أن يعوض بلادالفرس بعض ما خسرته بسبب الجرائم التي اقترفها أسلافه فيها، إذ كان إسلامه واختياره الإسلام دينا رسميا للدولة إيذانا ببدء عصر جديد كان يختلف بروحه وميزاته عن سابقه، عصر تطورت فيه مظاهر الحياة عند المغول، وارتقت فيه نظمهم الاجتماعية ونبذوا عاداتهم الوثنية فشرعوا يصلحون ما أفسده آباؤهم، وأقبلوا يساهمون في بعث الحضارة الإسلامية في شتى مظاهرها.

وكان السلطان محمود غازان محبا للعلم والعلماء فقد خص العلماء والفقهاء برعاية خاصة وأجزل لهم العطاء قال عنه ابن الفوطي:" وقرر للأئمة والعلماء والأفاضل الفقهاء في كل عام على جميع ممالكه على تعاقب الدهور والأعصار أربعمائة تومان، وهذا لم يعهد به في زمن سلطان من السلاطين فيما تقدم من المتقدمين والمتأخرين"[6]، ومعروفا بين المغول بعلمه وحكمته وعالما باللغات العربية والفارسية والهندية والصينية

[1]- الكتبي: المصدرالسابق، ج4، ص 240.

[2]- الهمذاني: تاريخ هولاكو، ص 337؛ابن العبري : المصدر السابق، 497؛ فهمي: المرجع السابق، ص 150.

[3]- موفق الدولة وهو جد المؤرخ رشيد الدين لأبيه كان في قلعة ألموت مع جمع من الأطباء. أنظر يوسف، الهادي: "شتروتمان وبؤس الكتابة التاريخية"، مجلة دراسات استشراقية، العدد2، 2020، ص 22.

[4]- نفسه.

[5]- ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص 453.

[6]- ابن الفوطي: مَجمعُ الآداب في معجم الألقاب، مج5، ص 40.

محيطا بتاريخ العجم والأتراك والهند وكشمير وبأنساب القبائل المغولية[1] وملما بالحرف والصناعية الفنية مثل التطريز بالذهب والحدادة والنجارة والرسم كما عرف عنه قضائه أوقات فراغه في معمله داخل القصر الذي يحتوي على أبحاثه العلمية[2].

وعرف عن السلطان محمد خدابندا حبه لمجالسة العلماء والحكماء ومؤرخي الأديان من جميع البلاد الإسلامية وغيرها فكان مجلسه يضم علماء وحكماء الخطا والصين والهند وكشمير والتبت والأويغور وأقوام الترك الآخرين والعرب والفرنج، كما كانت الخواتين تكثرن من إقامة مجالس العلم التي كان تعقد في المدارس والمشاهد والزوايا بحضور القضاة والفقهاء والشرفاء وطلبة العلم الذين كانوا يأخذون تلاوة القرآن الكريم بأصوات حسان حتى ينتهوا من قراءته كله[3].

وكان لوزراء المغول دور بارز في شتى الميادين فمنهم من برز في الإدارة والقيام بشئونها ومنهم من برز في السياسة والثقافة والعلوم، وتاريخ المغول مليء بمثل هته الشخصيات فمنذ نشأة دولتهم كان اعتمادهم واضحا على وزراء من مختلف الملل والشرائع بما فيهم المسلمين للاستفادة من خبراتهم من أمثال محمود يلواج وابنه مسعود اللذان نهضا بإدارة شؤون مملكة جغتاي على أكمل وجه، وفي إلخانية فارس سطع نجم المؤرخ الكبير علاء الدين عطا ملك الجويني وأخوه شمس الدين محمد بن محمد صاحب الديوان اللذان كانا السبب الرئيسي في ازدهار دولة أباقا خان ودفع الأذى المغولي عن الفرس وكان شمس الدين صاحب الديوان يجمع بين جباية الضرائب والدخل العام والشؤون السياسية التي أدارها بمهارة، أما أخوه علاء الدين فكان حاكما على العراق ويتمتع باستقلال تام في تصريف شؤون الإدارة حتى قيل أن بغداد في عهده بلغت من الاتساع والعمران أكثر ما بلغته على يد الخلفاء[4]، وبرز في عهد أرغون خان أبي الحامد بن ناصر بن الموحد التستري كاتب الحضرة من أفراد الكتاب المعروفين قال فيه ابن الفوطي:" كان عارفا بالحساب وفنون الكتابة والآداب وله

[1]- حسن كريم الجاف:موسوعة تاريخ إيران السياسي، مج 2، ط 1، الدار العربية للموسوعات، لبنان، 2008 ، ص 303.

[2]-أشتياني عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية،تر: محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1990، ص 466؛فهمي:المرجع السابق، ص 214.

[3]- محمد رجب: المرجع السابق، ص 210.

[4]- فهمي : المرجع السابق، ص 165.

مكارم وأخلاق ومعرفة بأيام الناس والقيام بأمورهم"[1]،ومن أبرز رجالات هذا العصر الوزير رشيد الدين الذي قام برعاية العلوم والفنون فشيد ضاحية الربع الرشيدي بالقرب من تبريز سرعان ما تحولت إلى جامعة التحق بها طلاب العلم وأهل الفن القادمون من جهات مغولية صرفة[2].

2. الهجرات المغولية لبلاد الإسلام (الوافدية):

من أهم العوامل التي أدت إلى ظهور التأثيرات المغولية هو انتقال أعداد كبيرة من المغول سواء قبل إسلامهم أو بعد ذلك فنجدهم اتخذوا من مختلف مواطن الإسلام مستقرا لهم بما فيها مصر والشام، وعرف هؤلاء باسم "الوافدية" وكذلك أطلق عليهم اسم "المستأمنين" وازداد عددهم في أيام السلطان الظاهر بيبرس وملأوا مصر والشام[3]، ففي سنة 660هـ وصل إلى دمشق عسكر التتار نحو مائتي(200)مابين فارس وراجل بنسائهم وصغارهم هاربين إلى المسلمين بعد انهزام هولاكو أمام ابن عمه بركة خان القبيلة الذهبية حيث أمر السلطان بيبرس بإكرامهم وتوفير سبل الراحة لهم الإداق عليهم[4]، كما وصلت طائفة كبيرة من المغول سنة 661 هـ وذلك في عهد الظاهر بيبرس وعلى رأسهم قائدهم ويدعى "**كرمون**" وكانوا قد اعتنقوا الإسلام فاستقبلهم السلطان بيبرس أحسن استقبال وأنعم عليهم[5].

بالإضافة إلى هذا فإن سلاطين الدولة المملوكية في مصر لعبوا دورا كبير في جلب المغول واستقبالهم عن طريق استمالتهم والترحيب بهم، ويذكر المقريزي أن السلطان الظاهر بيبرس استقبل العديد من المهاجرين المغول وقد خصص لهم حيا كاملا في منطقة اللوق أو باب اللوق[6]، وسقيت خيولهم وفرقت فيهم الأموال ولعبوا الكرة مع السلطان وتقلد منهم مناصب في الدولة والباقي منهم صار من المماليك البحرية [7]، ورغم الشروط

---

[1]- ابن الفوطي: مجمع الآداب، مج1، ص 317.

[2]- محمد رجب: المرجع السابق، ص 195.

[3]- المقريزي: الخطط،ج3، ص 85.

[4]- المقدسي:المصدر السابق، ص 336.

[5]- المقريزي: السلوك، ج1، ص561؛ ابن عماد الحنبلي:المصدر السابق، ص 529.

[6]- المقريزي:السلوك، ج1، ص 544؛ أحمد حافظ حمدي:المرجع السابق، ص 277.

[7]- محيي الدين بن عبد الظاهر:الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تح: عبد العزيز الخويطر، ط1، الرياض، 1976، ص 138.

التي فرضها السلطان الظاهر بيبرس والتي تقضي بالتزام هؤلاء المغول الوافدين بالأحياء الخاصة بهم لعزلهم عن باقي طبقات المجتمع إلا أن ذلك لم يمنع من انتشار عاداتهم وطرائقهم[1].

ويذكر أنه في سنة 672هـ/1273م فر إلى مصر الأمير "**شمس الدين بهادر**" ومعه جماعة من أتباعه هاربا من الدولة الإيلخانية بعدما اكتشفت مراسلاته للسلطان الظاهر بيبرس فلجأ إلى هذا الأخير الذي أكرمه وأحسن إليه وأعطاه إمرة عشرين فارسا، هذه السياسة التي انتهجها الظاهر بيبرس مع الوافدية استمر في إتباعها خلفاؤه من بعده، فنلاحظ مثلا أنه في عهد السلطان الناصر بن قلاوون قد قدم إلى مصر الأمير "**بدر الدين جنكلى بن البابا**" سنة 703هـ/1302م وفي صحبته عدد من أتباعه فأحسن السلطان وفادتهم وأغدق عليهم وأعطاهم إمرة ألف[2]، ويذكر ابن كثير هذه الحادثة قائلا :"وفي ذي القعدة وصل من التتر مُقَّدَم كبير قد هرب منهم إلى بلاد الشام وهو الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا وفي صحبته نحو من عشرة فحضروا الجمعة بالجامع، وتوجهوا إلى مصر فأكرم وأعطي إمرة ألف وكان مقامه ببلاد آمد، وكان يناصح السلطان ويكاتبه ويطلعه على عورات التتر، فلهذا عظم شأنه عند الدولة الناصرية"[3].

وكان للتقارب المغولي المملوكي إثر معاهدة الصلح بين المغول والمماليك أثر بالغ في تزايد عدد الوافدية فقد شهدت مصر مقدم أخت الأمير جنكلى ومعها جماعة من المغول وبعد موتها استدعى الناصر جماعتها وأقطعهم إقطاعيات تقديرا للأمير جنكلى، ولم يتوقف تدفق تلك الهجرات بعد هذه المعاهدة نتيجة للمعاملة الحسنة وترغيب أقاربهم إلى جانب ما لقوه من ترحاب لدى الحكام الذين سعوا إلى الاستفادة من خبرات هؤلاء الوافدين في المجال الحربي خاصة وإدماجهم في سلك الجندية وتوليهم المناصب المختلفة فضلا عن الإقطاعيات والإمرة، ومن أمثلة ذلك الأمير "**سيف الدين أرغون شاه**" الذي أهداه الإيلخان أبو سيعد بهادر إلى الناصر الناصر مع الأمير "**ملكتمر البوسعيدي**" وقد حظي أرغون بمكانة كبيرة وترقى حتى صار رأس نوبة

---

[1]- المقريزي: الخطط،ج3، ص 85.

[2]- الدّواداري: المصدر السابق، ج9، ص 113؛صبحي عبد المنعم:سياسية المغول اتجاه دولة المماليك في نصر والشام (716-736هـ/ 1316-1335م)، ط1، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص ص 80، 81.

[3]- ابن كثير:المصدر السابق، ج18، ص 36.

الجمدارية[1] لدى السلطان المملوكي، والأمير "**باورد بن براجو**" الذي جاء إلى مصر سنة 721 هـ/1321م فأكرمه الملك الناصر وأنعم عليه بخيل ومال وأعطاه إمرة طلبخانه وكذلك الحال بالنسبة للأمير "**يلبغا اليحياوي**" الذي نال مكانة كبيرة في عهد الناصر محمد بن قلاوون[2].

كما لا يمكن إغفال دور الجواري المغوليات القبجاقيات خاصة في نقل بعض من عادات المغول إلى العالم الإسلامي فكن يرسلن ضمن الهدايا المرسلة من خانات القبيلة الذهبية وبصفة خاصة في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون[3] أثناء السفارات المتبادلة بين الطرفين مثل تلك السفارة التي وصلت مصر عام 704هـ/1304م ووصل صحبتها جوار كثيرات ومماليك وهدايا حيث كان عدد المماليك أربعمائة(400) مملوك ومئتي(200) جارية، وكذلك السفارة التي أرسلها طقطاي خان مغول القبيلة الذهبية إلى الناصر محمد قلاوون سنة 723هـ/1313م وكان من ضمنها ثمانون(80) مملوكا تركيا وعشرون(20) جارية، ولا شك أن هذه الأعداد من المماليك والجواري قد حملوا معهم الكثير من العادات والتقاليد المغولية الايجابية والسلبية منها .

3.الصلات المباشرة بين ممالك المغول:

كان لارتباط الممالك المغولية ببعضها نتائج هامة وعلى رأسها امتزاج حضارتين عريقتين هما الحضارتان الصينية والفارسية الإسلامية، فحدث اتصال مباشر بين هاتين الأمتين في ظل الإمبراطورية المغولية، وكانت لكل منهما حضارة زاهرة قديما وانتقلت المعارف والعلوم بينهما وبدأ عهد نفاذ الحضارة الصينية إلى إيران وغيرها من بلاد الإسلام ووصل أثر الحضارة الإسلامية إلى الصين، كما تعرّف عدد من أهل الأدب والعلم في إيران والبلاد الإسلامية على التقاليد البوذية واللغتين الصينية والمغولية ومعارفها، فاستفاد نصير الدين الطوسي

---

[1]– الجمدارية : الجمدار الذي يحمل المرآة أمام الملك حين يلبس ثيابه وهو لفظ فارسي مركب من جام بمعنى مرآة ومن دار أي حامل. أنظر: صبحي عبد المنعم:المرجع السابق، ص 82 (حاشية 1) .

[2]– صبحي عبد المنعم:المرجع السابق، ص 82

[3]– الناصر محمد بن قلاوون: هو السلطان الملك الناصر أبو الفتوح ناصر الدين محمد بن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي النجمي الألفي سلطان الديار المصرية ولد سنة 684هـ بقلعة الجبل تسلطن بعد مقتل أخيه الأشرف خليل 14 أو 15 محرم سنة 693هـ وقد تسلطن ثلاث مرات الأولى كانت مابين (693-694هـ/ 1293-1294م) والثانية كانت مابين (698-708هـ/1299-1308م) والثالثة مابين (709-741هـ/ 1310-1341م).أنظر:ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة، ج7، ص 35.

من معارف المنجمين الصينيين في إنشائه لمرصد مراغة، كما أخذ المؤرخين الفرس من أمثال رشيد الدين فضل الله وفخر البنكاتي، وحمدالله المستوفي عن العلماء الصينيين والأويغور المقيمين في البلاط الايلخاني في فارس كثيرا من الأخبار والمعلومات القيمة واستفادت جماعة منهم من الكتب العلمية والتاريخية الصينية مباشرة، وكان تواجد الصينيين والمغول أوضح ما يكون في مجال التصوير وبعض الفنون الأخرى التي ازدهرت في عصر الاحتلال المغولي في ممالك غرب آسيا[1].

كما يمكن القول أن الغزو المغولي أدى إلى نتيجة أبعد أثرا في التاريخ الإنساني ألا وهي ازدياد الاتصال بين الغرب الأوربي والصين ومناطق السيطرة المغولية، فقام الأوربيون برحلات وبعثات ضمن الإمبراطورية المغولية ومن أبرز الأعلام الأوربية التي زارت الإمبراطورية المغولية **جيوفاني دي بيو كاربيني** في الفترة الواقعة بين 1245–1247م والذي كان أول من زود الغرب بمعلومات ثرية عن الشرق والمغول، و **ربروبروك** عام 1252م، الذي كان لمعلوماته أكبر الأثر في حث الغرب على مزيد من الاتصال بالمغول ويعتبر تقرير روبروك وحسب قول كلوزيه من أفضل المؤلفات الجغرافية التي وصلتنا من العصر الوسيط[2].

ولم يقتصر أمر ازدياد المعرفة الجغرافية على الأوربيين بل كان لرحلة ابن بطوطة الأثر الهام في تقديم معلومات جغرافية واقتصادية وبشرية عن المناطق التي زارها مما ساهم في إثراء المعرفة الإسلامية لمناطق جنوب شرق آسيا والتي نشأت نتيجة لعلاقاتهم السياسية والتجارية في القرون السابقة، ويعود الفضل ولو نسبيا إلى العنصر المغولي ولو بشكل غير مباشر في هذا التواصل وذلك لأنهم شكلوا إمبراطورية واسعة ربطت الغرب ووسط آسيا بالشرق الأقصى بعلاقات مستمرة، كما أنها ضمنت شعوبا ذات حضارات وثقافات مختلفة أتيح لها إمكانية التفاعل لفترة طويلة من الزمن، فإن لم يكن المغول ناقلي حضارة إلا أنهم شجعوا النقل الحضاري والتفاعل بين الشعوب التي خضعت لسيطرتهم وتلك التي تعاملت معهم .

4. طريق الحرير :

بعد أن استطاع المغول تأسيس إمبراطورية امتدت من حدود الصين شرقا إلى بلاد الشام غربا سيطروا بحكم هذا الامتداد الجغرافي على أهم طريق موصل بين شرق آسيا وغربها وهو طريق الحرير وترتب على هذا

[1]– إسماعيل عبد الرحمن الدوراني:المرجع السابق، ص 341.

[2]– نعمان محمد جبران:محاولات المغول السيطرة على طريق الحرير، جامعة اليرموك، ص 149.

الامتداد نتائج هامة من بينها تنقل الجماعات البشرية في الاتجاهين الشرقي والغربي لهذا الطريق سواء أكان هذا التنقل طوعا أو كراهية، فالظاهر أن التواجد الإسلامي في جل مناطق الصين من الجماعات التي أخذها المغول من مناطق السيطرة لتتعايش مع جماعات أخرى جاءت لتستقر، وبذلك يمكن أن نصل إلى وجود تركيبة جديدة من المتواجدين هناك من العراقيين والشاميين إلى جانب الفرس والأتراك في مناطق الصين ومنغوليا ومناطق سيطرة القبيلة الذهبية وبالمقابل تواجد صيني في مناطق إيران خاصة من العمال الصينيين، وبالتالي فإن هذا المزيج من أبناء الشعوب المختلفة لابد وانه تفاعل على جميع الأطراف كما أثر بنفس الوقت على التطور الحضاري والفكري للمغول[1].

ويمكن القول أن طريق الحرير كان بمثابة جسر تاريخي للتواصل بين الشرق والغرب ولم يقتصر على كونه طريقا لنقل البضائع بل كان طريقا للفن والأدب والدين ولم يكن طريقا للتواصل السلمي بل كان طريقا لتحرك الجيوش من شرقه إلى غربه، ولم تكن القوات المغولية قادرة على قطع هذا الجسر الحضاري ولم يكن باستطاعتها إلغاء الدور الحضاري ببلاد الشام كمنطقة إشعاع وتفاعل إنساني.

ولعل هذه أهم المنافذ التي تسربت من خلالها التأثيرات المغولية في مختلف المجالات ويعد سلاطين المماليك البحرية أول من وقع تحت تلك التأثيرات وكان الظاهر بيبرس أول من تأثر بهذه العادات وصار في معظم أحكامه على قواعد ملوك المغول في التنظيم والحكم والإدارة[2].

ثانيا / مساهمة المغول في الأنظمة السياسية والعسكرية للمسلمين :

1. قوانين مستمدة من الياسا المغولية :

تظهر مساهمة المغول في الأنظمة الإدارية والعسكرية من خلال الاعتماد على مجموعة من النظم والقواعد التي وردت في قانون الياسا المغولي، واستنادا إلى ما جاء في المصادر المملوكية التي ذكرت أن السلطان الظاهر بيبرس لما اعتلى عرش السلطنة "أحب أن يسلك في ملكه بالديار المصرية طريقة جنكيزخان وأمور وغالب أحكامه من أمر الياسا" فالواضح من هذا أن السلطان الظاهر بيبرس استمد من الياسا القوانين الخاصة

[1]- نعمان محمد جبران: المرجع السابق،ص 150.

[2]- ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة، ج7، ص 162.

بالأمور التنظيمية العسكرية التي خضع لها المغول وهي التنظيمات التي نالت إعجاب المسلمين فأرادوا الاقتباس منها لتقوية جيشهم وهو ما سار عليه معظم سلاطين المماليك بعد السلطان بيبرس.

ومن أهم قواعد الحكم في الدولة المملوكية إعداد طبقة للاعتماد عليها في الحرب والإدارة وتألفت هذه الطبقة من المماليك المجلوبين من القبجاق واستقروا في الطباق حيث تلقوا التدريب الحربي والتعليم الديني وخضعوا لما فرض عليهم من أساليب التدريب والتأديب وهي لا تخرج كثيرا عن التقاليد المغولية، فعلى الرغم من أن هؤلاء المماليك نشئوا نشأة إسلامية إلا أنهم كانوا في قرارات أنفسهم دائما ما يعودون إلى حكم الياسا فكان السلطان الظاهر بيبرس يسير وفق هذه القاعدة فيما يتعلق بالنظم الحربية وإنزال العقوبات الصارمة لمرتكبي الجرائم، إذ لا تكفي الحدود الشرعية في ردعهم فمن بين الوصايا الموجهة لوالي الحرب وصية بمكافحة الخمر والحشيش وتفقد أرباب النحل وإقامة حكم الياسا إذ لم تكف الحدود الشرعية[1].

ونجد العديد من التنظيمات التي انتقلت إلى الجيش الإسلامي بفضل الطوائف المغولية التي استقرت في البلاد الإسلامية ويمكن إلقاء نظرة على تركيبة الجيش الإسلامي في عهد المماليك البحرية حتى نستطيع أن نجد بصمة مغولية من خلال تشكيلات الجيش التي صارت تشبه إلى حد كبير التشكيلات المغولية وذلك على أساس النظام العشري(تومان tuman) المعروف عند المغول وتعبئته وتحركاته طبقا للخطة المتبعة في الجيش المغولي من حيث تطويق سائر قوات العدو والإحاطة بها من جميع الجهات متخذين في ذلك نظام الحلقة التي اعتاد المغول نصبها في حلقات الصيد، وساروا عليها للإيقاع بأعدائهم، وجرت عادت المماليك على إقامة حلقات الصيد فيالصحراء الشرقية والصحراء الغربية، فمثلا عند خروج الظاهر بيبرس إلى الشام سنة 661هـ مارس الصيد في أثناء الطريق، فضرب حلقة بالعريش قوامها ثلاثة آلاف فارس[2]كلهم من خواصه وعند خروجه للصيد في الصحراء الغربية سنة 668هـ ضرب حلقة امتدت حتى الإسكندرية وسار خلفاؤه على هذه القاعدة[3].

[1]- السيد الباز العريني: المماليك، دار النهضة العربية، بيروت، ص 255.

[2]- المقريزي:السلوك، ج1، ص 550.

[3]- العريني:المماليك، ص 256.

كما استحدث الظاهر بيبرس الرتب والوظائف والألقاب التي لم تكن معروفة قبل هذا العهد ووفدت مع العناصر المغولية القبجاقية خاصة حتى صار التنظيم العسكري المملوكي مشابه لنظيره المغولي إلى حد كبير وهو ما أكدته المصادر المملوكية بقولها :" ورتب (أي بيبرس) في سلطنته أشياء كثيرة لم تكن قبله بديار مصر: مثل ضرب البوقات وتجديد الوظائف وفي موضع آخر يذكر صاحب النجوم الزاهرة :" والملك الظاهر هذا هو الذي ابتدأ في دولته بأرباب الوظائف من الأمراء والأجناد وإن كان بعضها لم تكن بهذه الصيغة أبدا ...، فجاء الملك الظاهر هو وجماعة كثيرة من الأمراء والجند (يقصد المغول) ورتبهم في وظائف..." ولعل من أمثلة هذه الوظائف والألقاب العسكرية التي تؤكد الأثر المغولي على النظام العسكري الذي أنشأه بيبرس : أميرسلاح ورأس النوبة[1]، وأمير مجلس، وأمير آخور[2]، وأمير علم والسراخور وكذلك الألقاب والوظائف التي يغلب عليها الطابع غير العسكري[3] وإن كان لها علاقة وطيدة بالجيش المملوكي مثل السقاة والسلاحدارية والحمدارية[4].

2. نظام البريد:

يعد نظام البريد من أهم النظم الإدارية والحساسة وهي مهمة دقيقة وشاقة يجب أن يعهد بها لمن لا يساء الظن بهم وبألسنتهم وبأقلامهم ولا يجرون وراء أغراضهم ومصالحهم الخاصة، لان صلاح المملكة وفسادها مرهون بهم[1].

---

[1]– رأس النوبة: وظيفة مهمة عند المغول ويسمى من يتولاها "يسوول" بتفخيم السين ويعد الملك الظاهر بيبرس أول من أحدثها في مملكة مصر؛ وقد وردت عند نفس المؤلف في موضع آخر لكتاب مختلف على أنها الوظيفة الثالثة في عداد خمس وعشرين وظيفة يشغلها عسكريون بحضرة السلطان وموضوعها الحكم على المماليك السلطانية والأخذ على أيديهم .أنظر: ابن تغري بردي:النجوم الزاهر، ص 166؛ ابن تغري بردي: حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تح : محمد كمال الدين عز الدين، ج1، ط1، عالم الكتب، 1990، ص54(هامش 2).

[2]– أمير آخور: وتعد من الوظائف العظيمة لدى المغول ويسمى صاحبها :آق طشي" وهو لفظ مركب من الفارسية والعربية فأمير لفظ عربي معروف آخور معناه المذود الذي يأكل فيه الفرس فكأنه يقال أمير مذود (أمير العلف) وهو مما أحدثه الظاهر بيبرس. أنظر: ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة، ص 166؛ المقريزي:السلوك ج1، ص 521(هامش 1)؛ ابن تغري بردي:حوادث الدهور، ص 54.

[3]– العريني:المماليك، ص255.

[4]– ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة، ص 164.

[1]– نظام الملك الطوسي:سيرة الملوك أو سياسة نامه، تر : يوسف بكار، ط1، دار المناهل، بيروت، 2007، ص 101.

أبدى المغول عناية فائقة بنظامهم الإداري حيث يذكر القلقشندي في هذا الباب أن الكتاب وأصحاب الدواوين من ديوان الإنشاء ودواوين الأموال كانت على أتم نظام وأعدل قاعدة[1]، ومن الأنظمة التي نالت عناية كبيرة البريد الذي كان يمثل عصب الدولة وشريانها خاصة بعد المساحة الشاسعة التي تربعت عليها إمبراطوريتهم؛ إذ أولى جنكيزخان أولوية كبيرة لإبقاء الاتصال بكافة المناطق التابعة له، فكلف من أجل ذلك سعاة كانت مهمتهم نقل الأخبار بطريقة جد منظمة من عاصمته إلى مختلف أطرافها بسرعة مدهشة[2]، وقد وظف جنكيزخان لذلك أصحاب الخبرة من الصينيين الذين وضعوا أنفسهم تحت تصرف الغزاة الجدد خصوصا في هذه النظم، وبفضل هذا النظام نشطت البحرية والتجارة الخارجية وأنشأ ديوان التجارة في شوان شو سنة(675هـ/1277م)، ثم بعد ذلك في تنجو وشنغهاي وغيرها من الموانئ[3]، وارتكز نظام البريد المغولي على المحطة البريدية والتي تعرف "**باليام**"[4]لربط المدن والأقاليم بشبكة بريدية تكون حلقة اتصال تربط جميع الطرق ويستريح المسافرون من عناء السفر حيث يجدون كل ما يلزمهم من أكل وشرب وعلف لدوابهم[5].

قسم المغول الطرق البريدية الكبرى إلى محطات رئيسية وأخرى فرعية والرئيسية منها وعادة ما تفصل بين الواحدة والأخرى مسافات منتظمة مقدارها يتراوح بين خمس وعشرين إلى ثلاثين ميلا، ولم يؤثر في انتظامها وعورة الطريق، أو خلوه من السكان أو افتقاره للمياه حيث حرص المغول على أن يتوافر لكل محطة ما تحتاج إليه من الحبوب وقطعان الأغنام فضلا عن حفر آبار المياه في المناطق الصحراوية.

ويعد "**اليامجي**" الموظف الذي يشرف على محطة البريد (اليام) وهو اصطلاح مغولي، وكانت له صلاحيات واسعة وهو المكلف بأمور البريد من الوارد والصادر، وكان يختار من بين الذين لهم معرفة بالقراءة

---

[1]- القلقشندي : صبح الأعشى، ج4، ص425.

[2]- شبولر:العالم الإسلامي في العصر المغولي، ص 28.

[3]-ابن بطوطة: المصدر السابق، ص199 .

[4]- لقد اختلف في أصل هذه التسمية ومدلولها فمن الباحثين من يرجع أصلها إلى مونها مقتبسة من اللغة الصينية أو التركية، والغالب أنها لفظة مغولية قديمة أطلقت على محطة البريد في القرنين 12و13 م/6 و7هـ ،كما أنها أطلقت ولأول مرة على خيل البريد وليس على المحطة نفسها. أنظر: حيدر،عبد الرحمن فرطوس:"نظام البريد عند المغول"، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد، العراق، العدد 80، 2007، ص4.

[5]- الصياد:المغول، ص 363.

والكتابة، وإلى جانب اليامجي كانت هناك وظيفة "**بيتكجي**" ومهمته تسجيل مواعيد وصول الرسل القادمين وتاريخ سفر المغادرين الآخرين منهم وأيضا يوجد كاتب آخر يقوم بنفس العمل حتى في المحطات الفرعية الصغيرة التي تقع بين المحطات الرئيسية[1].

وأما السعاة الذين كانوا ينقلون الأوامر الرسمية فيسمون "**الإيلجية**" وكان هؤلاء يلبسون حزاما عريضا تتدلى منه أجراس صغيرة تنذر السامعين بقدومهم ويحملون أنابيب من ذهب لفت بداخلها أوراق تحمل أوامر مكتوبة عليها أوامر الخان الأعظم[2].

وقام منكوقاآن (649 – 658 هـ/1251 – 1259م) ببعض الإصلاحات في هذا النظام ومنها:

-ألا يستعمل الرسل الكبار أكثر من أربع عشرة دابة في تنقلاتهم مع تعيين العلف اللازم.

-أن يذهب الرسل من منزل للبريد إلى المنزل الذي يليه، فلا يأخذا دواب الناس في الطريق.

-ألا يستخدم التجار خيول البريد.

-أن يعدل المشتركون في التجارة (من الأمراء والأثرياء) مع شركاتهم من الرعية، فلا يكلفونهم فوق طاقتهم.

-أن يؤدي كل مكلف ما عليه من الأموال دون مماطلة أو اعتذار.

وقد عرف البريد في عهد قوبيلاي خان (658 – 693هـ / 1260 – 1294م) تطورا كبيرا فغطت ربوع إمبراطوريته شبكة واسعة من محطات البريد بلغ عددها أكثر من عشرة آلاف محطة خصص لها أكثر من مائتي ألف رأس خيل وكانت نموذجا في الدقة والسرعة في نقل الأخبار، ونجد في نصوص الرحالة ماركو بولو ما يشفي غليل الباحث حول هذا النظام في عهد قوبيلاي فوصف هذا النظام وصف المعجب قائلا :" أن المبعوثين والسفراء ورسل الملوك كانوا يأتون ويذهبون إلى أية مقاطعة ومملكة ضمن الإمبراطورية،بسرعة وراحة عظيمة، وكانت سلطة القاآن وتفوقه على سائر الملوك والأباطرة تبدوا ذات أثر في كل ذلك وقد كان يستخدم في ممتلكات القاآن الواسعة،لمثل هذه الغاية مائتا ألف رأس من الخيل وعشرة آلاف محطة بريدية مؤثثة

[1]- حيدر عبد الرحمن فرطوس:المرجع السابق، ص 7.

[2]- الصياد:المغول، ص 364.

تأثيثا جيدا"[1]،وكانت الشبكة البريدية في عهد قوبيلاي خان مقسمة إلى مايقل اثنا عشر خطا رئيسيا موزعة على الطرق التجارية الكبرى وترتبط بالعاصمة قراقورم .

وكان إيلخانات فارس قد أبقوا على مختلف الأنظمة الإدارية المعمول بها في العهد البائد ما عدا النظام البريدي الذي تم إخضاعه للقواعد والترتيبات المغولية ويبدوا أن هذا النظام في بدايته وقع كله على عاتق السكان المحليين، وكان البريد من بين الأنظمة الإدارية التي شملتها إصلاحات غازان خان بعد المشاكل التي كانت تحدث لمحطات البريد والمبعوثين فمن جملة ذلك أنه أمر بإنشاء محطة بريد خاصة لمبعوثي الايلخان المكلفين بمهام حكومية في كل ثلاث فراسخ وتخصيص خمسة عشر جوادا في كل محطة ومبعوث يحمل" وثيقة عليها "**التمغا**"، وعهد بإدارة كل محطة لأحد من أمراء المغول وخصص لولاة الحدود مقدارا من الورق الأبيض المختوم ليعطوه لمبعوثيهم في حالة الضرورة القصوى، وفي حالة الأخبار العاجلة يقوم الوالي بختم رسالته وتسليمها لعامل المحطة لكي يوصلها إلى المحطة التالية وهكذا إلى أن تصل الرسالة إلى وجهتها المقصودة وبذلك كان السعاة يقطعون ستين فرسخان كل يوم[2].

وهناك وصف لنظام العمل الجديد نقله صاحب مقال نظام البريد عن تاريخ الوصاف قائلا :" ونفذ حكم الفرمان (القانون) بتأكيد بليغ بقطع ستين فرسخا في اليوم والليلة، وكل مسرع أربعين فرسخا وكل رسالة يكلفون بتوصيلها يقومون بختمها بالخاتم الذهبي ويترك في أعلاه بياض وتلصق عليها تمغا تحمل صورة فارس أو محارب يلبس درعا ويثبتون عليها تاريخ مغادرة المبعوث باليوم والساعة، حتى يتمكن عمال محطة البريد من تجهيز الجياد الاحتياطية بعد وصوله وإذا وصل في الموعدالمحدد وأوفى بشروط السرعة، يتم رسم دائرة في أسفل الرسالة يمر قطرها من القمة إلى الوسط ويصل إلى أسفلها، وإذا تكاسل وتأخر ساعة ترسم دائرة قطرها أفقي من اليمين إلى اليسار وحين يقف عمال المحطة على تهاونه وإهماله يبلغون الولاة ليعاقبوه ويعينوا بديلا عنه على الفور"[1].

---

[1]– ماركو بولو:رحلات ماركو بولو، تر: عبد العزيز جاويد، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996، ص 70.

[2]– خيرية محمد علي آل سنة: "مراسيم السلطان غازان الاقتصادية والإدارية"، مجلة الخليج للتاريخ والآثار، العدد 9، 2014، ص ص 258 ، 259؛شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي، ص 76.

[1]– حيدر عبد الرحمن فرطوس: المرجع السابق ، ص 14 .

إلى جانب هذا كانت هناك قرارات تخص المبعوثين من بينها منحهم نفقات الطريق وانشاء منازل تعرف ببيت المبعوثين(ايلجي خانة) في كل مدينة ليقيموا بها كما لا يمك لأي كان أن يرسل هؤلاء المبعوثين إلا الايلخان ونوابه، وظل الاهتمام بهذا النظام بعد تفكك الدولة الايلخانية حيث نلحظ استمرار هذا النظام في العهد الجلائري وورد أنهم قسموا الطريق إلى مراحل وفي كل مرحلة محطة تسمى "**يامخانة**" يربط فيها عدد من الخيول المخصصة للبريد تسمى خيل اليام وكان يوفر لها العلف وموظف خاص يتولى إدارتها يقال له اليامجي[1].

ثالثا/ الجانب الاجتماعي :

ساهم المغول في إثراء الحياة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي من خلال ما وجد من عادات وتقاليد لم تكن معروفة من قبل وانتشرت عاداتهم وطرائقهم، ويمكن العثور على العديد من الأمثلة عن ذلك في المصادر والمراجع التي تناولت خاصة التأثيرات الاجتماعية للمغول على المجتمع الإسلامي .

1. اللغة والمفردات المغولية:

لقد صارت اللغة المغولية إحدى مكونات المجتمع الإسلامي ولو أنها لم تتداول بشكل رسمي أو على نطاق واسع لكن على أقل أصبحت لهذه اللغة تواجدا في أوساط المجتمع الإسلامي بسبب تواجد الطوائف المغولية سواء في مصر أو غيرها من العالم الإسلامي، فضرورة معرفة أوامر الحكام ومتطلبات الوافدين أوجد التعامل بهذه اللغة وكذلك الترجمة لبعض نصوص الياسا، ليسمح ذلك بظهور موجة تدعوا إلى تعلم اللغة المغولية وظهرت بعض المفردات والمصطلحات المغولية الأصل وسط اللغة العربية ولعل أهم دليل على وجود مثل هذه الألفاظ ما حملته المؤلفات التاريخية خاصة فلا نكاد نجدها تخلوا من بعض المفردات المغولية ويمكن لنا في هذا الباب أن نأتي على ذكر بعض الأمثلة :

1.1.أردو: وتعني هذه الكلمة المخيم أو المعسكر بلغة المغول وقد وردت في معظم المصادر التاريخية التي أرخت لتلك الفترة ووردت في الشعر والنثر ومن الشعر قول علاء الدين الوداعي الكندي في هزيمة المغول سنة 700هـ / 1301م[1] :

فردوا إلى الأوردو بغيض وخيبة وأردو وجيش المسلمين مسلم

[1]- حيدر عبد الرحمن فرطوس: المرجع السابق، ص 15.

[1]- عبد الرحيم رائد:"ألفاظ مغولية في أدب العصر المملوكي وكتب مؤرخيه (648- 803هـ)"، مج22، مجلة جامعة النجاح، العدد4، 2008،ص 1301.

وفي النثر ما جاء في غير موضع من ذلك : " وأما الأولاد الصغار فكانوا في أوردو جنكيزخان ".

1.2.الأطاق: لفظة تركية وتعني خيمة أو مجموعة الخيام[1] واستخدمت بكلى المعنيين في المصادر التاريخية وقد جاءت بمعنى المعسكر في الرسالة التي بعث بها السلطان المغولي المسلم أحمد تكودار (680 -683هـ/ 1281-1284م) إلى المنصور قلاوون[2].

1.3.إيلجي: لفظ تركي بمعنى سفير أو رسول تداولها الناس في العصور الإسلامية واستمرت حتى نهاية العصر العثماني[3]وقد وردت في معظم المصادر بصيغة الجمع "إيلجية" ومن النصوص على ذلك ما جاء في مختصرالدول "وفي سنة سبع وخمسين وستمائة أرسل هولاكو إيلجية إلى الملك الناصر صاحب حلب برسالة"[4].

1.4.البايزة: لفظ مغولي وهي لوح صغير من ذهب مرسوم على أحد جهتيه رأس سبع كالوسام وكانت تمنح لكبار رجال الدولة عند المغول[5]، ونجد هذا المصطلح إشارة في زبدة الفكرة "... فأرسل رسلا و**بايزة** وذهبا وقال له هذه **البايزة** تكون معك ترسلها إلى البلاد"[1].

1.5.بهادُر:بالدال المضمومة كلمة تركية مغولية الأصل مأخوذة من "بخاتر" والمعنى الأصلي لها هو الشجاع ثم أصبحت لقب يطلق للتشريف في بلاد المغول واستخدمت اللفظة بالمعنيين في المصادر التاريخية وجمعت على

---

[1]– مصطفى عبد الكريم الخطيب:معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996، ص 34.

[2]– ابن العبري:المصدر السابق، ص 510.

[3]– مصطفى عبد الكريم الخطيب:المرجع السابق، ص 59.

[4]–ابن العبري:المصدر السابق، ص 484.

[5]– مصطفى عبد الكريم الخطيب:المرجع السابق، ص 68؛ إبراهيم، الكيلاني:"مصطلحات تاريخية مستعملة في العصور الثلاثة الأيوبي والمملوكي والعثماني"، مجلة التراث العربي، العدد 49، 1992، ص 38؛ رغد عبد الكريم أحمد النجار: "دورالأمير أرغون آقا السياسي والإصلاحي في دولة المغول 623-673هـ/ 1225-1275م"، آداب الرافدين العدد 67، 2013، ص 276(حاشية 5)

[1]– الدّوادار الأمير ركن الدين بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة،تح: دونالد س. ريتشاردز، ط1،الشركة المتحدة للتوزيع، 1998،، ص83.

"بهادورية" و"بهادرية " ومن النصوص الدالة على ذلك " وكان التتار لما شاهدوا السواد الأعظم والأمر الأضخم تجردت[1].

1.6.تومان: ومعناه عشرة آلاف في لغة المغول وهي إحدى الفرق العسكرية المغولية وتدل على رتبة عسكرية في الجيش المغولي ومن المصادر التاريخية التي أوردت هذه الكلمة في رسالة غازان خان التي وجهها إلى أهل الشام سنة699هـ " ليعلم أمراء التوامين والآلاف والمئين من عموم العسكر المنصورة ..."[2].

1.7.خاتون : لفظة تعني الأميرة أو الملكة وجمعت على خواتين ومن النصوص الدالة على ذلك "اجتمع اليه الخواتين وصرخوا في وجهه وشقوا الجيوب بين يديه على رجالهم الذين قتلوا ابالوقعة، و" وركبت النساء والخواتين لسماع أخبارهم "[3].

وقد استفاد المسلمون من العناصر المغولية المتواجدة في مصر في ترجمة الكتب الواردة من إيلخانات فارس وتم إرسالهم أيضا في سفارات من قبل المماليك إلى مغول فارس مثل الأمير "**سيف الدين أيتمش المحمدي**" الذي أرسله الناصر محمد بن قلاوون في سفارات عدة إلى أبي أسعيد بهادُر حيث كان يجيد الحديث والكتابة بلغة الايلخانيين ويعرف آدابهم وبيوتهم ويستحضر تواريخهم ووقائعهم وكان يقوم بنفس العمل أيضا "**سيف الدين طايربغا**".

2. الحج :

لا تذكر لنا المصادر التاريخية أن المغول عرفوا الحج قبل اعتناقهم الإسلام وبما أنهم شعب لا يدين بأي دين وكونهم شامانيين وبوذيين فإنهم لم يعرفوا طريقا إلى بيت الله الحرام ولكن بعد إسلامهم اعتنوا بهذا الركن وعملوا على تشجيع العامة على .

يعتبر السلطان غازان من بين الذين لهم إسهامات في سبيل تسهيل تنقل الحجاج وضمان راحتهم وأداء مناسكهم في ظروف حسنة وأمر بتخصيص مبالغ كبيرة للإنفاق منها على الحجاج وعلى القوافل التي كانت

[1]- عبد الرحيم رائد: المرجع السابق، ص 1306.

[2]- الهمذاني:جامع التواريخ، ج2، ص33؛المقريزي: صبح الأعشى، ج4، ص424؛محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ط1، دار الفكر، دمشق، 1990،ص 49.

[3]- إبراهيم الكيلاني: المرجع السابق، ص 38.

تخرج من إيران إلى بلاد الحجاز، خلال فترة حكمه وزودهم بفرقة عسكرية لحراستها وعلى رأسها أمير يدعى "**قتلغشاه**" من أجل وصول الحجاج في أمان وكثرت في عهده الأعطيات والهدايا، وأبدى اهتمامه بالكعبة وشيوخ العرب في كل من المدينة ومكة بإرسال كسوة للكعبة تحمل ألقاب هذا السلطان[1]، ولهذا السبب نجد أن الحجاج توافدوا على بيت الله الحرام وزاد حجهم عن ذي قبل وتناسوا بعد المسافة والمشقة[2]، ومنهم من وجد فيها بابا للخير من خلال إنجازه مقابر لدفن الموتى فيها كمظهر من مظاهر التبرك في هذه البلاد يتجلى بذلك صورة أخرى من صور التطور الذي عرفه المجتمع المغولي الذي كان يعيش في ظلمة دائمة وسرعان ما زالت باعتناقهم الإسلام[3].

وفي عهد السلطان أبو سعيد لعب الأمير جوبان[4]دورا لافتا في خدمة الحجاج فبعث برسول إلى السلطان محمد الناصر في سنة 721هـ/1321م يطلب منه منحه ضيعة من ضياع مصر ليعمرها ويوقفها على الحرم المكي ولما انتظر جوبان ولم يصله رد السلطان المملوكي قرر أن يعمر "**عين عرفة**" بمكة بعد أن كثر تردد الحجاج من العراق عقب توقيع معاهدة الصلح وتأمين الطرق وشق عليهم قلة الماء بمكة[1]، وورد في العقد الثمين إشارة إلى هذا المورد "وله من المآثر بمكة عمارة عين بازان في سنة 726هـ وانتفع بها أهل مكة من النفع

---

[1]– سعاد هادي حسن الطائي:"مظاهر العمران في عهد المغول الإيلخانيين(683-703هـ/ 1284-1304م)"، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج47، العدد1، 2020، ص 824.

[2]– بعد سقوط بغداد في يد المغول سنة 656هـ اضطربت أحوال الطرق المؤدية إلى مكة في هذه الفترة وأثرت على خروج ركب الحج من إيران والعراق فاضطر هؤلاء وبقية المشرق الإسلامي أن يتوجهوا إلى الشام ليكونوا في قافلة الحج الشامي ولا تسير قافلة الحج إلا عندما تستقر الأوضاع في العراق . أنظر: عائشة مانع عبيد العبدلي:إمارة الحج في عصر المماليك، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 1999، ص 87.

[3]– محمد رجب عبد الحليم:المرجع السابق، ص 221 ؛ بياني:المرجع السابق، ص 330.

[4]– الأمير جوبان: الجوبان الأمير الكبير دخل في خدمة غازان خان واولجايتو وعظمت مكانته لديهم وصارنائبا للملكة القاءانية وأتابك العساكر المغلية ومنشئ المدرسة الجوبانية بالمدينة االشريفة ليس بها مدرية ولا رباط ولا دار أحسن بناء وأتقن وأمكن وامتن وأحصن منها. انظر:شمس الدين السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة،ج1، دار نشر الثقافة، القاهر، ص 432؛ شعبان طرطور: المرجع السابق، ص 9(هامش2).

[1]– صبحي عبد المنعم:المرجع السابق، ص 88.

لشدة احتياجهم لذلك بسبب قلة الماء في مكة "[1]،وكانت هذه العين تجري قديما ثم تعطلت فأرشده الناس إليها فأرسل جوبان بعض التجار بمبلغ من المال يقدر ثلاثمائة ألف درهم بذلها في إجراء الماء إلى مكة[2]وفي هذا يقول السخاوي :" بذل ذهبا كبيرا حتى أوصل الماء إلى بطن مكة"[3].

وسجلت لنا كتب التاريخ اسم إحدى الملكات المغوليات وهي ابنة أباقا خان وعمة غازان خان وتدعى "**قطلوخاتون**" خروجها إلى الحج في سنة 723هـ مع عدد كبير من المغول، وذكر أبو الفدا هذه المرأة بقوله:"وفيها وصلت الأميرة بنت أبغا واسمها قطلو وفي عدة كثيرة من التتر وتوجهت إلى الحج ورسم السلطان ورتب لها في الطرقات الإقامات الوافرة"[4]، وذكر أنها كانت جيدة الإسلام كثيرة المناصحة للمسلمين ويقال أنها تصدقت في الحرمين بثلاثين ألف دينار، كانت وفاتها سنة 723هـ[5].

3. الطعام :

ذكرنا سابقا أن المغول لم يحرموا شيء وتناولوا كل ما تطاله أيديهم فهم يأكلون جميع الدواب حتى الكلاب والخنازير وغيرها ومع أن المغول تحضروا بحكم تقليدهم للشعوب التي كانت أكثر تحضرا منهم واعتناقهم لأديان مختلفة باختلاف الشعوب التي خضعت لنفوذهم إلا أن نوعية اللحوم المكونة بصفة رئيسة من لحوم الخيل والطريقة العامة في الطبخ وكيفية تقطيع اللحم ثم طريقة تقسيمه مازالت هي طريقة الآباء والأجداد[1].

نقل المغول طعامهم وشرابهم إلى البلدان التي قطنوها واستقروا فيها ومما تم إضافته لطعام المسلمين طبق اشتهر به المغول وهو تناول لحم الخيل في الحفلات والمناسبات التي كان يقيمها سلاطين الإسلام ويعد لحم الخيل الطعام المفضل لدى المغول وامتد التأثير إلى اقتباس وصناعة الخمر من لبن الخيل بصفة خاصة؛ وطريقة

---

[1]- تقي الدين محمد بن أحمد الحسني المكي الفاسي:العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تح: فؤاد سيد، ج3، مؤسسة الرسالة، ص 447.

[2]- صبحي عبد المنعم:المرجع السابق، ص 88.

[3]- السخاوي:التحفة اللطيفة، ص 432.

[4]- أبو الفدا: المصدر السابق، ج4، ص 92.

[5]- العزاوي:المرجع السابق، ص 536.

[1]- الغامدي:المرجع السابق، ص 47.

صنعه أن توضع ألبان الأفراس في قراب ثم تخض بشدة وتترك حتى تتخمر وهو شراب لاذع له طعم الخل ويبدوا أن المغول الوافدين إلى مصر في عهد الظاهر بيبرس قد نقلوا طريقة تحضير هذا النوع من الشراب، وعمل سلاطين وأمراء المماليك على تناولها سواء في المناسبات أو غيرها و يطلق عليه اسم " القميز" أو الكوزمس kuzmos[1]، وانتقل هذا النوع من الشراب مع الوافدية، ويشير صاحب زبدة الفكرة أن السلطان الظاهر بيبرس بعد انتصاره على المغول في معركة ألبيرة 671هـ / 1272م احتفل بمناسبة هذا الانتصار في قلعته وجلس بشرب هذا القمز " وجلس لشرب القمز بحضرة أمرائه واعيان أعوانه وخالص خلفاءه"[2]، ولم يقتصر تناول هذا الشراب على الظاهر بيبرس وحد وإنما استمر إلى من خلفه من سلاطين المماليك فتشير المصادر إلى تناوله في عهد كل من المنصور سيف الدين قلاوون وابنه الأشرف خليل[3].

وقد أورده ابن بطوطة في رحلته على أنه الشراب الرئيسي عند المغول، وهو لبن مخمر منشط إلا أنه ذو مذاق لاذع وله طعم كطعم الخل ويحدث عند تناوله نشوة روحية وعقلية، كما ذكر كذلك طعامهم عندما كان في حضرة السلطان محمد أوزبك قائلا :" ... فأحضرت لحوم الخيل وهي أكثر ما يأكلون من اللحم ولحوم الأغنام، وهو شبه الأطرية يطبخ ويشرب باللبن"[4].

4. اللباس :

عرف المسلمون اللباس المغولي وأقبلوا على ارتدائه ومن أسباب انتشاره نجد هجرة الفنانين والصناع إلى مصر بعد الخراب الذي لحق بمراكز الحضارة في كل من العراق وفارس، وكانت الفرصة مواتية لإثراء الأقمشة والأزياء المملوكية وإدخال بعض الموضات والتصاميم عليها كما حدث بالنسبة لتلك الأقبية المغولية ولعل من المنسوجات المصرية الوثيقة الصلة بالصين في عصر المماليك تلك الأقمشة الحريرية التي تحمل اسم السلطان

[1]- الغامدي:المرجع السابق،ص 44؛صلاح الدين محمد نوار:الطوائف المغولية في مصر وتأثيراتها، منشأة دار المعارف، الإسكندرية، (د.ت)، ص 120؛مرجونة:المرجع السابق، ص 476.

[2]- الدوادار: المصدر السابق، ص 138.

[3]- نوار:الطوائف المغولية في مصر، ص 121، 122.

[4]- ابن بطوطة:المصدر السابق، ج2، ص 220.

المملوكي قلاوون وعلى بعضها حروف بخط كوفي أشبه بالأختام الصينية، وقد وجد الكثير منها بزخارفها الصينية كالتنين وغيره في المتاحف المصرية والأوربية[1].

وتذكر الروايات بشأن مقدم **سيف الدين أرغون شاه** الناصري من ايلخانية فارس في عهد أبي سعيد بهادر خان وتوليه رأس النوبة للسلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون فقد كان هذا الأخير يقترح في الملابس أشكالا غريبة ويعمل بيده صنائع عجيبة وهناك من المراجع الحديثة التي تشير إلى أزياء مغولية انتشرت في عهد المماليك البحرية وظلت منتشرة إلى عهد الجراكسة[2]، وبلغ من انتشار الملابس المغولية أن ظهر العديد من الأمراء في المجتمع الإسلامي في زي أمراء المغول وهم يركبون الأكاديش تشبها بهم ويستخدمون نفس تسميات الملابس المغولية وهو ما أعطى للزي الإسلامي إضافة في العصر المملوكي بإدخال بعض الطرز والتصميمات عليها، كما حدث بالنسبة للأقبية وهي المعاطف المغولية التي ارتداها المسلمون فصار لهذه المعاطف كمرات تلف الصدر من اليسار إلى اليمين ويصنع من الحرير والصوف بأشرطة من اللونين الأحمر والأزرق وله أكمام ضيقة[3]، وأبدى المغول في فارس اهتماما بزخارف المنسوجات وحرص خاناتهم على نقش أسمائهم على قطع النسيج وقد قام الايلخان أبي سعيد بنقش ألقاب السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون على سبعمائة شقة من القماش وقام بإهدائها له مع هدايا أخرى عام 724 هـ / 1324 م[1]، ويذكر ابن أبو الفدا وصفا كاملا لهذه الهدايا التي كانت ضمن سفارة من سلطان الايلخانيين أبي سعيد إلى سلطان مصر فيقول :" ... وكان مسلما – ابو سعيد بهادر – ما كان صحبتهم من الهدايا وحضر المذكورون بين يدي السلطان بقلعة الجبل وكان يوما مشهودا لبس فيه جميع الأمراء والمقدمون والمماليك السلطانية وغيرهم الكوتات المزركشات والطرز والذهب ولم يبق من لم يلبس ذلك غير الملك الناصر وأحضر المذكورون التقدمة

[1]– ريهام يوسف العناني:"دراسة تحليلية لطرز الأزياء في العصر المملوكي، المعهد العالي للفنون التطبيقية"، مجلة الاسكندرية للتبادل العلمي، العدد 01، 2014، ص 64.

[2]– المماليك الجراكسة: الجراكسة عنصر قوقازي الجنس وكان لهم تواجد في جيش الدولة المملوكية الأولى ويطلق عليهم الجركس والشركس والشراكسة وموطنهم مرتفعات الجنوبية من بلاد القبجاق بين البحر الأسود وبحر قزوين، وقد كثر شراؤهم من طرف المنصور قلاوون ولم يلبث أن صار هؤلاء قوة كبيرة خاصة بعد تقلدهم لرتب حساسة في الدولة واستفحل خطرهم بعد مقتل السلطان خليل سنة 693هـ. أنظر: العريني:المماليك، ص ص 63 ، 64.

[3]– صبحي عبد المنعم:المرجع السابق ، ص 84.

[1]– نفسه،ص 85.

وأنا حاضر وهي ثلاثة أكاديش بثلاثة سروج ذهب مصري مرصعة بأنواع الجواهر وثلاث حوايص ذهب مجوهرة وسيف غلافه ملبس ذهبا مرصع جواهرا وعدة أقبية من نسيج وغيره وجميعها بطرز زركش ذهب وشاشا فيها قبضات عدة زركش ذهب إحدى وعشر بختيا مزينة أحمالها صناديق ملؤها قماش من معمول تلك البلاد وعدتها سبعمائة شقة وقد نقش عبيها ألقاب السلطان فقبل ذلك منهم وغمر الرسل بأنواع التشاريف ..."[1].

ومن الأنواع التي انتشر نجد:

5.1.السراتوج: لباس للرأس خاص بالعسكريين يطلق عليه سراقوج وهو عبارة عن قلنسوة لها شكل مخروطي طويل بحافة مقلوبة إلى أعلى يشبه إلى حد كبير الزي التتري المميز، وفي سنة 692 هـ/ 1293م طلب عز الدين أيبك الرومي حينئذ عندما كان في قلعة المسلمين من الملك الأشرف خليل[2] أن يرسل إليه ثلاثين طاقية سراقوج بقصد جعل جواسيسه غير متميزين عن التتر، وقد اختفى هذا النوع خلال عصر المماليك البحرية وبعد مدة عاد إلى الظهور في عصر الجراكسة كلباس للرأس السيدات .

5.2.زي أعيان الجند : عبارة عن أقبية مغولية وهي تشير إلى قباء مصنوعة على الطريقة التترية ونستخلص من عبارة المقريزي أن التتريات كانت مؤلفة من الحرير الأحادي اللون المزركش الحواشي والمطعم بالذهب وهي أقبية قصيرة الأكمام ترتدى فوق الأكمام ولكن أمامها أكثر اتساعا من أمام القباء التحتاني الضيقة[3].

ويعد السلاي أو السلارية من أبرز الملابس المغولي التي اقتبسها المسلمون عن المغول وهو أحد الأردية الفوقانية ذات الأكمام الضيقة المصنعة من خامات متنوعة مثل القطن البعلبكي وفراء السنجاب الرمادي، وكانت ألوان هذه الملابس مختلفة أشهرها الأحمر والأزرق، وتحلى بزخارف فخمة تنثر عليها اللآلئ والأحجار الكريمة[1].

[1]- أبو الفدا: المصدر السابق، ج4، ص 109.

[2]- الأشرف خليل بن قلاوون : هو صلاح الدين بن المنصور قلاوون ولد بالقاهرة سنة 666هـ / 1268 م وتسلم مقاليد القيادة بعد المنصور قلاوون الصالحي في السابع ذي القعدة سنة 689 هـ / 1290م بعد موت والده. أنظر: ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة، ج 8، ص 3.

[3]- ريها يوسف العناني:المرجع السابق، ص ص 72 ، 73.

[1]- مرجونة:المرجع السابق، ص 478.

5. المرأة المغولية :

5.1. المكانة السياسية للمرأة المغولية :

كانت المرأة المغولية تتمتع بمكانة سياسية واجتماعية مرموقة وهذا بالنسبة لسيدات البلاط المغولي اللائي كن يتدخلن في شؤون الحكم[1]، وكثيرا ما ارتبط اسم هولاكو بسيدة بلاطه المسيحية دوقوز خاتون ويمكن أن نلمس مكانتها السياسية من خلال وصية مانكوخان لأخيه هولاكو بالاستئناس برأي دوقوز قائلا "وشاور دوقوز خاتون في جميع القضايا والشؤون"[2]، وكانت المرأة المغولية تشترك في الحملات العسكرية وهي لا تؤدي الخدمات المنزلية من تربية الأطفال وغيرها فحسب، وإنما ترافق الجيش في معظم الأحيان إلى ساحات القتال[3]،ويذكر ابن بطوطة عن مكانة المرأة"أنني رأيت بهذه البلاد عجبا من تعظيم النساء عندهم وهن أعلى شأنا من الرجال"[4].

وقد وضعت المرأة هناك اسما لها وتمتعت بمكانة مرموقة فقام السلطان غازان بسن القوانين وإصدار المراسيم خص بها المرأة التي كانت تجبر على البغاء وتباع في دور البغاء وصرح قائلا :" إن وضع المواخير وإقامة العاهرات فيها أمر محظور ومذموم وإن القضاء على هذه الظاهرة وإزالة آثارها لمن أوْجَب الواجبات ولوازمها" وعمل على تخليص النساء اللائي تورطن في هذا العمل وهن مرغمات[1]، وسجل لنا التاريخ امرأتان كان لهما مكانة كبيرة وحساسةأحداهما تدعى "**ساتي بيك**" ابنة السلطان أولجايتو وأخت السلطان أبي سعيد ووصلت قوتها إلى درجة بلوغها عرش الايلخانية بعدما تم اختيارها من طرف الجوبانيين وذلك في عام 738هـ/1338م

[1]- كانت لهن كلمة في تنصيب الخان الأعظم للإمبراطورية وكثيرا ما شاركت المرأة في تسيير أمور الدولة كلها وهو ما حدث بعد وفاة أوكتاي خان عندما استلمت أرملته توراكينا خاتون الوصاية على العرش حتى تم اختيار الخان الأعظم كيوك خان ودامت مدة وصايتها أربع سنوات وظلت تشارك في النشاط السياسي للدولة. انظر:العريني : المغول، ص 188.

[2]- الهمذاني:تاريخ هولاكو، ص237.

[3]- شبولر: المغول في التاريخ، ص22.

[4]- ابن بطوطة:المصدر السابق، ج2، ص 230.

[1]- جاء في هذا الشأن "والآن فإن النساء اللائي ليس لهن ميل إلى ذلك العمل الذي أكرهن عليه،ينبغي تخليصهن من تلك الورطة ... وإن المرأة التي ليس لها ميل إلى ذلك العمل المذموم يكون إكراها عليه ظلما فادحا وخطيئة كبيرة لا تليق"، كما صدر مرسوم يقضي بأن كل جارية لا ترغب بممارسة هذه الرذيلة في بيوت الدعارة لا تباع إلى جماعة المشرفين عليها.أنظر:الهمذاني : تاريخ غازان خان، ص 404 .

وتولت السلطنة منفردة وضربت السكة كما قرأت الخطبة باسمها على المنابر[1]، أما الثانية فهي "**بغداد خاتون**" بنت جوبان وزوج أبي سعيد وكان لها من العزم والقوة بحيث أن أوامرها لا تناقش وذكر عنهاالعسقلاني أنها صارت عند أبي سعيد في أعلى مكانة وتمتعت بالنفوذ والقوة في جميع أنحاء المملكة وكانت تركب في مراكب حفل من الخواتين وتشد في وسطها سيفا[2].

5.2. لباس المرأة المغولية المسلمة وحليها:

يظهر من خلال الإشارات القليلة أن هناك تغيرا في لباس المرأة المغولية وسبب ذلك هو اختلاطهم بشعوب وحضارات متقدمة ولعل ابن بطوطة أكثر من وقف على هذا الجانب خاصة بعد إسلامهم فكانت زيارته إلى بلاط أوزبك خان(712-742هـ / 1313 – 1342م) بمثابة الفائدة التي يستقي منها الباحث معلوماته ويبدو من خلال ذلك أن ملابس المغوليات تغيرت مع الحفاظ على الشكل العام، فأصبحت المرأة المغولية أكثر أناقة مما كانت عليه فصار الحرير يغطيها من أعلى رأسها إلى أخمس القدم وله أذيال يرفعه من الأرض عدد من الجواري اللائي يمشين خلف المرأة[3].

ويمكن تحديد ثلاث طبقات من الأزياء والحلي بحسب طبقات النساء في المجتمع المغولي الجديد وهو ما دونه ابن بطوطة عند زيارته لخانية القبجاق في عهد السلطان أوزبك خان وأولى تلك الطبقات : طبقة نساء الخان المغولي حيث أن كل خاتون من الخواتين تركب في عربة فتجلس وعن يمينها امرأة من القواعد تسمى **أولوخاتون**[1] أي الوزيرة، وعن شمالها امرأة أخرى تسمى **كجك خاتون**[2] أي الحاجبة وبين يديها ستة من الجواري الصغار يقال لهن البنات، وهن فائقات الحسن والجمال ومن ورائها اثنتان مثلهن تستند إليهن، أما لباسها فيصفه بأن ثيابها مصنوعة من الحرير مرصعة بالجواهر وأن لباس الوزيرة والحاجبة أيضا مصنوع من الحرير

[1]- البدليسي: المصدر السابق، ج2، ص41 ؛صلاح الدين محمد نوار:المرة أة ودورها في المجتمع المغولي، ط1، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999، ص 128.

[2]- العسقلاني:المصدر السابق،، ص 480.

[3]- صلاح الدين محمد نوار:المرة أة ودورها في المجتمع المغولي،ص 167.

[1]- أولو : (ULU) معناه الكبيرة أو المعظمة . أنظر: ابن بطوطة،:المصدر السابق، ج2، ص 230 (حاشية 42)

[2]-كجك : (kOSI) ومعناه الصغيرة .انظر: نفسه ،ص 230.

المطرز بالذهب[1]، وما تضعه على رأسها يسمى **البغطاق**[2] وهي بادية الوجه لأن نساء الأتراك لا يحتجبن، أما الحاجبة والوزيرة فعلى رأس كل واحدة منهن مقنعة مزركشة الحواشي بالذهب والجوهر وعلى رأس كل واحدة من البنات قبعة مستطيلة ومخروطية تعرف (بالكلا) في أعلاها دائرة ذهبية مرصعة بالجوهر وريش الطاووس من فوقها وعلى كل واحد ثوب حرير مذهب يسمى "النخ"[3].

رابعا / الجانب الاقتصادي:

لا يوجد شك أن حالة الفوضى وعدم الاستقرار التي سادت آسيا من شرقها إلى غربها أثرت بصفة كبيرة على الوضع الاقتصادي حتى بعد أن استقر الوضع وظهرت الممالك المغولية فإن الوضع الاقتصادي شهد تأخرا كبيرا فالاستعداد الدائم للحرب، وفرض الضرائب من أجل تغطية نفقات الجيوش من بين أسباب التدهور الاقتصادي في العهد المغولي، هذا وقد استغل موظفي الدولة تلك الظروف لمصلحتهم الشخصية وقد مارس هؤلاء كل أنواع الظلم والتعسف على مصالح الناس ونشاطهم الاقتصادي، ونحاول في هذا العنصر أن نتعرف على الوضع الاقتصادي في العهد المغولي والسياسة التي اتبعها المغول من أجل بعث هذا النشاط من جديد.

1. الزراعة :

كانت الضرائب من بين أهم الأسباب التي أدت إلى هجر الأراضي ومنع السكان من مزاولة النشاط الزراعي، وهذا ما أدى إلى تلف المساحات الشاسعة من هذه الأراضي، كما شكل المسئولين من الولاة والحكام حجر عثرة في سير النمو الزراعي للبلاد رغم وجود كميات كبيرة من المياه والأراضي الشاسعة المهملة .

[1]– ابن بطوطة:المصدر السابق، ج2، ص 230 ؛صلاح الدين محمد نوار:المرة أة ودورها في المجتمع المغولي، ص 197.

[2]– البغطاق: مثل التاج الصغير المكلل بالجواهر وبأعلاه ريش الطواويس. أنظر ابن بطوطة:المصدر السابق، ج2، ص230.

[3]– نفسه.

وأهم مشكلة تعرض لها الايلخانيين كانت تتعلق بالملكية العقارية وزيادة الأراضي البور وهذا ناتج عن تخريب نظام الري وإهمال الزراعة بسبب الضرائب وحاول المغول وضع إصلاحات في هذا المجال إذ استحدثوا ديوانا خاصا سموه ديوان المقاطعات[1].

وعرفت البلاد سياسة إصلاحية مست جميع القطاعات، بما أن السلطان غازان كان يسهر دائما على تسيير أمور الرعية فقد صبت ضرائبه في المجال الزراعي على ترتيب كل الممتلكات، وهذا ما عرف عنه بالإصلاح الزراعي وتضمن هذا العديد من الإجراءات اتجاه الحكام وأصحاب الإقطاعيات وإلزام كل صاحب أرض بدفع مقدار معين من كل محصول ثمنا للمعدات والبذور وما تحتاج إليه الزراعة، وقرر أن يكون للمزارع نصيب من الإنتاج ويقدر بالثلث[2]،كما أتاح له فرصة ممارسة النشاط الزراعي عندما سمح له بامتلاك اللوازم الزراعية وهذا من أجل توسيع الحركة الزراعية وعدم جعلها مقتصرة على فئة معينة من أصحاب النفوذ والمال .

وظهرت الدواوين الخاصة بالإقطاعيات، ودواوين الإمارة أو الدواوين الأميرية، وكان في إصدار مرسوم منح الجنود الإقطاعيات عوضا عن رواتبهم دلالة على حسن التدبير، فهو بهذا يستفيد من المحاصيل التي تنتجها الأراضي، ومن جانب آخر فإن الدولة تستفيد من رواتب الجنود في مجالات أخرى[3]، ولم يكن باستطاعة هؤلاء المستفيدين التصرف بالأراضي كأن يبيعوها أو يتركوها دون زرع لأنهم خضعوا إلى شروط، فكانت هذه الأراضي لا تعطى لأي أحد كان إلا إن كان له ولد يرثه في حالة موته، ومدة امتلاك الأراضي حددت بثلاث سنوات قابلة للتجديد في حالة ما أحسن استغلال الأرض وتحصل على إنتاج وفير، ولم تترك للمسئولين أي حجة خاصة الذين وجدوا من الضرائب مخرجا لنقص مردودهم حيث أن السلطان غازان أصدر قرارات تخص الضرائب خاصة بعد وصول شكاوى من الأهالي عندما فرضت عليهم الضريبة ذهبا وأمر بأن تدفع الضرائب نقدا[1].

---

[1]– عبد الباسط مصطفى مجيد الرفاعي:"من جوانب الحياة الاقتصادية لبغداد أثناء سيطرة المغول الايلخانيين"، مجلة سر من رأى، قسم التاريخ، جامعة سامراء، كلية التربية ، مج 8، العدد 30، السنة الثامنة، 2012، ص 73.

[2]– الهمذاني:تاريخ غازان خان، ص 388 .

[3]–الهمذاني: تاريخ غازان، ص 339 ؛ محمد رشيد الفيل:الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد أثناء الحكم الإيلخاني، مركز التحقيقات الإسلامي،(د.ط)، ص 309 ؛ عبد الباسط مصطفى مجيد الرفاعي: المرجع السابق، ص 74.

[1]–الهمذاني:تاريخ غازان خان، ص 389 .

وبما أنه توجد بعض المناطق التي تعاني الجفاف فاقتضت الضرورة إيصال الماء إليها وذلك عن طريق شق الأنهار والقنوات من أهمها ما أطلق عليه اسم **النهر الغازاني الأعلى** الذي وصلت مياهه إلى صحاري منطقة كربلاء[1] مما حوَل تلك الأراضي إلى بساتين وحدائق، وارتفع بذلك محصول تلك الجهات إلى مائة ألف" **تغار**"[2]بحيث نجدها أنتجت العديد من أنواع الحبوب والخضر، كما تم فتح نهر آخر سمي **بالنهر الغازاني الأسفل** والذي ينبع من الفرات[3]وبفضل هذا أصبحت مناطق الايلخانية عامرة، ويقول رشيد الدين" أنه لم ير ولم يسمع مطلقا أن أحدا في أي عهد قام بمثل هذه التدابير الحسنة ولم تكن لديه الرغبة والتفكير في إقامة مثل هذه العمارات وفعل هذه الخيرات ".

1.1. ضرائب الأراضي والمحاصيل الزراعية: ظل النظام الإسلامي فيما يخص الضرائب قائما، فالأراضي العشرية استمرت على إعطاء العشر والأراضي الخراجية تدفع الخراج الذي كان يتراوح بين 10/1إلى 20/1 من المحصول وكان الخراج يقوم على أساس النسبة للمحصول، أما طريقة جمع هذه الضرائب فكان يتبع نظام الالتزام الذي كان متبعا خلال الفترة العباسية وكانت الضريبة العقارية تدفع إما نقدا أو عينا وفي عام 697 هـ/1297م اشتكى الزراع عند السلطان غازان لأن "**جمال الدين الدستجراواني**" أجبرهم على دفع الضريبة العقارية بالذهب فأصدر غازان خان أوامره بان الضريبة تدفع نقدا أو عينا كما كانت قبل الغزو ولقد كان "**حمدالله المستوفي**" عام 736هـ / 1335م مسئولا عن دائرة الضرائب[4].

ارتفعت وتيرة العمل لدى الفلاح وزاد الإنتاج وهذا ما انعكس بالإيجاب على الدخل والذي قدر بخمسة آلاف دينار، وأضحت كل من مدينة شيراز وبغداد من أهم الحواضر الزراعية في الايلخانية وعمت الفائدة على البلاد والرعية، وانتشرت العديد من المحاصيل الزراعية ومن أهمها القمح والشعير، واشتهرت من

[1]-كربلاء: وهو مشهد الحسين ويقع على ثمانية فراسخ من شما غربي الكزفة وهي تعين موضع الوقعة التي استشهد فيها الحسين بن علي حفيد الرسول صلى الله عليه وسلم .أنظر:ليسترينج:المرجع السابق، ص 106 .

[2]- تغار: وحدة من وحدات الوزن تستعمل في أغلب الأحيان للغلال وتساوي 295 كغ ونجد هذه الكلمة بمعنى الضرائب العينية التي تحصل من الرعايا وتنفق على العلف الخاص بالجيش .أنظر:الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص 239 .

[3]- العزاوي: المرجع السابق، ص 398 .

[4]- عبد الباسط مصطفى مجيد الرفاعي: المرجع السابق، ص 74.

المحاصيل الصيفية القطن والذرة[1]، وكانت الحمضيات والرمان من أهم الفواكه الزراعية واشتهرت بغداد بالرمان الدراجي والعنب وهذا بالإضافة إلى النخيل، أما الخضر فقد وجدت أنواع كثيرة في بغداد كالفاصوليا،البصل، الثوم،الباذنجان ...الخ[2].

ولابد من الإشارة إلى أن الجلائريين وجهوا اهتماما كبيرا في سنوات حكمهم الأولى وسعوا لمسح الأراضي وإعادة تعميرها وزراعتها ووضعوا أيديهم على الأراضي التي نزح عنها أهلها أو التي خربت والمسجلة في ديوان البايرات (البائرات) وذلك طبقا لنظام أحدثه المغول في العراق عرف بالقرار الشمسي[3] وهو نظام يعمل فيه في العراق دون غيره من أقاليم الدولة وبموجبه تؤخذ الأرض الخربة من ديوان البائرات بمبلغ زهيد من المال يسدد بأقساط سنوية لإحيائها وزراعتها تُملك لمن أحياها وعمرها بمعنى أنه نوع من إقطاع التمليك يؤدي النجاح فيه إلى تملك الأرض تملكا تاما[4].

2. الصناعة:

أبدى المغول اهتماما بمختلف الصناعات وعملوا قصارى جهدهم على تنظيم هذا القطاع وشجعوا الصناع على مزاولة هذا النشاط باتخاذ مجموعة من التدابير وأهمها رفع الضرائب عن الصناعات كالقطن المغزول ولقد انشأ المغول مصنعا في بغداد وقاموا بتنظيمه وأولوا عناية خاصة حين تم تعيين شخص ذو ثقة يشرف على أصحاب الصناعات وتم تطوير بعض الصناعات وذلك بإضافة ما هو صيني لتظهر الصناعة بلونها الصيني الذي أعجب به المغول وطبقوه في مختلف حرفهم[1].

---

[1]– عبد الباسط مصطفى مجيد الرفاعي: المرجع السابق، ص 74.

[2]– الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص 388 .

[3]– تعود هذه التسمية إلى العهد الايلخاني وهو تقويم خاص بالمغول بحيث أحدثوا تاريخا جديدا يبدأ سنة 701هـ/1301م سموه التاريخ الإيلخاني نسبة إلى الخان المغولي وأردوا فيه الجمع بين التاريخ الهجري (القمري) والشمسي ولكن هذا التقويم لم يدم مدة طويلة.أنظر: العزاوي، المرجع السابق، ص 439؛ نوري عبد الحميد خليل:"ديالي في سنوات الاحتلالين الجلائري والتيموري"، بحوث ودراسات،جامعة بغداد، كلية التربية، ابن رشد،العدد الرابع ،2006، ص43.

[4]– نوري عبد الحميد خليل: المرجع السابق،ص43.

[1]– رشيد الفيل: المرجع السابق، ص ص 312،311 .

ويمكن الجزم بأن الصناعة في العراق ونواحي عديدة من المناطق الخاضعة للحكم المغولي لم تخرج عن أساسيات وتقاليد العهد السابق، ففي العراق مثلا لم تكن هناك تأثيرات مغولية على المستوى الصناعي ولا يعدو الأمر أن يكون قرارات تشمل إصلاح ما تم تخريبه من طرف الغزاة وإعادة بعث النشاط الاقتصادي من جديد وخاصة الصناعة مثل تلك التي اتخذها هولاكو بعد إخضاعه لمختلف الأقاليم وإعطائه أوامر تقضي بإعادة إصلاح ما خرب في بغداد وإعادة أسواقها وأعمال أهلها إلى ما كانت عليه سابقا، ومع أنه لا يوجد عدد واضح عن الحرفيين والعمال الذين فقدتهم العراق فإننا نستأنس بقاعدة المغول بعدم قتلهم لأهل الحرف وأرباب الصناعات والاستفادة من خبرتهم لذا نجد أن العراق قد عوض ما خسره من هؤلاء بعد فترة ليست بالطويلة وذلك عن طريق هجرة أهل الخبرة من القرى والمدن المجاورة إلى المدن المتضررة على غرار بغداد والموصل وإربل و واسط وغيرها من المدن، وتوجد مدن استسلمت كالبصرة والكوفة والحلة لذا لم تخسر العديد من الأيادي الماهرة[1]، وأشار الرحالة ابن بطوطة إلى بغداد عند مروره بها سنة 727هـ/ 1326م السنة المصادفة لحكم السلطان المغولي المسلم أبي سعيد حيث ذكر هذا الأخير ما نصه :((والجانب الشرقي من المدينة حافل بالأسواق عظيم الترتيب أعظم أسواقه يعرف بسوق الثلاثاء كل صناعة فيه على حدا))[2].

وورد في مراصد الاطلاع إلى ما يشير إلى استمرار الكثير من الصناعات العباسية من خلال مناطق اشتهرت بصناعتها منها قرية الحظيرة على دجيل وينسب إليها الثياب والقطن التي تحمل البلاد، وإلى منطقة تسمى (حربي) تنسج فيها الثياب القطنية الغليظة التي تسوق إلى البلاد وإلى دار القز وهي تقع في الجانب الغربي من بغداد وتمت الإشارة إلى أن الكاغد كان يصنع فيها، ويضيف القزويني إلى ذلك أن الكرخ وهي قرية فوق بغداد بها دكاكين للكاغد والثياب الأبريسمية[3].

ويتضح من خلال ما أورده ابن بطوطة أن صناعة الزجاج العراقي كانت تتمتع بشهرة كبيرة حتى أنه وجد من منتجاتها في مدينة (العلايا) في بلاد الروم أثناء مروره بها وفي مدينة خوارزم أيضا كما يستشف من كلامه أيضا عن دهلي أن الأسلحة كانت تصنع في العراق ويتاجر بها في الهند بالإضافة إلى إشارته في غير موضع أن بغداد كانت تصنع أنواعا خاصة من الثياب الحريرية تسمى (الكمخا) تصدر إلى خارج العراق،

[1]- جعفر حسين خصباك:العراق في عهد المغول الإيلخانيين، ط1، مطبعة العاني، بغداد، 1968، ص 129.

[2]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 62.

[3]- القزويني:المصدر السابق، ص 444.

وعند مروره بمدينة النجف في العراق دخل مزار الإمام علي فوصف العتبة بأنها كانت مصنوعة من الفضة، والقبة بأنها كانت مفروشة بأنواع البسط الحريرية وغيرها وبها قناديل الذهب والفضة الكبار والصغار وفي وسطها مسطبة مربعة المغطى بصفائح من الذهب المنقوشة وسقف القبة مغطى بستور من الحرير، وبالرغم أن هذا الوصف يعود إلى العهد العباسي لكن هناك ما يعود إلى العهد الايلخاني خاصة الستور والبسط التي تعد من نتاج هذا العهد[1] .

أشار ابن فضل الله العمري (ت749هـ/1348م) إلى أن مملكة إيران وكان العراق العربي والجزيرة جزء منها معروفة بصناعة الأقمشة الفاخرة كالنخ، والمخمل[2]، والكمخا، والعتابي، والنصافي[3]، كما وصفه ابن بطوطة ثياب من الحرير، والكمخا ثياب حريرية مذهبة، والنصافي البغدادية ثياب رفاع من القطن والكتان .

ويمثل الورق البغدادي أجود أنواع الورق وعرف استعماله في مصر فهو إلى جانب كونه ثخين فقد تميز بليونته ولا يكتب فيه في الغالب إلا المصاحف الشريفة ويستعمل كذلك في مكاتبة القانات[4] .

وتعد فترة حكم السلطان غازان من أزهى الفترات التي عرفت فيها الصناعة ازدهارا ورواجا وهذا راجع إلى شغف السلطان بمختلف ألوان الصناعة وعرف عنه أنه كان يجيد بعض الحرف وشجع على القيام بها، ويذكر رشيد الدين بأنه لا توجد حرفة لم يمارسها السلطان فاشتغل بالصباغة والحدادة والنجارة وصب المعادن والخراطة وقيل بأنه كان يوجه المهرة والمختصين على نحو عجز عنه الأساتذة والمهندسين[5]، إن هذه الرغبة والاهتمام جعلت العامة تحذو حذو سلطانهم فراحوا يشتغلون بشتى أنواع الصناعة ومن خلال هذا يكون السلطان قد أسهم في تطوير هذا المجال، وظهرت العديد من الصناعات ولعل أشهرها:

[1]- خصباك: المرجع السابق، ص 131.

[2]- النخ والمخمل: النخ نوع من القماش القطني أو الحريري ، والمخمل نوع من القماش الناعم.أنظر: العمري المصدر السابق، ج3، ص 169.(هامش 2)

[3]- نفسه.

[4]- خصباك:المرجع السابق، ص 131.

[5]- الهمذاني:تاريخ غازان خان، ص 207.

2.1. صناعة الأسلحة:

أولى المغول اهتماما بالغا بالصناعات الحربية وهذا ما يعتبر طبيعيا بالنسبة لإمبراطورية فرضت نفسها بالأساليب الحربية ولهذا لم يتخاذل حكام المغول في تطوير أساليبهم القتالية وكذا معداتهم الحربية فعملوا على تشجيع صناعة الأسلحة المختلفة من الأقواس والنبال والسيوف وبعد ما كان الصناع يتقاضون أجورهم مقابل تقديم كمية كبيرة من الأسلحة ومنهم من لا يصل إليه راتبه للعديد من الأسباب أهمها صرفها بحجة العلف ونفقات الدواب، غير أن الأمور تغيرت في عهد السلطان غازان بانضمام أهل كل حرفة من الحرف في كل مدينة إلى بعضهم وإعدادهم لكميات من الأسلحة وتقدير ثمنها ونصب على رأس كل مجموعة شخصا موثوقا وأمينا وتقرر صنع أسلحة لعشرة آلاف رجل كل سنة[1].

2.2. صناعة النسيج :

المعروف أنه قبل ظهور المغول اشتهر العراق بنسيج الأقمشة من الحرير والقطن والصوف والكتان وكذلك الحصير المصنوعة من سعف النخيل إذاً كان عهد المغول عهدا لتشجيع هذا النوع من الصناعة ليس إلا، ومع هذا فإنهم حاولوا الحفاظ عليها والعمل على نسج هذه الأقمشة وذلك بتخفيض الضرائب وتعيين النقابات[2].

وهناك إشارات عن وجود صناعات مهمة في بغداد في أوائل العهد الجلائري منها منسوجات الحرير المصنوعة بالذهب والقديفة المطرزة بصور الطيور والحيوانات والنسيج الفاخر المسمى بالدمشقي، وقد لعبت بغداد في هذا العهد دور الوسيط بين الهند وأوربا خاصة في ما يتعلق بجميع أنواع اللؤلؤ حيث كان يهيء للاستعمال في بغداد، كما أن الأقمشة الحريرية والمذهبة والمسماة موسلين كانت تصنع في مدينة الموصل ويضاف إلى ذلك أنه كان هناك نوع من صناعة الساعات في أواخر العهد العباسي وفي هذا العهد أيضا .

ومما انتشر من الصناعات النسيجية في العهد الجلائري وراج نجد المنسوجات الحريرية والمقصبة وكان أسلوب زخارفها مستمدا من الأقمشة الصينية ووجدت خيوط براقة من معادن صلبة يطرز بها الأقمشة

[1]- الهمذاني:تاريخ غازان خان، ص 377 .

[2]- رشيد الفيل:المرجع السابق، ص 313 .

الفاخرة، واشتملت الزخارف المطرزة على مراوح نخلية من أزهار اللوتس وصور حيوانات وطيور صينية منسقة داخل أشرطة أو مكررة في بساطة تامة وعادة ما كونت الكتابة العربية جانبا من الزخرفة[1].

3. التجارة :

المعروف أن المغول أبدو اهتماما كبيرا بالتجارة واستعملوها كغطاء لتمرير جواسيسهم في البلدان التي غزوها، وبعد إكمالهم لمشروعهم شرعوا في إصلاح ما خربته جيوشهم، وعملوا على إعادة فتح الطرق التجارية من جديد وبناء محلات لاستراحة التجار"الخانقاه"[2].

إن الأخبار التي وردت عن تاريخ المغول توضح مدى اهتمامهم بالتجارة حيث أمنوا قانونيا (الياسا) حرية التجارة والرعاية التجارية، ونال التجار مكانة عالية في العهد المغولي وليس أدل على ذلك ما ورد عند الحديث عن حادثة سقوط بغداد أن هولاكو أمر بأن "تكتتب ستة منشورات تفيد بأن القضاة والعلماء والشيوخ والسادات والتجار وكل من لا يحاربنا لهم الأمان منا " فالتجار كانوا ضمن هذه المنشورات الستة مما يبين اهتمام المغول بالتجارة والتجار[3]، كما أولى المغول اهتماما متزايدا بالطرق التجارية وحفظ النظام والأمن لمستخدميها، وأوجدوا ما يسمى بالمستحفظين (القراقجية) الذين يتولون توفير الأمن على الطرق التجارية، ويظهر اهتمامهم بالتجارة من خلال علاقتهم مع الدول التي كانوا على علاقة معها كما هو الحال بالنسبة للدولة الخوارزمية قبل أن يسيطروا عليها،كما تبدت علاقتهم مع الدولة المملوكية التي كانوا على عداء معها، وشمل الأمر أيضا علاقتهم ببيزنطة والإمارات الإيطالية، كما عملوا على إيجاد مناطق استقرار لجماعات صغيرة أسكنت على طول الطرق التجارية، وقد جاء ذلك ليخدم غرضين في آن واحد : تأمين الاتصال بين المناطق المختلفة للإمبراطورية المغولية ضمن اهتمامهم نظام البريد، وتوفير مناطق استراحة للتجار في جميع أرجاء هذه الدولة[1].

---

[1]- شعبان طرطور: المرجع السابق، ص 137.

[2]- العريني: المغول، ص 333 .

[3]- محمد مفيد آل ياسين: دراسات في تاريخ العراق في العهد الإيلخاني (عهد السيطرة المغولية 658- 737هـ)، ط1، دار غيداء، عمان، 2010، ص ص 102 ، 103.

[1]- نعمان محمد جبران:المرجع السابق، ص 147.

عرفت السياسة الأمنية اتجاه الطرق التجارية انفلاتا ويعود ذلك إلى تواطؤ حراس الطرق مع اللصوص وعملوا في كثير من الأحيان على نهب المسافرين والتجار، هذه الاعتداءات جعلت هؤلاء يلاقون صعوبات في تنقلاتهم ولم يستطيعوا فعل شيء حيال ذلك إلا توقيف أشغالهم إلى غاية إصلاح الأوضاع[1]، وعرفت التجارة في عهد السلطان غازان نوعا من الاستقرار نتيجة للسياسة التي اتبعها المغول في نهاية القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر ميلادي والتي عرفت "**بالسلام المغولي**" الذي يدعوا إلى العيش في سلام ووئام[2].

على أن هذا الاهتمام المتزايد بالتجارة يجب ألا يلغي حقيقة أن الحياة الاقتصادية والتجارية بشكل خاص قد تأثرت سلبا بالتوسع المغولي، حيث أعقب الغزو مباشرة تعطل الطرق التجارية والبرية منها بشكل خاص، لكن ذلك لا ينسحب على الفترة المغولية بشكل كامل، فما أن استقرت السيطرة المغولية على مناطق التوسع إلا وبدأت حركة ازدهار وتوسع للطرق التجارية، فازدهر الطريق البري الذي يبدأ من **الصين مخترقا تركستان بالاتجاه الشمالي من بحر قزوين إلى موانئ البحر الأسود**، أو الطريق الذي يسير **جنوب بحر قزوين مجتازا إيران إلى طرابيزون إلى منطقة إياس بأرمينيا**، وأصبح متبعا أكثر من الطريق البحري، كما أدى إلى نشوء مراكز تجارية أوربية للإيطاليين في منطقة **كافا**[3]، فمثلا عرفت الطرق التجارية في عهد السلطان محمود غازان إصلاحا شاملا عجلت بعودة التجار إليها وشهدت إجراءات صارمة ضد كل من يعيق التجار من الحراس وقطاع الطرق على حد السواء .

– وكان الإعدام جزاء كل من يعصي الأوامر وكل متآمر على التجار.

– صارت الطرقات تعج بالحراس ووصل عددهم إلى عشرة آلاف حارس مسلح وظيفتهم الحفاظ على أمن الطرقات، وهذا ما لقي استحسان التجار والمسافرين وحتى الرحالة الذين سلكوا تلك الطرق من أمثال ماركو بولو.

[1]– محمد هلال:العلاقات بين المغول وأوربا وأثرها على العالم الإسلامي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1،1997، ص221 .

[2]– يلماز:المرجع السابق، ص 37 .

[3]– نعمان محمد جبران:المرجع السابق، ص 149.

– طلب التجار تزويدهم بأدلاء نشطين أمناء يقومون على إرشادهم وأمنهم بين كل ناحية وأخرى مقابل راتب قدره"جروتان عملة إيطالية" صغيرة أو ثلاث عن كل دابة محملة تبعا للمسافة[1].

وبلغت أهمية الطرق التجارية وتأمين السير عليها ذروتها بفضل السيطرة التي فرضها المغول على القسم الأكبر من قارة آسيا وتسهيل نقل البضائع من الشرق الآسيوي إلى الغرب الأوربي ووفرة السلع الصادرة والواردة وبرزت العديد من الموانئ التي لعبت دورا كبيرا في التجارة الداخلية والخارجية وانتشرت المدن عبر كامل الإمبراطورية وامتلأت الأسواق[2]، ويصف لنا الرحالة ابن بطوطة في رحلته للعديد من المدن التي زارها وصفا يوحي إلى ازدهارها وتعدد أسواقها فمدينة يزد[3] وهي من أعمال فارس تحوي أسواق عامرة بتجارها وسلعها وعرفت المدن ازدهارا بعد فترة الخراب جراء الغزوات المغولية وبعد أن استقرت الأمور عاود المغول إعمارها وبعث الحياة فيها من جديد، ويعتبر ابن بطوطة من بين الرحالة الذين زاروا العديد من المدن ومنها تبريز التي أضحت إحدى أهم الحواضر الاقتصادية، ووصف أسواقها وتجارها في رحلته.

لقد جلبت هذه المدن العديد من التجار المحملين بالسلع من كل مكان فازدهرت الأسواق وشهدت حركة كبيرة وما وصلنا عن تلك الأسواق ما بعض الرحالة في كتبهم، فمن خلال ذلك الوصف يتبين لنا أن تلك الأسواق كانت مقسمة إلى أسواق صغيرة داخلها تسمى باسم السلع التي تباع فمثلا يذكر ابن بطوطة بأنه يوجد سوق الجوهريين دلالة على بيع المجوهرات الموجود في سوق قازان نسبة إلى محمود غازان الذي يصفه بأنه أحسن أسواق الدنيا، وفي السوق نفسه(سوق قازان) يوجد سوق العنبر والمسك الذي يتهافت عليه الناس[4].

3.1. السيطرة على الطرق التجارية:

من الآثار الناجمة عن الغارات المغولية توقف التجارة وخراب الطرق التجارية، ومع نهاية القرن السابع الهجري، الثالث عشر ميلادي بدأت الأوضاع تهدأ نوعا ما، حيث استقر الأمر للمغول الذين فرضوا سيطرتهم

[1]– هلال: المرجع السابق، ص 221 .

[2]– طقوش: تاريخ المغول العظام والإيلخانيين، ص 176 .

[3]– يزد: بفتح اوله وسكون ثانيه مدينة متوسطة بين نيسابور وشيراز وأصبهان. أنظر: الحموي: المصدر السابق،مج5، ص 435.

[4]– ابن بطوطة:المصدر السابق، ص 139 .

على الطرق التجارية خاصة أن معظم هذه الطرق كانت خاضعة للسيطرة المغولية بعد تقسيم الإمبراطورية إلى أربع وحدات سياسية واقتصادية كبرى وهذا ما ساعد على إيجاد نظام اقتصادي قوي وكذلك لعبت صلة الدم دورا بارزا في المعاملات التجارية بين الأقاليم الأربعة.

عادت الطرق التجارية عقب لغزوات المغولية إلى سابق عهدها وأكثر من ذلك نتيجة لتحكم المغول في الأوضاع وسيطرتهم على هذه الطرق فبرز إلى الوجود طريقين أساسيين للتجارة:

– الطريق الأول يسير من البحر الأسود ويخترق شمال أواسط آسيا ثم إلى الصين إما عن طريق السهول الشمالية المعروفة باسم سهول زنجباريا وإما عن طريق حوض نهر التاريم[1] جنوبي جبال تيان شان[2] وإما عن الطريق الذي يمر بمدينة خوتان في الجنوب.

– الطريق الثاني هو طريق بري وبحري في الوقت نفسه يسير إما من طرابيزون أو خليج الإسكندرية إلى تبريز ثم يمر على الخليج الفارسي ثم عن طريق المحيط الهندي إلى بلاد الهند والشرق الأقصى[3]، نتج عن إيجاد هذين الطريقين اتساع الحركة التجارية بين القارتين الأوربية والآسيوية وبرزت العديد من الموانئ والمحطات التجارية التي لعبت دورا بارزا في اتساع واستمرارية الحياة التجارية فنذكر مثلا ميناء **طرابيزون وتبريز** .

3.2.طريق الحرير: تنقسم طرق تجارة الحرير إلى قسمين:الطرق الرئيسية وهي طرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب والطرق الفرعية والمحلية وهي التي تمتد داخل أوربا وبلدان شرقي البحر المتوسط وغرب آسيا . والأكيد أن هذا الطريق ازدهر في أوقات الاستقرار في البلدان التي يمر بها مثل الصين أو منغوليا وآسيا الوسطى وفارس، وفيما يخص المغول فإنهم سيطروا على هذا الطريق وتحكموا فيه في الفترة مابين القرنين 13و14م بعد أن أحكموا قبضتهم على آسيا، فانتظمت بذلك الرحلات التجارية وكثر السعاة في هذا الطريق بل كتب بعض

[1]– نهر التاريم:وهو تركستان الصينية الحالية، اشتهرت واحاته بحياة المدن والنشاط التجاري وهذه الواحات كان لها دور في الربط بين حضارة الشعوب المستقرة المتحضرة في الغرب حيث عالم البحر المتوسط وإيران والهند وبين الحضارة الزاهرة في الشرق وهي حضارة الصين.أنظر:العريني:المغول، ص 8 .

[2]– تيان شان:تقع في الشمال الغربي لآسيا سلسلة ضخمة يتفاوت ارتفاعها عن سطح البحر بين 15 ألف، 20 ألف قدم وقد يصل ارتفاع بعض قممها إلى مايزيد على 25 ألف قدم، ويبلغ طولها حوالي 1200 ميل.أنظر:العريني:المغول، ص 5 .

[3]– أحمد حافظ حمدي:المرجع السابق ، ص ص 297،298.

المرشدين دليلا يهتديبه الناس إلى المحطات في الطريق ومن أهم المدن التي يمر بها هذا الطريق البريوطشقند،وبلخ ونيسابور[1] .

4. النقود الايلخانية :

عرفت فارس في عهد المغول نظاما ماليا يتماشى والواقع الديني وفي الحقيقة أن المغول راعوا الجانب الديني في ضرب السكة وإصدار العملات حيث أنه لم يكن باستطاعتهم الخروج عن المألوف في هذا القطاع وتمت ربما إضافة بعض العبارات التي تبرز التبعية للخان الأعظم مع الحفاظ على العبارات الإسلامية وفق مذهب أهل السنة كما كان في السابق مع وجود استثناء لبعض المناطق الشيعية والمسيحية مثل الإسماعيلية أو جورجيا عاصمة الكرج ما عدا ذلك فإن مغول فارس لم يغيروا الكثير في النقود وأبقت على طابعها الإسلامي إلى غاية عهد السلطان محمود غازان الذي قام بتوحيد نصوص الكتابات وتوحيد الوزن والعيار لهذه النقود، لكن اللافت أن هناك زخم وتراث كبير خلفه المغول في مجال ضرب السكة والنقود وذلك من عدة نواحي منها بروز اللغة الايغورية مثلا واللغة العربية بالإضافة إلى وجود قطع نادرة لم تدرس إلى غاية اليوم وأكيد أن هذا الجانب قد يميط اللثام عن كثير من الخصائص في هذا العهد، و نحاول أن نتتبع تاريخ العملة والنقود في هذا العهد بداية من عهد هولاكو[2].

كانت سياسة المغول النقدية تتجه إلى عدم المس أو إحداث تغييرات في النظام النقدي للبلاد المفتوحة من حيث الوزن والشكل والمضمون ولهذا استمرت النقود تضرب في جميع البلاد التي خضعت لهولاكو خان وعليها عبارات إسلامية واهتم هولاكو بإضافة اسم الخان الأعظم مانكو خان بالإضافة إلى اسمه في بعض الأحيان مع حذف اسم الخليفة العباسي وألقابه .

وخلال السيطرة المغولية أظهر حكام المغول في فارس والعراق اهتمامهم البالغ بالمسكوكات النقدية، ومن بين النقود التي ظهرت في عهد هولاكو نجدها حملت عبارات إسلامية موافقة لمذهب أهل السنة والجماعة

[1]– محمد عبد المنعم الجمل:الدول المستقلة في المشرق التاريخ والحضارة، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص 434؛ أحمد حافظ حمدي: المرجع السابق، ص ص 297،298.

[2]– رمضان عاطف منصور محمد:"العقائد والديانات غير الإسلامية على النقود الإيلخانية"، مجلة أدوماتو، المملكة العربية السعودية، العدد18، 2008، ص 9.

والإصدار الأول دنانير ضربت ببغداد سنة 656هـ محفوظة بمجموعة الأستاذ يحي جعفر بالإمارات العربية المتحدة لم يسبق نشره[1].

ويجب الإشارة إلى وجود ثلاث نماذج من هذا الإصدار فقط على مستوى العالم اثنين سبق نشرهما الأول محفوظ بدار الكتب القومية بالقاهرة والثاني محفوظ بإحدى المجموعات الخاصة بالعراق، أما النموذج الثالث فيمثله دينار محفوظ بمجموعة الأستاذ يحي جعفر بالإمارات العربية المتحدة .

وفي عهد أباقا خان بدأ ضرب النقود وعليها كتابات بالخط الأويغوري منذ سنة 674هـ/1275م، وكان يكتب من اليمين إلى اليسار متأثرا بالخط العربي ولكن نقشت الكتابات الأويغورية بشكل أفقي من أعلى إلى أسفل متأثرا بالخط الصيني وكانت الكتابات الأويغورية مستخدمة على نقود المغول العظام في الصين منذ فترة طويلة من الزمن، لكن لم تستخدم على نقود الايلخانيين إلا في عهد أباقا خان حيث شغلت الكتابات الأويغورية ظهر النقود الايلخانية في حين استمرت كتابات الوجه تنقش باللغة العربية[2].

ومن أمثلة هذه النقود درهمان محفوظان بجامعة تيوبنجن بألمانيا ونشرا لأول مرة في مقال للباحث عاطف منصور رمضان، والدرهم الأول محفوظ تحت رقم GC2E2 ضرب ببغداد وزنه 2.91غرام، أما الدرهم الثاني فيحمل مكان سكه بغداد ومؤرخ بسنة 666هـ/ 1267ومحفوظ تحت رقم GC2E3 ويبلغ وزنه 2.64 غرام[3].

ونلحظ تغيرا واضحا على النقود الايلخانية في عهد أحمد تكودار حيث تظهر عليها أسماء الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم ومن أهم الأمثلة على هذه النقود درهم نادر وقد يكون الوحيد على مستوى العالم قام بنشره السيد جمال ترابي طباطبائي ولا يظهر عليه تاريخ السك.

ويعد عهد كيخاتو خان عهد تغير حقيقي في مجال العملة والسك فقد قام هذا الأخير بضرب عملة ورقية جديدة للتداول بدلا من الدنانير والدراهم بضمان بيت مال الدولة وعرفت باسم الجاو وأنشأ لها دورا

[1]- رمضان عاطف: المرجع السابق، ص 10.

[2]-العزاوي: المرجع السابق، ص 295؛ رمضان عاطف منصور محمد:المرجع السابق، ص 96.

[3]- أنظر الصورة رقم (01)

خاصة لطباعتها وعرفت بالجاوخانة[1]، وقد حرص كيخاتو على إضفاء الصبغة الإسلامية على هذه العملة الجديدة حتى يضمن رواجها وتداولها، وكان الجاو عبارة عن قطعة من الكاغد مربعة أو مستطيلة الشكل قائمة الزوايا كتب عليها بضع كلمات بالخط الخطائي (الصيني) يعلوها باللغة العربية عبارة "لا إله إلا الله محمد رسول الله " كما سطر عليها اسم إرينجين تورجي (كيخاتو) ثم رسمت دائرة على الورقة المذكورة كتب في وسطها قيمتها النقدية وكانت تتفاوت بين نصف درهم وعشرة دنانير، كذلك مما نقش عليه أيضا " انه بتاريخ ثلاث وتسعين وستماية قرر السلطان تداول هذا الجاو المبارك في الممالك، فمن غيره أو بدله يقتل هو وزوجته وأبناؤه، وتصادر أمواله وأملاكه وتحول إلى بيت المال"[2].

4.1 الإصلاحات النقدية للسلطان محمود غازان:

عرف عهد محمود غازان تطورا كبيرا في مجال العملة والسكة ولا سيما الدينار الذهبي بعدما لجأ إلى إلغاء الأوراق النقدية التي أدخلها كيخاتو خان إلى النظام المالي في البلاد

- وضع علامة على السكة بحيث لا يتيسر لكل شخص تقليدها .
- أمر السلطان غازان أن تضرب السكة في كل البلاد إما من الذهب الخالص أو الفضة الخالصة .
- أمر بنقش اسم الجلالة واسم الرسول على العملة في كل البلاد واسمه أيضا.

وبهذا فانه يسمح بمعرفة السكة من خلال اللون أو النعومة، وقد أصدر أوامره باستبدال كل ثلاثة مثاقيل فضة خالصة مسكوكة بثلاثة مثاقيل ونصف من الفضة التي كانت مع الناس، كما نال الذهب اهتمام السلطان غازان فكان يستفسر عن قيمته ويأمر بسكه وتثمينه وأما الذهب القليل العيار والأقل قيمة فإنه أمر بأن يسعر بسعر أرخص كما أمر بأن تجمع كل العملات المغشوشة من كل أنحاء البلاد، وكان موظفوا

[1]- العمري: المصدر السابق، ج3، ص 112؛ الصياد:المغول، ص 222؛ فهمي:المرجع السابق، صص 183، 184؛ سعيد أسعد سعيد الحبشي: صورة المغول من خلال كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار بغزة، 2021، ص 89؛ رمضان عاطف منصور محمد:المرجع السابق، ص 21؛ العزاوي: المرجع السابق، ص 403.

[2]- كانت هذه العملة رائجة في بلاد الخطا (الصين) ففكر أمراء كيخاتو خان تداولها في الايلخانية وهي عبارة عن قرطاس مختوم بخاتم الملك يتعامل به في جميع بلاد الخطا بدلا من الدراهم.أنظر: الهمذاني:تاريخ أبناء هولاكو،ص181؛ فهمي:المرجع السابق، ص 184

المسكوكات يضبطون العملات المخالفة ويكسرونها ويحملونها إلى دار الضرب ليعاد سكها كاملة العيار وعندما صار النقد متساويا في كل البلاد استراح الناس واخذ التجار يتعاملون بالنقود التي كانوا يدخرونها وحملوا البضائع إلى كل بلد[1].

ولم يقتصر اهتمام السلطان على السكة في التعامل التجاري بل شمل عدة نواحي أخرى منها أنه أمر بمنع التعامل بالحوالات (السفاتج) وقضى بألا يكتب الملوك وحكام الأقاليم حوالات بتاتا، كما اصدر أوامره بمنع إقراض المال بالربا والقضاء على التعامل بالربح الفاحش[2].

أما السلطان خدبنداه فإنه اتخذ هو الآخر جملة من الإجراءات في باب الإصلاحات النقدية فقد اهتم بالموارد المالية للدولة، وكانت النقود في عهده كانت منوعة ففي عام 704 هـ/1304م كانت تحمل الشهادة ومجال الضرب على مركز وجه العملة، كما كتب عليها أسماء الخلفاء الراشدين، ونظرا لتأثره بالمذهب الشيعي فإنه ضرب نقودا بأسماء الأئمة الإثني عشرية سنة 707 هـ/1307م وأمر بحذف أسماء الخلفاء الثلاثة الأوائل من السكة وجعل بدلها "أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه "[3].

ويعتبر عهد السلطان المغولي أبي سعيد بهادر خان(716- 736هـ/ 1316-1335م) العهد الأكثر تنوعا من حيث النقوش وزخرفة الأطر المحيطة والخطوط المركبة ويعتبر هذا السلطان أكثر السلاطين المغول ضربا للنقود، ونظرا لاعتناقه المذهب السني ترتب ظهور عبارة الشهادة إضافة إلى أسماء الخلفاء الراشدين الأربعة على نقوده[4].

1- العزاوي:المرجع السابق، ص431؛خيرية بنت محمد آل سنة:المرجع السابق، ص 254.

2- خيرية بنت محمد آل سنة:المرجع السابق، ص 254؛إسراء مهدي مزبان:"الأزمات الاقتصادية في العراق أثناء حكم المغول وسبل معالجتها"، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العراق، العدد 27، ص ص 129- 131.

3- إسراء مهدي مزبان، المرجع السابق، ص 131.

4- رانيا فوزي موسى عتوم:نقود إيلخانية من متحفي الآثار في عمان وأربد، رسالة ماجستير، إشراف أ.د عبد الجليل عمرو، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2001، ص 36.

الفصل الرابع:

الإسهامات العلمية والفنية

من أهم عوامل ازدهار الحياة العلمية والفكرية في إيران في العهد المغولي، أن السكان الأصليين كانوا أصحاب حضارة عريقة ولهم تراث فكري كبير وهم أهل ذكر وعلم، وهذا ما سهل مهمة الحكام المغول في تشجيع الحركة الفكرية، واستعانوابالعديد من العلماء الأجانب من الصينيين والأتراك والفرس ،وما إن استقرت الأوضاع حتى بدأت تلوح في الأفق بوادر حركة علمية وفنية.

أولا/ الإسهامات العلمية

1. العلوم العقلية:

1.1. الطب:

شجع حكام المغول الطب وتعرفوا على كل ما وصل إليه العلماء في هذا المجال في الصين الهند وكشمير وذاع صيت العديد من الأدوية، كما عرف المغول في هذا العهد التدواي بالأعشاب التي انتقلت بواسطة التجارة من البلدان المجاورة، وتميزت هذه الأدوية بارتفاع ثمنها وبرز العديد من الأطباء معظمهم من المسلمين، فمعروف أن أرغون خان استعان بطبيب يهودي في قصره وهو "**سعد الدولة الأبهري**"[1]، كما استعان أولجايتو بالطبيبين "**موفق الدين**" و"**جلال الدينبن الحران الموصلي**" ثم استعان بوزيره "**رشيد الدين الهمذاني**" الذي عني عناية فائقة بمجال الطب والتداوي بالأعشاب، وأنشأ من أجل ذلك ما عرف في تلك الفترة بدار الشفاء[2] وأوكل مهمة تسييرها إلى أحد أمهر الأطباء ويدعى "**محمد ابن النيلي**"[3]، كما كلف خمسين من مهرة الأطباء القادمين من ديار الهند والصين ومصر والشام وولايات أخرى لتسيير هذه الدار، وخصص لهم

[1]– الشيماء سيد كمال محمد:"السلطانية عاصمة المغول الإيلخانيين"، مجلة المؤرخ العربي، أكتوبر2016، ص 338.

[2]– دار الشافاء: بناها رشيد الدين وهي جزء من الربع الرشيدي، لتكون ملاذا للمرضى وكبار السن وأوقف لها الأوقاف وصارت بمثابة معهد يتلقى فيه الطلبة العلوم الطبية، بالإضافة إلى كونها استقبلت أمهر الاطباء من كل النواحي.أنظر: سرمد قسام محمد خميس: "المدينة الفاضلة في الفكر الإسلامي– الربع الرشيدي أنموذجا–"، مجلة ديالي للبحوث الإنسانية، كلية الإمام الأعظم، العدد93، 2022، ص 195.

[3]– محمد ابن النيلي: أحد أمهر أطباء زمانه يدعى جالينوس الزمان تولى شؤون دار الشفاء في الربع الرشيدي بتبريز ويصفه الهمذاني بقوله مولانا الفاضل الكامل قدوة الحكماء وزبدة الأطباء محمد بن النيلي جابنوس الزمان ومبرز جمهور الاوان يزيد في فنون علم المعقول على أفلاطون ويسبق أرسطو. أنظر: نفسه، ص212 (هامش 33).

إقامة في مكان يسمى "**محلة الأطباء**" وتقع خلف دار الشفاء، وخصهم بعناية فائقة من أجل تأدية واجبهم على أكمل وجه[1].

وعمل رشيد الدين على توفير كل مايلزم من أدوية وأعشاب لدار الشفاء وهو ما يظهر في مراسلاته إلى مدينة همذان، وبخاصة الرسالة رقم اثنين وأربعين من مكاتباته، وكذلك الرسالة الثامنة عشر التي كتبها إلى السيد "**علاء الدين هندو**"[2] فيما يتعلق بالأدوية بدار الشفاء بتبريز، والتي اشتملت على عدة زيوت منها برعم البنفسج، وزيوت برعم الورد، وزيت برعم الياسمين، وزيوت كافور وغيرها من الزيوت[3]، وفي رسالة أخرى أصدرها إلى ابنه "**الخواجة جلال الدين**" حاكم بلاد الروم عين له فيها أصنافا من الأدوية توجد هناك وطلب إليه أن يرسلها سنويا فيقول:" بخصوص ديار شفائنا التي أقمناها في ممالك إيران فهناك أدوية عديدة رومي نحتاجها ويجب عليك أن ترسل عاما بعد عام الوزن الذي ذكرته وتحمله على جمالك إلى دار السلطنة بتبريز وأيقن ان الإهمال والإفال في هذا الأمر لن يجوز لذا لا نريد الإطناب والسلام"[4].

كما أصدر هذا الوزير إلى الكحالين بتعليم خمسة من طلاب العلم حتى يتقنوا صنعة الكحلة وتطبيب العيون وذلك بمستشفى الربع الرشيدي، وحاول هذا الأخير تقريب أهل الاختصاص واصطحابهم معه في أوقات الصيد للبحث في الجبال والصحاري عن مختلف الأعشاب، واشتهرت العديد من أنواع الترياق وعددها أربعة وعشرون دواء ثم أضاف إليها ما عرف عنة بالترياق الغازاني نسبة إلى السلطان محمود غازان[5].

ويظهر حرص الوزير رشيد الدين على تطوير الخدمات الطبية من خلال العناية بها وماله علاقة بالتداوي من أطباء ومؤسسات وأدوية وغيرها، فكان يقيم المستشفيات ويعين عليها الأطباء ويمنحهم كل أسباب وظروف العمل الواجبة، كما كان يعمل على تشجيع الطلبة على دراسة الطب وجلب الأدوية من

---

[1]– الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص 435؛ سرمد قسام محمد خميس: المرجع السابق، ص195.

[2]– علاء الدين هندو: بن وجيه الدين زنكي بن عز الدين طاهر الفريومذي الوزير من بيت الوزارة والرياسة بلغت خرسان في عهدهم تطورا كبيرا بفضل سياستهم وخاصة علاء الدين الذي أعاد لخراسان رونقها وعزها وأحيا ما اندثر منها.انظر:ابن الفوطي: مجمعالآداب،ج2، ص 374.

[3]– الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص 435

[4]– الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص 436؛ سرمد قسام محمد خميس: المرجع السابق، ص 196.

[5]– الهمذاني: تاريخ غازان خان،ص208.

مختلف الجهات ويشدد في العناية بالمرضى، ولعبت ثروته الطائلة دورا كبيرا في تنفيذ مشروعه الطبي هذا ودعمه، فمثلا عرفت مدينة همدان إقامة مستشفى وصيدلية للعلاج خص بهاطبقة الضعفاء والفقراء وإعطائهم هذه الأولوية، وقام باختيار أحد الأطباء الكبار لإدارتها وهو "**ابن المهدي**" وعهد إليه بالإشراف على إدارة الأوقاف التي وقفها للإنفاق على المستشفى والصيدلية، وكلفه بأن يعنى بتركيب الأدوية والمعاجين ويفحص المرضى بدقة.

ومن الأعمال الهامة في العهد المغولي إعادة تجديد المستشفى الذي كان قد أقامه أتابكة فارس في شيراز بعد أن ظل معطلا مدة طويلة، وتم تعيين طبيبا ماهرا لإدارتها هو "**محمود بن إلياس الشيرازي**" وكان أحد الأطباء المشهورين الذين عرفوا بسعة الإطلاع وكثرة التجارب ألف"**اللطائف الرشيدية**" باسم رشيد الدين وكان مشتملا على أصناف اللطائف وموشحا بآلاف الظرائف وكذلك ألف كتاب "**طبقات الحكماء**" ويوجد مخطوطة منه في مدينة اسطنبول وله رسالة أخرى قصير عن "العلاج والتغذية" ألف أكثرها شعرا[1].

وعلى الرغم من اشتغال الوزير رشيد الدين بأعباء الإدارة والتسيير إلا أنه لم يهمل مهنة الطب وقد ساعد في ترجمة عديد الكتب من لغات أخرى إلى الفارسية والعربية ونذكر منها :

- طب أهل الخطا، وهو عبارة عن ترجمة قسم من الكتب الطبية والعلمية الصينية إلى اللغة الفارسة وتوجد نسخة خطية فريدة محفوظة بمكتبة آياصوفيا باسطمبول تحت رقم 3596، ويطلق رشيد الدين على هذا الكتاب اسم "تانكسوق نامه ايلخان در فنون علم ختائي"[2]، وتم تحرير هذا المخطوط في تبريز سنة 713هـ/ 1313موهو بخط محمد بن أحمد بن محمود المعروف **بقوام الكرماني**.
- الأدوية المفردة الخطائية التي يمكن أن تستخدم في إيران .
- الأدوية المفردة المغولية .

[1]- الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص ص 375، 376.

[2]-تانكسوق: وكلمة تانكسوق وتنكسوق وتنسق وتانسوخ وتنسوخ وتنسق وتنسخ أشكال مختلفة لكلمة مغولية دخلت اللغة الفارسية واستعملت بمعنى شيء نفيس وتحفة نادرة تقدم هدية للعظماء.أنظر:حيدر، سالم محمد المالكي:"مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين الهمذاني ودوره الإداري والسياسي"، مجلة الأستاذ للعلوم الانسانية والاجتماعية، مج60، العدد3، 2021، ص 258.

وهما كتابان مفقودان ولم يعثر عليهما وإنما ورد ذكرهما في الفهرست الجامع الذي كتبه رشيد الدين لجميع مؤلفاته في مقدمة المجموعة الرشيدية، ويوجد بين مؤلفات رشيد الدين بعض الموضوعات الطبية لم تلق أية ملاحظة نظرا لشهرة كتابه جامع التواريخ .

ومن المؤسسات الطبية هناك **دار شفاء مرجان في العهد الجلائري** وهي امتداد لما وصل إليه الطب في العهد المغولي حيث أن الحكام والأمراء ظلوا مهتمين بمجال الطب وعملوا على تطويره، ويعتبر العهد الجلائري استمرارا لحكم المغول ويعود الفضل في بناء دار الشفاء إلى مؤسسها الخواجة مرجان أحد ولاة بغداد في العهد الجلائري وهو مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن السلطاني الاولجايتي (نسبة إلى السلطان أولجايتو 704-716هـ/1307-1316م)[1] وهي مارستان وقد نص عليها في وقفيته التي نقرت على باب خانه الشمالي حيث قال:" وقفها على المدرسة المرجانية ودار الشفاء بباب الغربة وباب الغربة هو شارع المستنصر الواقع على شاطئ دجلة"[2].

1.2. الفلك والتنجيم:

كان التنجيم من أهم العلوم التي عرفها المغول وأولوها اهتماما بالغا منذ البدايات الأولى لقيام دولتهم، فعملوا دائما على الاعتماد على المنجمين واستشارتهم، وبمجرد أن استقرت أوضاع الدولة قام المغول بتشييد المراصد لتطوير هذا العلم وفي مقدمتهم هولاكو خان الذي عرف عنه شغفه بهذا المجال، واشتهر في علم الفلك وبصفة خاصة "**نصير الدين الطوسي**" من خلال المرصد الذي أنشأه في مراغة، و"**قطب الدين**" عالم شيراز الكبير المتوفى سنة 710هـ/ 1310م، وهو فلكي عظيم[3].

1.2.1. نصير الدين الطوسي ومرصد مراغة :

بداية يجب الإشارة إلى هذا العالم الفلكي الذي برز مع بداية الغزو المغولي لقلاع الإسماعيلية، هو الخواجة نصير الدين الطوسي محمد بن محمد بن الحسن الفيلسوف صاحب علوم الرياضة والرصد، من مواليد مدينة طوس سنة 597 هـ/1200م، كان ذا مكانة كبيرة عند هولاكو فكان يأخذ برأيه ويستشيره، بنى مرصدا

[1]- شعبان طرطور: المرجع السابق، ص 140.

[2]- الغياثي:تاريخ الدولة الإسلامية، تح: طارق نافع الحمداني، ط1، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2010 ص 95 (هامش6)؛ العزاوي: المرجع السابق، ص 94.

[3]- ف. بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص 91.

في مراغة وأذربيجان وكان به خزانة عظيمة مليئة بالكتب بلغ عددها أربعمائة ألف مجلد[1] وكان المنجم الخاص لهولاكو ووزيره وقد جعله على إدارة الأوقاف، ألف عدة كتب بالفارسية في مختلف العلوم كالمنطق وعلم الكلام والفلك وكذلك الفقه الشيعي، مات نصير الدين الطوسي في مدينة بغداد سنة 673هـ/1274م[2].

يمتاز الطوسي بكونه كاتبا خصب الإنتاج في مجالات شتى الدينية والفلسفية والرياضية والطبيعية والمسائل المتصلة بأحكام النجوم وقد وصل عددها إلى ما لا يقل عن ستة وخمسين مؤلفا من مؤلفاته وهي مكتوبة في أغلبها باللغة العربية كما كتب باللغة الفارسية وله وافر التأليف من الشعر ومن مؤلفاته:

-أخلاق ناصري وهو كتاب مشهور في علم الأخلاق .

- وبيست باب معرفت اصطرلاب أي عشرون بابا في معرفة الاصطرلاب .

-رسالة سي فصل : أي رسالة الفصول الثلاثين وتتضمن الحديث عن النجوم والتقويم السنوي.

-زيج إيلخاني : وهو الزيج الذي ألفه لهولاكو.

-تنسوق نامة إيلخاني : وهو عبارة عن رسالة في المعادن والأحجار الكريمة وكذلك ألف بالفارسيةمجموعة من الرسائل المتصلة بالفلسفة والنجوم والرياضة ورسائل عن أخلاق المتصوفة أسماها "وصاف الإشراف" ورسالة أخرى عن "علم الرمل"[3].

1.2.2. مرصد مراغة:

"هو دار الفقهاء والفلاسفة والأطباء بها من كتب بغداد شيء كثير وعليها أوقاف لخدامها "[4]هذا ما ذكره المقريزي في سلوكه عن هذا المرصد وهي كلمة جامعة شاملة ووافية حول هذا الصرح العلمي الذي ظهر في العهد الايلخاني، ويعود الفضل في بناء هذا الصرح العلمي إلى شخصيتين أساسيتين أولاهما هولاكو خان والثاني صاحب الفكرة وهو نصير الدين الطوسي، أما الأول فرغم ما تميز به من قسوة وغلظة وتعطش للدماء إلا أنه كان يميل إلى تشييد الأبنية وتشجيع العلماء والحكماء وحثهم على مواصلة البحث والدرس، إذ

[1]- الصفدي:المصدر السابق، ج3، ص 148؛ الكتبي:المصدر السابق مج3، ص 246- 247؛ الصياد:المغول، ص 325.

[2]- ابن العبري: المصدر السابق، ص 500؛براون:المرجع السابق، ص 616.

[3]- نفسه، ص ص 616 ، 617.

[4]- المقريزي:السلوك، ج1، ص 510.

كان يخصص لهم الرواتب ويغدق عليهم الهبات ويزين مجلسه بحضورهم، كما كان شغوفا بالحكمة والنجوم والكيمياء فلا غرو أنه كان ينفق بسخاء في سبيل تقدم هذه العلوم وأكبر دليل على ذلك أنه عهد إلى العالم الرياضي الفلكي نصير الدين الطوسي ببناء مرصد كبير في مدينة مراغة[1].

ففي يوم الرابع من جماد الأولى عام 657هـ/ 1259م تم وضع حجر الأساس لبناء مرصد فلكي كبير (رصد خانه) اهتم بتشييده نصير الدين الطوسي الذي استطاع أن يقنع هولاكو ببناء مرصد لتعقب حركة الكواكب والنجوم وكان اختيار أرضية مسطحة لهذا الغرض في الجزء الشمالي الغربي من مراغة بإقليم أذربيجان، وتم توفير الأموال اللازمة لبناء المرصد وشراء الآلات والتي كانت باهضة، التكلفة فاستطاع نصير الدين أن يتوصل لاتفاق مع هولاكو يمكنه من أن يخصص له جزء من أموال الأوقاف في دولته لشراء الأغراض من اسطرلاب وكور فلكية وإتمام البناء[2]، واختار الطوسي فريقه الذي ساعده في المرصد ومنهم بعض الفلكيين المشهورين وضمهم إليه ومنهم **مؤيد الدين عرضي الدمشقي**[3]، و**فخر الدين الأخلاطي**[4]،**وفخر الدين المراغي**[5].

---

[1]- الصياد: المغول، ص ص 324 ، 325؛ نوال ناظر محمود: "الحياة العلمية في مراغة في القرنين السابع والثامن"، لأرك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة بغداد، العدد2015،17، ص 414.

[2]- ابن كثير: المصدر السابق، ج17،ص387؛ المقريزي: السلوك،ج1، ص 510؛ كي لسرنج: المرجع السابق، ص199؛ سوزان، عابد:"الزيج الإيلخاني عندما تكتب النجوم والكواكب وجه آخر لتاريخ المغول الدموي"، مجلة العربي العدد734،يناير2020، الساعة 16:00 تم الإطلاع بتاريخ 15أكتوبر2022،متوفر على الرابط:
https://alarabi.nccal.gov.kw/Home/Article/16914

[3]- مؤيد الدين برمك بن المبارك الدمشقي العرضي (ت 664 هـ/1265م): كان عالما في الهندسة وآلات الرصد وقد استعمله نصير الدين الطوسي عند بنائه الرصد في مراغة سنة (657 هـ / 1259م).أنظر:محسن راشد طريم:"الحركة العلمية في مدينة مراغة في القرن السابع هجري"، مجلة جامعة ذي قار، مج8، العدد5، حزيران 2013،ص9.

4- فخر الدين أبو الفضل عبد العزيز بن عبد الجبار بن عمر الأخلاطي كان بارعا في علم الطب توفي بمراغة سنة 680/ 1281م.نفسه.

[5]- فخر الدين أبو ليث محمد بن عبد الملك أبي الحارث المراغي (ت667هـ/ 1269م): من بين الذين استدعاهم الطوسي للعمل بالمرصد وقال ابن الفوطي عنه :" كان عالما بعلوم الرصد والهندسة والأصول، كتب بخطه الكثير من الكتب الرياضية". أنظر: نفسه.

وغيرهم من أهل العلم[1].

كان أول ما أمر به هولاكو خان هو الزيج الذي يضم رصدا للنجوم والكواكب، وقياس زمان دورانها وتصحيح الأخطاء التي وردت فيما عرف من أزياج قديمة سابقة، وقد توفي هولاكو قبل أن يشهد نتاج هذا العمل، وتولى ابنه أباقا خان من بعده حكم الإيلخانية وحرص على استكمال ما بدأه والده، وراح يدعم المرصد ليستكمل نواقصه، وفي عام 663هـ/1265م خرج فريق العمل برئاسة الطوسي بهذا الزيج المعروف **بالزيج الإيلخاني**[2]، واستمر مرصد مراغة في العمل أكثر من نصف قرن واهتم الحكام والسلاطين به وبذلوا له أموالا طائلة إلى أن خرب وأصابه الدمار بعد وفاة السلطان محمد خدبندا ليصبح مرصد مراغة والزيج الإيلخاني شاهدا على صفحة مغايرة لتاريخ المغول الدموي.

1.2.3. مرصد تبريز:

تم إنشاء هذا المرصد في عهد السلطان محمود غازان الذي أولى اهتماما كبيرا بهذا المجال ووضع ما يعرف بالمرصد الفلكي الجديد وهو أحد الأبنية التي أنشئت في حياته حول مقبرته بمدينة تبريز[3]، ويؤكد تشييد هذا الصرح مدى اهتمام المغول بإقامة المراصد والعناية بهذا العلم.

وحدث في عام 699هـ/1298م أن نزل غازان خان مدينة مراغة وذهب في أحد الأيام لمعاينة المرصد وتفقد كل أعماله وآلاته بدقة، وسأل المختصين عن كل منها، وفهم دقائق كثيرة رغم صعوبتها وتعقيدها، وأمر بإقامة مرصد جديد آخر كما تم بناء بجانب القبة العالية بموضع"شام" يختص بعدة أعمال شرحها كلها بالتفصيل مما أوحى للحاضرين بمدى حكمة السلطان في إقامة المرصد الجديد[4].

ارتبط بهذا العلم العديد من العلماء في هذه الفترة ومن بينهم "**علي بن محمود الدامغاني**"(ت680 هـ/ 1281م) الذي عمل بالمرصد وممن نبغ في علم الرياضيات، كما برز "**محي الدين أبو الشكر يحيى بن**

---

[1]- الهمذاني: تاريخ هولاكو، مج1، ج1، ص 304؛ ابن العبري: المصدر السابق،ص 501.

[2]- الزيج الإيلخاني: كتاب ألفه نصير الدين الطوسي وهو أحد الكتب الهامة في الفلك والتنجيم.أنظر: الصياد:المغول، ص 325.

[3]- الهمذاني:تاريخ غازان خان، ص ص 208،209 .

[4]- صبري عبد اللطيف سليم: المجتمع المغولي في عصر الأباطرة العظام(من جنكيزخان إلى قوبلاي خان) 603-639هـ، رسالة ماجستير، إشراف أحمد جاب الله شلبي، جامعة القاهرة، 1989، ص 248.

محمد بن أبي الشكر التونسي المغربي"(ت 682 هـ/1283م)[1] الذي قدم إلى مراغة وكان بارعا في علم الهندسة والحساب، وعالما بالأرصاد ومعرفة الأبعاد وتقويم الكواكب، كما برز في علم النجوم بمراغة "**فخر الدين أبو الحسن علي بن تاج الدين الحسين بن علي الدامغاني**"(ت686هـ/1287م) اشتهر بعلم النجوم فضلا عن كونه شاعرا باللغتين العربية والفارسية، سكن مراغة وتوفي فيها سنة 686 هـ/1287م.

2. العلوم النقلية:

2.1. العلوم الدينية الإسلامية:

نالت العلوم الدينية اهتماما من طرف العلماء خاصة بعد التشجيع الذي لقيه هؤلاء من طرف سلاطين المغول المسلمين ونتيجة لهذا ظهرت المراكز العلمية وتعددت المساجد والزوايا في تلك الفترة، وقد مر معنا في بداية الفصل الاهتمام الذي أبداه حكام المغول بالمنشآت الدينية، وقد شهدت هذه الفترة رواج كتب الحديث واشتهر العديد من علماء الدين الذين بدورهم تركوا بصمة من خلال ما ألفوه من مؤلفات دينية قيمة .

2.1.1. القرآن الكريم:

أحاط حكام المغول بالقرآن الكريم عناية كبيرة تلاوة وسماعا وعرف عن سلاطينهم عنايتهم بكتاب الله ويعد السلطان محمد خدبندا أحد حكام المغول الذي أولاه اهتماما خاصا، ويظهر ذلك في النسخة الفريدة من نوعها التي نسبت إليه والمعروفة برَبعات أوجايتو، وعن هذه الرَبعات فهو مصحف مقسم إلى ثلاثين جزءا مستقلا كل منها منفصل عن الآخر، وكان القراء يتقاسمونها فيما بينهم ليقرؤوا القرآن كله معا ثم يجمعها بعد ذلك صندوق[2].

وبرز عدد من العلماء الذين ساهموا في دراسة القرآن الكريم وعلومه في هذا العهد ومن بينهم "**نور الدين أبوطالب عبد الرحمن بن عمر بن أبي القاسم بن علي البصري**"الضرير الفقيه (ت684هـ/1286م)

[1]- محمد بن أبي الشكر التونسي المغربي:يذكر أنه كان في حاشية الملك الناصر وأبقاه هولاكو لديه بعد أن صرح قائلا "بأني رجل منجم وأعرف بحركات الكواكب" فلما عرض الأمر على هولاكو أبقى على حياته حيث يقول في ذلك "وأنا صرت في خدمة خواجة نصير الدين الطوسي في الرصد بمراغة".أنظر:ابن الفوطي: مجمع الأدباء، مج5، ص117؛ابن العبري: المصدر السابق، ص490؛ يوسف،الهادي: "هل كتب نصير الدين الطوسي (ذيل تاريخ جهنكاشاي)؟"، مجلة الخزانة، العدد الثالث، السنة الثانية، مركز إحياء التراث، 2018، ص 238.

[2]- ثروة عكاشة:موسوعة التصوير الإسلامي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 2001، ص 129.

البغدادي الحنبلي الواعظ صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم من التفسير والحديث والفقه والوعظ والزهد والتاريخ، وله كتاب "جامع العلوم في تفسير كتاب الله الحي القيوم" في الفقه في مجلدين[1].

أما "**برهان الدين محمد بن محمد المشهور بالبرهان النسفي**" (ت687 هـ / 1289م) الذي عرف بشيخ الفلسفة ببغداد، وكان إماما فاضلا مفسرا ومحدثا، لخص كتاب "تفسيرالأحلام" للإمام فخر الدين الرازي وأجاز للحافظ أبي القاسم البرزالي[2]، وممن برز في هذا العهد "**نجيب الدين يحيى بن أحمد بن يحيى بن سعيد الهذلي**"(ت 689هـ 1291م) الإمام العلامة الورع، كان جامعا لفنون العلم الأدبية والفقهية والأصولية، صنف كتاب :" المدخل في أصول الفقه" و"نزهة الناظر في الجمع بين الأشباه والنظائر "[3]

كما اشتهر عدد من مفسري القرآن ومن بينهم "**عز الدين محمد بن عبد الله بن أبي المسعود البصري**" (ت 672هـ/1274م) الذي استدعي سنة 658هـ/ 1260م من البصرة للتدريس بنظامية بغداد إذ كان ملما بالمذاهب والأصول، و"**محب الدين مصدق أبو الفتح أحمد بن محمد بن أبي الفتح**" المعروف بمصدق البغدادي المحدث المقرئ (ت677هـ / 1279م) من فقهاء المستنصرية وكان عالما بالتفسير أيضا[4].

ومن بين الأمثلة كذلك في هذه الفترة العالم"**حافظ الدين أبو البركات عبد الله أحمد بم محمود النسفي**" (ت710هـ/1310م) صاحب "**تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل**"، وكتاب منار الأنوار في أصول الفقه وهو كتاب جامع، وكتاب "**كنز الدقائق**" وغيرها، و"**أبا سعيد عبد الله بن عمر ابن محمد بن علي البيضاوي**" (ت716هـ/1316م) واضع تفسير "**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**"، وقد كان الإمام النسفي حنفي المذهب واشتهر كعالم دين وعمل مدرسا بمدرسة القطبية السلطانية بكرمان ومات ودفن في خوزستان وتب كذلك كتابا عنوانه "**الوافي من الفروع**" خاص بعلوم الفقه وكذلك كتاب"**اعتماد الاعتقاد**"[5].

---

[1]- ابن العماد الحنبلي:المصدر السابق، ج 7، ص 675.

[2]- محيي الدين أبو الوفا القرشي:الجواهر المضنية في طبقات الحنفية، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، ج3، ط2، دار هجر للطباعة والنشر، 1993، ص 351.

[3]- عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج4،ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993، ص 87.

[4]- خالد كربي:الحياة العلمية في العراق بعد الغزو المغولي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، المدرسة العليا بوزريعة- الجزائر، 2020، ص 137.

[5]- الدورابي:المرجع السابق، ص327.

وتدل وفرة المؤلفات الدينية ومنتجات الشعراء المتصوفة على تقدم العلوم الدينية، حيث ألف الوزير رشيد الدين مؤلفات دينية كثيرة منها أربع مؤلفات توجد في مجلد واحد أطلق عليه اسم **المجموعة الرشيدية** وهي :**كتاب التوضيحات** الذي كتبه المؤلف وضمنه ديباجة وتسعة عشرة رسالة كلها في تفسير الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كما عالج مسائل دينية هامة مثل أمية الرسول علية الصلاة والسلام وحادثة المعراج ،و**كتاب مفتاح التفاسير** ويشتمل على ثماني رسائل في بلاغة القرآن الإلهية ومفسريه ومسائل عديدة كالجزاء والعقاب وإطالة العمر والجبر والقدر،كذلك نجد **الرسالة السلطانية** وبدأ تأليفه في رمضان سنة 709هـ/1309م على اثر اجتماعه بالسلطان خدبندا[1]، وتناول فيها المؤلف الكلام عن الأنبياء والرسل والخلفاء وأهل الجنة وأهل النار، وأخيرا **كتاب بيان الحقائق** فهو يشتمل على موضوعات علمية إلى جانب الموضوعات الكلامية وتفسير بعض آيات القرآن الكريم وهذا الكتاب لم يصل إلينا وكان يتكون من سبع عشرة رسالة مرتبة على النحو التالي :

الرسالة الأولى : سؤال وجهه السلطان أولجايتو إلى المؤلف.

الرسالة الثانية : نصيحة نصح بها هذا السلطان .

الرسالة الثالثة : مسائل أثارها علماء آخرون .

الرسالة الرابعة : تفسير آية ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ...

الرسالة الخامسة : تفسير آية ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم...

الرسالة السادسة : تفسير سورة إنا أنزلناه...

الرسالة السابعة : في بيان حقيقة الألوان مع تفسير آية الله نور السموات والأرض .

الرسالة التاسعة : في بيان فوائد زيارة المشاهد والمقابر والعظماء من رجالات الإسلام

الرسالة العاشرة : في نصيحة الإخوان.

الرسالة الحادية عشرة : في تحقيق سبب الجدري والاعتراضات على ما قاله الأطباء .

الرسالة الثانية عشرة : في بيان حقيقة الحرارة وأنواعها .

الرسالة الثالثة عشرة : ذيل نفايس الأفكار في بيان دوام الخلود في الجنة والنار[2].

[1]- حيدر سالم محمد المالكي: المرجع السابق، ص ص 258، 259.

[2]- الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص ص 277 ، 278.

الرسالة الرابعة عشرة : في بيان الخرقة ومناسبة نسبتها إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

الرسالة الخامسة عشرة : في شرح الخبر النبوي " أنا مدينة العلم وعلى بابها"

الرسالة السادسة عشرة : في شرح المعقول والمنقول.

الرسالة السابعة عشرة : الناسخ والمنسوخ[1].

2.2. التاريخ:

يمكن القول بأن المغول لم يملكوا الثقافة التي تحثهم على كتابة تاريخهم، ولولا جنكيزخان الذي وضع قانون الياسا لما ظهر أي تدوين لهم بشكل عام للتاريخ المغولي[2]، ويعود الفضل إلى هولاكو الذي عرفت معه الدولة المغولية تطورا فكريا واهتماما بالعلوم، ومن هنا بدأ التأريخ يحتل مكانة مهمة لدى المغول، وقد عملوا على تدوين كل أخبار الأمم، ولهم الفضل في إصدار أحد أكبر المؤلفات الفارسية المهمة في التاريخ[3] ومن الأسباب التي أدت إلى ازدهار علم التاريخ في العهد المغولي :

– الأحداث التي صاحبت الغزو المغولي وما نتج عنه من تغير للخارطة السياسية بذهاب وأفول دول وعروش وتقتيل الآلاف من السكان ودمار أمهات المدن قد جلب أنظار المؤرخين وشجعهم على كتابة وتأريخ تلك الفترة فكانت هذه الأحداث بمثابة حافز للمؤرخين وأهل التاريخ لتأريخ تلك الوقائع التي لم يسبق لها مثيل.

– سقوط الممالك الإسلامية وغير الإسلامية على يد جحافل المغول ودخول الكثير منها تحت سلطان المغول كان عاملا على توسيع الأفق البشري ومساعدا على اختلاط الأقوام المختلفة، وقد شجع هذا على الكتابة في تاريخ تلك الأمم وأثار الرغبة في التأليف في التاريخ العام للاعتبار بأحوال الدول وما آلت إليه .

– تشجيع الإيلخانيين لهذا الفن بصفة خاصة وميلهم إلى إحياء آثار آبائهم وأجدادهم وتذكير الحاليين بالجهود التي بذلها أسلافهم في سبيل تأسيس إمبراطوريتهم[4]، فيكون هذا حافزا لإشعال حماستهم ودافعا

[1]– الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص ص 277 ، 278.

[2]– اعتاد المغول على كتابة أقوال ملوكهم وتعليقها بعد موتهم ولكنهم لم يكونوا أحرارا في كتابة كل ما قاله هؤلاء فكانوا يدونون ما أجازه الخان وهذا القسم من أحاديث المغول كان يقدره رعاياهم ويوقرونه وكانوا يطلقون عليه كلمة (بيليك) وتعني الحكمة ، وقد جمعت حكم جنكيز خان وصارت مرجعا لجميع طوائف المغول.أنظر:الصياد : المغول، ص 350 .

[3]– ف.بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص 96.

[4]– الصياد:مؤرخ المغول الكبير، ص ص221، 222.

للمحافظة على كيانهم هذا بالإضافة إلى أنهم كانوا يتوقون إلى الوقوف على أحوال الممالك التي كانت تحت حكمهم، وهناك عدد من المؤرخين النابهين الذين ظهروا في هذه الفترة وهي تعد مصادر أساسية كان لها الفضل في تعريفنا بأحداث تلك الحقبة.

2.2.1. رشيد الدين فضل الله الهمذاني(ت718هـ/1318م):

فضل الله الهمذاني بن أبي الخير الطبيب أبو الفضل الهمذاني عظيم دولة غازان هكذا وصفه صاحب المنهل الصافي[1]، و يعتبر هذا الوزير من أبرز رجالات الدولة المغولية لما له من دور في عديد المجالات حيث جمع بين الطب والتاريخ والأدب وغيرها، فهو في بداية أمره زاول مهنة الطب في بلاط أباقا خان ثم تولى الوزارة في عهد كل من غازان خان وأولجايتو خان[2]، وكان مرافقا لغازان خان في حملته على بلاد الشام بصفته وزيرا يشرف على تحرير المنشورات والفرامانات باللغة العربية، كما كلفه بكتابة جميع ما ينبغي كتابته باللغة العربية لعلمه بها، ويذكر رشيد الدين أن السلطان أولجايتو قد كلفه بتفسير بعض آيات القرآن الكريم، وكان رشيد الدين منذ شبابه يميل إلى التأمل في العقائد الدينية والتعمق فيها، لذلك اشتغل بتفسير القرآن الكريم ومعالجة المسائل الخاصة بالأخلاق والمتفيزيقيا هذا بالإضافة إلى اشتغاله بالتأليف في الطب والاقتصاد والتاريخ.

ترك لنا رشيد الدين مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم والمعارف وكان قد كتبها باللغة العربية والفارسية وجمعها في مجلد ضخم أطلق عليه اسم "جامع التصانيف الرشيدي" ويعد مؤلفه "جامع التواريخ" من أهم أنتجه هذا الوزير ويعد واحدا من أهم المصادر التاريخية التي تتناول تاريخ المغول بصفته شاهد عيان على عصرهم، ويعلق المؤرخ الروسي بارتولود أن جامع التواريخ يشغل مكانة ممتازة في الأدب العالمي وذلك من خلال اتساع دائرة معارفه ومعلوماته[3]، كما له كتاب في " الآثار والأحياء" الذي يبحث في الاقتصاد الزراعي، ومؤلف "طب أهل الخطا" وهو من الكتب الطبية والعلمية التي قام بترجمتها إلى اللغة العربية والفارسية[1].

---

[1]- ابن تغري بردي:الدليل الشافي على المنهل الصافي، تح: فهيم محمد شلتوت،ج1، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1998ص 521.

[2]- كرافولسكي دوروتيا : العرب وإيران، دار المنتخب العربي، بيروت، 1993، ص 216 .

[3]- ف.بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص 96.

[1]- الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص 373-378.

2.2.2. علاء الدين عطا ملك الجويني :

ولد علاء الدين عطا ملك الجويني في 10ربيع الاول 623 هـ/ 1226م في قصبة آزادوار وما إن بلغ العشرين من عمره حتى التحق بخدمة الأمير المغولي أرغون (وهو غير الايلخان ارغون حفيد هولاكو)، وقد صحب عطا ملك هذا الأمير عدة مرات، ويذكرها هو في كتابه أنها خمس مرات أو أكثر كان معه في أغلبها[1]، هذه الزيارات المتكررة إلى قراقورم هي أعطت للجويني فكرة تأليف تاريخه الكبير وسجل فيه تاريخ المغول وفتوحاتهم ورسومهم، وقد بدأ تأليفه سنة 650هـ/1253م وانتهى منه سنة 658هـ/1260م حيث دخل الجويني في خدمة هولاكو منذ بداية زحفه على فارس وبقي يمارس أعماله الإدارية حتى آخر أيامه.

يعتبر مؤلف تاريخ جهان كشاي من المؤلفات الخاصة التي كتبت عن دولة بعينها والكتاب يشتمل على ثلاثة أجزاء أو مجلدات :الأول منها يتحدث عن أصل المغول وفتوحات جنكيزخان، والثاني عن ملوك خوارزم المعروفين باسم خوارزمشاه والثالث عن الحشاشين أوالإسماعيلية في ألموت وقهستان ومحاربة هولاكوخان لهم[2].

2.2.3. منهاج السراج المعروف بالجوزجاني :

اسمه كما جاء في كتابه أبو عمر منهاج الدين عثمان المعروف بالقاضي السراج الجوزجاني نسبة إلى جوزجان[3]، وهو العلامة الإمام شيخ الإسلام قاضي القضاة إمام الأئمة الشاعر والأديب السياسي المجاهد ضد المغول شيخ مدرسة فيروزي والمدرسة الناصرية بالهند ورئيسهما سليل أسرة عريقة عرفت بالفصاحة والبلاغة والبيان ولد عام 589م حسبما ذكر في كتابه "وكنت في الثامنة عشر عمري في شهور سبع وستمائة..."[4]، ووالده الفقيه والعالم سراج الدين محمد التحق بخدمة الغوريين وحدث أن أرسل في سفارة أثناء غارات المغول فكان يتنقل من مكان إلى آخر أمام هجماتهم وأخيرا هاجر إلى الهند حيث لجأ إلى حماية السلطان ناصر الدين قباجة من المماليك الغوريين وعين مدرسا من قبله، كما نصب قاضيا لجيش وفي عام 625م تغلب شمس الدين ألتتمش على ناصر الدين قباجة فالتحق القاضي منهاج السراج بخدمة شمس الدين هذا وصحبه إلى

[1]- الجويني:المصدر السابق، ص ص 14 ، 15.

[2]- براون:المرجع السابق، ص600 .

[3]- جوزجان : ويقال جوزجان كورة واسعة من كور بلخ . أنظر : الحموي: المصدر السابق، ج3، ص 182.

[4]- الجوزجاني: المصدر السابق، ص 35.

دهلي أثناء استيلائه عليها وبقي ملازما لشمس الدين وابنه ناصر الدين محمود شاه توفي الجوزجاني في سنة 698هـ /1300[1].

ألف الجوزجاني كتابه "طبقات ناصري باسم السلطان ناصر الدين محمود شاه في الفترة ما بين 657-658هـ ويحتوي على ثلاثة وعشرين قسما يطلق على كل قسم "طبقة" ويختص كل قسم بذكر طبقة من الأنبياء والشيوخ والخلفاء وسلاطين لهند... وهكذا إلى أن يختتمه بالطبقة الثالثة والعشرين في وقائع الإسلام وخروج الكفار أي المغول، ورغم أن الجوزجاني تحدث عن هجوم المغول أثناء حديثه على ملوك الخوارزميين وسلاطين الهند فإن القسم الثالث والعشرين قد خصصه للتحدث عن المغول في وقت خروجهم حتى سقوط بغداد.

ويمتاز كتب طبقات ناصري بسلاسة أسلوبه ومتانة عباراته، ويعد من أوثق المصادر في تاريخ المغول، فقد شاهد غاراتهم بنفسه وساق عنهم قصصا هامة ومن حيث الزمن يعتبر كذلك من أقدم كتب التاريخ الفارسي في هذا العصر، هذا فضلا عن أهميته الكبيرة فيما يتعلق بدراسة تاريخ الغوريين وملوك الهند، فقد كان ملتحقا بخدمة هؤلاء الملوك واستطاع أن يصف الحوادث التي وقعت في أفغانستان والهند بشيء من التفصيل[2].

2.2.4. شرف الدين عبد الله بن فضل الله الشيرازي(الملقب بوصاف الحضرة):

الأديب شرف الدين عبد الله بن فضل الله الشيرازي الشاعر الكاتب الملقب بوصاف الحضرة ولد في شيراز عام 663هـ/1266م واشتغل بتحصيل الأدب والعلم، وتبحر في دراسة اللغة العربية وآدابها التحق بخدمة الديوان في شيراز وبالتدريج صار من خواص صدر الدين أحمد الخالدي الزنجاني[3] نائب الأمير "طغاجار" في فارس، شرع الوصاف في تأليف كتابه عام 699هـ/1301م، وعرض القسم الأول من تاريخه على السلطان محمود غازان عام 702هـ، وأما القسم الآخر فقد عرضه على السلطان أولجايتو في مدينة السلطانية عام

[1]- الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص 226.

[2]- نفسه، ص ص226، 227.

[3]- صدر الدين أحمد الخالدي الزنجاني: المعروف بصدر جهان أي صدر العالم تولى الوزارة في عهد كيخاتو خان ومنحه سلطات واسعة ومطلقة، وشهد عهد غازان خان وكان ضحية التنافس على المناصب ،قتل سنة 697هـ/1298م.أنظر: طقوش: تاريخ المغول العظام والإيلخانيين،ص ص 256-273.

712هـ/1312م ويبلغ مجموع هذين القسمين أربعة أجزاء أما الجزء الخامس والأخير من هذا المؤلف فقد كتبه الوصاف متأخرا وفيه يستمر في التحدث عن أسرة هولاكو حتى سنة 728هـ/1328م[1].

وأطلق الوصاف على كتابه اسم "تجزية الأمصار وتزجية الأعصار" ولكنه اشتهر باسم "تاريخ وصاف" والكتاب عبارة عن ذيل لتاريخ جهانكشاي كما صرح المؤلف بذلك[2].

3. الحركة الأدبية:

ازدهرت الحركة الأدبية وعلوم اللغة العربية بكافة فروعها كالشعر والنثر والكتابة وغيرها، ومدينة مراغة كانت من أهم المدن التي نالت السبق في هذا المجال، ووفد الأدباء اللغويون إلى عليها من مختلف المدن الإسلامية. ونظرا للتشجيع الذي لقيه العلماء في هذه الفترة فقد ضاعفوا من إنتاجهم وكانت اللغة الفارسية وآدابها من بين ما انتشر في هذه المرحلة[3].

3.1. الشعر:

الملاحظ أن فروع الشعر كانت تتفاوت في تلك الفترة من حيث الازدهار فمثلا نجد أن فن المدح والقصائد قد فقد محبيه المهتمين به خاصة الخلفاء والأمراء والوزراء الذين كانوا يهتمون بهذا الصنف من الشعر ويتلذذون به، فالمغول لم يكونوا من المهتمين بهذا النوع الذي يقوم على التملق والتزلف في أغلب الأحوال، لذا انصرف الشعراء عن المدح والقصائد وضعفت مرتبته، بينما نجد أن شعر التصوف نما وازدهر في هذه الحقبة وشمل أروع المعاني وأجملها في الشعر، ولا يمكن الجزم بأن هذا الصنف انتشر لميل المغول له لكنه راجع إلى ظلم المغول وجورهم وكثرة المحن مما ولد روح اليأس والقنوط فدفع بذوي النفوس المرهفة منهم إلى العالم الروحي والرغبة في الحياة المعنوية والتأملات الباطنية والرياضة الصوفية تسلية لخواطرهم ومواساة لها[4].

وشهد العصر المغولي شعراء مشهورين نذكر منهم "**جلال الدين الرومي**" (ت 672هـ/1274م) أحد رواد الشعر الصوفي كما أنه صاحب الطريقة الملوية، حيث نشأ هذا الأخير نشأة دينية وعلى الرغم من إنتاجه

1- الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص 227؛ العزاوي: المرجع السابق،ص ص 16،17.

2- الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص ص 232 ، 233.

3- محسن راشد طريم:المرجع السابق، ص5؛نوال ناظم محمود: المرجع السابق، ص 412.

4-الصياد:مؤرخ المغول الكبير، ص 220

باللغة الفارسية لكنه كان متقننا للغة العربية، ومن أبرز أعماله في هذا المجال كتابه النثري "**فيه ما فيه**" الذيألفه بالفارسية وتشتمل على ثلاثمائة بيت وقد أهداها إلى شخص اسمه معين الدين المعروف بلقب "براونه"[1] حاكم الروم كتابه الشعري "**المثنوي المعنوي**" حيث يشمل ستة كتب تتضمن في مجموعها ستة وعشرون ألفا وستمائة وستون بيتا من الشعر وهناك ديوان الأشعار الغنائي أو الغزلي أو الغنائي المعروف "بديوان شمس تبريز"[2].

وكان الشاعر المعروف **الشيرازي** (ت 691هـ/1292م) من أشهر الشعراء الفرس، مشرف الدين بن مصلح الدين عبد الله، ولد في مدينة شيراز سنة 580 هـ/1184م ومات وقد جاوز المائة عام من عمره ، وكان على اطلاع واسع باللغة العربية والعلوم الإسلامية درس المدرسة النظامية ببغداد.

3.1.1. شعراء العهد الجلائري :

من ميزات هذا العصر أن شعراء العصر الجلائري لم يخرجوا عمن سبقهم فيما يخص الموضوعات أو الفنون الشعرية، وقد وصلت الصنعة الشعرية إلى ذروتها على يد "**سلمان الساوجي**" كما ساعد اتخاذ بغداد عاصمة للجلائريين على دخول كلمات باللغة العربية وهي كثيرة في أشعار الجلائريين ومن بين الشعراء النابهين نجد:

أ. **سلمان الساوجي (709–778هـ/ 1309– 1376م)**:ولد في مدينة ساوه[3] والتحق في شبابه بخدمة الوزير غياث الدين ودلشاد خاتون زوجة السلطان أبي سعيد ثم دخل في خدمة السلطان حسن برزك واستمر في خدمة الجلائريين إلى وفاته سنة778هـ/ 1376م وترك ديوانا ضخما يحتوي على قصائد وغزليات ورباعيات ومقطعيات وترجيعات وثلاث مثنويات وهي حمشيد خورشيد ، وفراقنامه ، وساقي نامه[1] .

---

[1]– معين الدين: سليمان بن علي بن محمد بن الحسن الصاحب معين الدين يلقب بالبروانه ينتسب إلى أسرة فارسية وهو ابن الوزير مهذب الدين علي الديلمي، دخل في خدمة السلاجقة وترقى في المناصب حتى وصل إلى اعلى المراتب بفضل دهائه وشجاعته. أنظر: النويري: المصدر السابق، ج27، ص77.

[2]– براون: المرجع السابق، ص ص 657 - 659.

[3]– ساوه: مدينة حسنة بين الري وهمدان. أنظر : الحموي:المصدر السابق، مج3، ص 179.

[1]– شعبان طرطور:المرجع السابق، ص 103.

ب. عبيد الزاكاني: الخواجه نظام الدين أو مجد الدين عبيد الله الزاكاني القزويني شاعر وكاتب إيراني مشهور في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر ميلادي، ولد في قزوين، وتنقل بين شيراز وبغداد ومدح أبا إسحاق والشاه شجاع والسلطان أويس، اتصل بشعراء عصره ومن بينهم "سلمان الساوجي"،ومن مؤلفاته أخلاق الأشراف أنشأها سنة 740هـ/1339م جعلها في مقدمة وسبعة أبواب في الحكمة والصفة والشجاعة والعدالة والسخاء والحلم والوفاء، كما ترك كذلك "**عشاقنامه**" وهي مثنوية في العشق وهي من المنظوماتالتي راجت في هذا العصر حيث قلدها سلمان الساوجي في منظومة "**فراقنامه**" وله كذلك نوادر الأمثال وغيرها من الأعمال[1].

حبست بجفني المدامع لا تجري فلما طغى الماء استطال على السكر

نسيم صبا بغداد بعد خرابهـا تمنيت لو كان تمر على قبري[2].

4. المؤسسات التعليمية :

4.1. الكتاتيب:

تعرضت هذه المؤسسة إلى الغزو المغولي كباقي المؤسسات والمنشآت وشملها خطر الدمار والإغلاق غير، أننا نجدها عادت إلى نشاطها بعد استقرار الأوضاع وإن لم يكن كما في العهد السابق، إلا أن هناك إشارات على وجود هذه المؤسسة خاصة بعد عودة المساجد التي ترتبط بها هذه الكتاتيب، فقد ورد أن الشيخ "**عبد الصمد بن احمد بن عبد القادر بن أبي الجيش**"، **أبو أحمد البغداداي الحنبلي** (ت676هـ/1278م) كان يشرف على تدريس الأيتام بمسجد قمرية الذي بناه الخليفة المستنصر بالله، وأن "**موفق الدين عبد اللطيف المعروف بابن قديد النحاسي البغدادي**" المقرئ المحدث (ت687هـ/1289م) وكان شيخا دائم التلاوة، حسن المعرفة بالتفسير قد عين لتلقين الصبيان بمسجد قمرية، كما ورد اسم منتخب الدين المعروف بابن باقي التكريتي المقرئ الذي استوطن بغداد العالم بالقراءات وطرقها والإمام بمسجد المنارة المجاورة بخان السلسلة بسوق الثلاثاء وتصّدر هناك لإقراء الناس، وختم عليه جماعة من الصبيان والرجال.

[1]- شعبان طرطور:المرجع السابق، ص 119.

[2]-براون: المرجع السابق، ص 659.

وتعددت الأماكن الخاصة بتعليم القرآن والحديث والأحكام الشرعية والشعر والخط، وكان ببغداد خلال هذه الفترة نوع آخر من التعليم يرتبط بالأكابر والأمراء وأولاد الخاصة، والقائم بهذه المهمة يسمى "**مؤدبا**"،وقد أوكل صاحب ديوان العراق ابنه **مظفر الدين علي بن علاء الدين الجويني** إلى كل من الشيخ "**جمال الدين ياقوت المستعصمي**" الذي تعلم على يديه الكتابة واشتغل وتأدب على "**رشيد الدين الرازي**"، وسمع مقامات الحريري، وكان"**قطب الدين سنجر بن عبد الله عتيق جمال الدين حسين ابن إياز**" النحوي الأديب (ت695هـ/1296م) قد اشتغل بتعليم أولاد الصاحب "**مجد الدين إسماعيل الكتبي**"، وأن "**عفيف أحمد بن إسماعيل ابن يعقوب الأربيلي**" الأديب رآه ابن الفوطي سنة 689هـ/1291م ببغداد يعلم أولاد الأكابر، وأن جمال الدين ياقوت المستعصمي كان يكتب عليه أبناء الأكابر.

دار قراءة القرآن الكريم:

شيدها الوزير رشيد الدين وهي تابعة إلى الربع الرشيدي وأطلق عليها زاوية الحفاظ وأسكنها مائتي عالم متخصص في القراءات وممن اشتهروا بالبراعة والتفوق في الحفظ فكانوا يقرؤون بالسبع والعشر، وقد جاء بهم من مناطق مختلفة مثل واسط والبصرة والكوفة والشام، وألزمهم بتلاوة القرآن حتى وقت الضحى وألحق بهم أربعين من الطلبة بغية تعليمهم القراءات السبع، ثم التحق بهذه الدار قراء آخرون من تبريز وخوارزم، فألزمهم الوزير رشيد الدين بتلاوة القرآن من وقت الضحى حتى الزوال، وقد حدد لهؤلاء مخصصات مالية فمثلا كانت مخصصات أهل اليمن من حاصل أوقاف شيراز، وأهل الشام من حاصل أوقاف بلاد الروم وأصبحوا مشهورين[1].

4.2. المدارس:

4.2.1. المدرسة العصمتية :

شيدت هذه المدرسة بأمر من زوجة صاحب الديوان علاء الدين عطا ملك الجويني المعروفة "**بعصمة الدين**"، بالقرب من مشهد عبيد الله ظاهر بغداد وسميت بالعصمتية، وبنت إلى جانبها مقبرة لها ورباطا للمتصوفة والزهاد وفتحت هذه المدرسة في سنة 671 هـ/ 1273م[1]، وعين عليها القاضي"**عز الدين أبوالعز**

[1]- سرمد قاسم: المرجع السابق، ص 197.

[1]- العزاوي: المرجع السابق، ص 306؛ ابن الفوطي: الحوادث الجامعة،ص ص 408، 409؛ ابن الفوطي: مجمع الآداب، ج1، ص 440(هامش2).

محمدبن جعفر البصري" مدرسا للمذهب الشافعي، و"**عفيف الدين ربيع بن محمد**"[1]الكوفي مدرسا للحنفية، والفقيه "**شرف الدين داود الجيلي**" للمذهب الحنبلي[2]، و"**مجد الدين**" المعرف بشقير الواعظ مدرسا للمالكية.

4.2.2. مدرسة المرصد(657-659هـ/1258-1260م):

من المدارس المشهورة في العهد المغولي، أسست في مدينة مراغة خلال فترة حكم هولاكو خان، ويعود الفضل في إنشائها إلى نصير الدين الطوسي، وشملت هذه المدرسة المكتبة وهي جمع مما بقي من مكتبة بغداد[3]، وتعتبر هذه المدرسة من أهم مدارس العصر المغولي حيث توافد عليها طلاب العلم وتخرج منها العديد من الطلبة في علم الفلك والطب والفقه والحديث والفلسفة والهندسة، وكان ابن الفوطي أمينا على خزانة هذه المدرسة، وهناك إشارات على أن نصير الدين الطوسي قد فرض لكلمن طلابالفلسفة ثلاث دراهم تصرف لهم يوميا، ولطلاب الطب درهمين يوميا، ولطلاب الفقه درهما واحدا، ولطلاب الحديث نصف درهم تشجيعا لهم[4] ومن بين المدارس التي اشتهرت أيضا

* **مدرسة ابن القاضي دقوقا:** تم إنشاؤها على دجلة بباب الأزج من الجانب الشرقي، وهي مدرسة للحنفية أتم بناءها بهاء الدين عبد الوهاب المعروف بابن القاضي دقوقا التغلبي (688هـ/ 1289م) و قد دفن فيها وكان أخوه فخر الدين التغلبي بدأ بإنشائها سنة 664هـ/ 1266م[1].

---

[1]- عفيف الدين أبو محمد ربيع بن محمد بن أبي منصور : الكوفي القاضي الحنفي، كان من القضاة العلماء الأدباء ولي التدريس بالمعصمتية وكان أديبا فاضلا، عالما بالكلام والأصول.أنظر:ابن الفوطي:مجمع الآداب، ج1، ص 440؛ خالد كربيي: المرجع السابق، ص 129 (حاشية 8)

[2]-شرف الدين داود الجيلي : الفقيه، البارع، الأصول، المناظر، درس ببغداد بالمدرس المصتعصمية، درس بالمستنصرية، وصنف في أصول الفقه وفي أصول الدين. أنظر: خالد كربيي: المرجع السابق، ص 129 .

[3]- محسن راشد طريم: المرجع السابق، ص 9؛ نوال ناظم محمود:المرجع السابق، ص 414.

[4]- ابن كثير: المصدر السابق،ج17،ص 387؛ محسن راشد طريم: المرجع السابق، ص 9.

1-ابن الفوطي:الحوادث الجامعة، ص 498.

* **المدرسة العلائية "الشاطئية"**:أنشاها علاء الدين بن عبد المؤمن التركستاني سنة 693 هـ/1294م على شاطئ دجلة بحضرة الجسر العتيق، وهي من مدارس الجانب الشرقي، جميلة البناء شاهقة الأرجاء حضر يوم افتتاحها القاضي الحنفي بدر الدين محمد .

* **المدرسة الإمامية البكرية** :يعود إنشاؤها إلى إمام الدين يحي البكري القزويني صاحب ديوان بغداد (ت700هـ / 1300م) وقد دفن في تربة عملها لنفسه في مدرسة بغداد .

ومن المدارس التي أنشئت ببغداد خلال العهد المغولي **مدرسة مجد الدين ابن الأثير** (ت685 1287م) بناها ببغداد ودفن فيها، **والمدرسة الغازانية** نسبة إلى السلطان محمود غازان أنشأها بباب الظفرية بالجانب الشرقي من بغداد، وهناك المدرسة التي أنشاها السلطان أولجايتو(خدبندا) والتي تعرف **بالمدرسة السيارة** حيث يذكر عنه أنه كلف أحد العلماء ويدعى الحلي ومائة من طلابه بإنشاء مدرسة متنقلة تحوي غرفا من الخيام في مدينة كرمانشاه وأطلق عليها اسم **"المدرسة السلطانية السيارة"** وكانت هذه المدرسة تحمل مع موكب السلطان أينما يحل ويرتحل، وهي تضم أعيان العلماء والمدرسين برواتب على نفقة السلطان ومع كل منهم فقهاء وطلاب تمت تسميتهم على هذه المدرسة "مدرسي السيارة" وكان الفقيه "**قطب الدين اليمني التستري**" – من بلاد اليمن واستوطن مدينة تستر — من فقهاء هذه المدرسة بالحضرة[1].

وأقام الوزير رشيد الدين مدرسة في منطقة تسمى أرزنجان[2]تهتم بالعلوم الدينية كالفقه والحديث والتفسير والأصول وعلم الكلام وعهد بشؤون التدريس إلى محمد الرومي من أفاضل العلماء في عصره[1].

ومن بين أشهر المدارس كذلك نجد**المدرسة الجوبانية** نسبة إلى الأمير "**جوبان**" نائب السلطان أبو سعيد ولا توجد هناك معلومات حول هذه المدرسة ونظامها التعليمي غير أنها وردت في عدة مصادر وهو ما يدل على أهمية هذه المدرسة في هذا العهد ويعود إنشاؤها إلى سنة 724هـ/1324م، وفيها تربة ملاصقة لجدار

[1]– شيرين عبد المنعم حسنين: "الثقافة العربية الإسلامية في إيران في العصرين التيموري والمغولي"، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، العدد 18، 2008، ص 138.

[2]–أرزنجان:بالفتح ثم السكون أهلها يقلبون الجيم كافا أرزنكان وهي بلدة مشهورة من بلاد أرمينية.أنظر:الحموي:المصدر السابق،مج1، ص 150.

[1]– الصياد: المؤرخ المغول الكبير، ص 442.

المسجد" ومما قيل في هذه المدرسة "أنه لا يوجد رباط ولا مدرسة ولا دار أحسن بناء وأتقن وأمكن وأحسن وأمتن وأحصن منها"[1]، هذا إضافة إلى المدارس التي كانت موجودة وأغلقت أبوابها بسبب الغزو المغولي غير أنها استأنفت نشاطها التعليمي وفي بغداد خاصة وهي عديدةوموضحة في الجدول التالي:

الرقم	المدرسة	تاريخ البناء	الموقع
01	المدرسة النظامية	459هـ / 1066م	الجانب الشرقي من بغداد
02	مدرسة مشهدأبي حنيفة	459هـ / 1066م	باب – طاق بغداد
03	مدرسة جامع السلطان	485هـ/ 1092م	الجانب الشرقي من بغداد
04	المدرسة التشتية	508 هـ / 1114م	درب دينار
05	المدرسة الثقتية	549 هـ / 1154م	باب الأزج
06	مدرسة دار الذهب (الفخرية)	568هـ / 1172م	الجانب الشرقي من بغداد
07	مدرسة الأصحاب	589هـ/ 1193م	الغربية
08	المدرسة الشرابية	628 هـ / 1230م	الجانب الشرقي من بغداد
09	المدرسة المستنصرية	631 هـ / 1239م	شط دجلة – دار الخلافة
10	المدرسة المجاهدية	637 هـ / 1239م	دار الدويدار – بغداد
11	المدرسة البشيرية	653 هـ / 1255م	الجانب الغربي

4.2.3. مدارس العهد الجلائري:

كانت هناكمدارس كثيرة تعود للعصر الجلائري التحق بها تلاميذ لديهم ميل لتلقي العلوم والمعارف المختلفة على أيدي أستاذة كبار قاموا بالتدريس لهم وكانت بغداد على وجه الخصوص مركزا للعلوم والآداب ومن أهم المدارس التي كانت موجودة فيها هي :

الوفائية – المرجانية– خواجه مسعود – عاقولي – جامع سراج الدين – جامع النعمان – سيد سلطان علي ومدرسة حملت اسم الوزير إسماعيل .

[1]– السخاوي: التحفة اللطيفة، ص 432 .

وقد شيدت هذه المدارس في زمن الجلائريين، ومن أهم العلوم التي كانت تدرس في ذلك الوقت العلوم الرياضية مثل الهندسة وعلم النجوم والإعداد، والهيئة، والطب والكيمياء هذا بالإضافة إلى العلوم الدينية[1].

4.2.4. مدرسة مرجان : تعود تسميتها إلى "**أحمد مرجان**" وتعد أعظم آثاره مدرسته، وتعرف بجامع مرجان وهي روعة في الإتقان من حيث البناء وصناعة النقش وحسن الخط مما يبهر المتفرج المشاهد، ومراعاة الإحكام في العمل والقدرة سواء من ناحية اختيار مادة البناء وبقائها أو من جهة الدقة في الصنع والزينة[2]، قال عنهاعباس العزاوي:"إن قيمة هذه المؤسسة لا تقدر وأوقافها لا تكاد تحصى ... ولا تزال بقاياها إلى اليوم وغلتها ليست بالقليلة ... كانت جامعة تدرس فيها أنواع العلوم وضروب الفنون زادت في الثقافة ورقت في المدارك، وجددت سوق العلم وولدت نشاطا كافيا .. قال الغياثي :" كان مرجان رجال خيرا استأنف عمارات وجدد أخرى وقف العقار والضياع وعمر المدرسة المرجانية ودار الشفاء وأسواقا وخانات لم يتفق في دور احد السلاطين مثلها كما نطقت وقفيته ونقر ذلك جدران العمارات وكان له خيرات على الفقراء، والمساكين حتى السنانير وسمك الشط والطيور من اللحم والخبز في صحن دار الشفاء، وصحنها على جانب دجلة وكان ثلثا الوقف لدار الشفاء وثلث للمدرسة"[3].

وهذا ما قاله الأستاذ محمود شكري الآلوسي عن هذه المدرسة :"مسجد محكم البناء راسخ القواعد مشيد الأرجاء مبني بالحجارة المهندسة، ذو طابقين سفلى وعليا، وفيه مصلى واسع وحجر في الطبقة السفلى والعليا، وقد جعله بانيه مدرسة حاكى بها المجرسة النظامية وجعل الحجر مسكنا لطلبة العلم، وأجرى عليها الجرايات الوافرة، ورتب لهم المدرسين على مذهبي الإمام الشافعي والإمام أبي حنيفة ووقف الأوقاف الكثيرة وكان المصلى محل تدريسهم كما كان محل عبادته"[1].

ومن أهم العلماء المدرسين على سبيل المثال لا الحصر:

[1]- شعبان طرطور: المرجع السابق، ص ص 82، 83.

[2]- الغياثي:تارخ الدول الإسلامية في الشرق، تح: طارق نافع الحمداني، ط1، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2010، ص 95؛العزاوي: المرجع السابق، ص 84 ؛ شعبان طرطور: المرجع السابق، ص 140.

[3]- العزاوي: المرجع السابق، ص 85.

[1]- نفسه، ص 86.

– **يحيى بن عبد الله بن عبد الملك الواسطي**، ولد في عام 662هـ 1263م وتوفي في مدينة واسط سنة 738هـ 1337م قام بالتدريس في مدرسة مدينة واسط وكان من اكبر فقهاء ومفسري زمانه.

– **خواجه معين الدين جامي** : من أحفاد الشيخ أحمد جام عارف مشهور في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر ميلادي خدم أيام آل كرت (732-771هـ/1331-1369م) واتصل بسلاطين عصره مثل الجلائريين والمظفرين.

– **غياث الدين أبو المكارم محمد بن أبي الفضل بن علي بن ثابت الواسطي البغدادي الشافعي** المعروف بابن العاقولي ولد في بغداد سنة 732هـ/ 1331م وقد اشتغل أجداده بالتدريس في المستنصرية والنظامية وسائر مدارس بغداد ويعتبره عباس العزاوي من أكبر الفقهاء والمفسرين.

5. المكتبات:

المكتبة صرح فكري وحضاري يدل على ارتقاء المجتمع وتطور ثقافته وبخاصة إذا ما أدت دورها كاملا، والمكتبات دليل التمدن والتحضر ومثال عن الشعوب المستقرة المتحضرة وهذا كله يتعارض مع المغول ونشأتهم، كان مصير المكتبات مشابها لما تعرضت له الحواضر وكبريات المدن والقلاع، غير أن الضرر الأكبر كان فيما لاقته من إتلافوإحراق وسرقة ومحتوياتها، كان جنكيزخان وهولاكو يحرقان الكتب ويجعلان الكتب الثمينة طعاما للنيران والمواقد[1].

غير أن هذا الدمار قابله تيار حضاري حاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه، فكان كل من نصير الدين الطوسي وعطاملك الجويني وابن الفوطي من بين الذي أخذوا على عاتقهم حماية الكتب والمكتبات وإعادة بعثها من جديد، وهناك العديد من المكتبات التي عاصرت الحقبة المغولية وأخرى ظهرت في العهد المغولي.

5.1.مكتبة آلموت: مكتبة الإسماعيلية في قلعة آلموت احتوت على مجلدات ضخمة في مختلف العلوم وخاصة في مجال الرصد والرياضيات والفلسفة، فلما سقطت القلعة في يد هولاكو كان مصير المكتبة وما حوته مهددا بالحرق، ويذكر براون أن عطا مالك الجويني استأذن هولاكو في أن يحتفظ لنفسه بجملة من المؤلفات القيمة التي اشتملت عليها مكتبة آلموت وأن يحتفظ كذلك ببعض الأدوات التي استعملوها في رصد النجوم[1].

1- براون: المرجع السابق، ص 22.

[1]- نفسه، ص 582.

5.2.مكتبة مراغة: أحد أبرز المنشئات الثقافية في هذا العهد ضمت عددا هائلا من الكتب المختلفة وفي شتى العلوم، وحوت مايقارب أربعمائة ألف مجلد مما نهب من بغداد والشام والجزيرة[1]، سهر على إدارتها أحد مؤرخي وعلماء بغداد البارزين وهو"**عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد البغدادي المعروف بابن الفوطي**"(ت723هـ/1323م) برع في علم التاريخ والفلسفة وغيره، كان ممن أسرهم المغول بعد دخولهم بغداد، وتخلص من أسره[2]، ظل في خدمة خزانة الرصد أكثر من عشرة أعوام بإشراف مباشر من نصير الدين الطوسي.

5.3.**مكتبة الربع الرشيدي**: سمي الربع الرشيدي نسبة إلى مؤسسه الوزير رشيد الدين الذي بدأ في تشييده في أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن الهجري، ويقع شرق مدينة تبريز وهو بمثابة جامعة كبيرة تستقبل الدارسين يضم مكتبة ضخمة تزود الدارسين بمختلف العلوم والفنون وتشجعهم على البحث،فإلى جانب مؤلفات رشيد الدين العديدة ضمت المكتبة كتبا أخرى بعدة لغات، هذا وقد أوقف رشيد الدين مكتبته الخاصة على هذا الربع وكانت تحوي ستين ألف مجلد في شتى العلوم والتواريخ والأشعار والحكايات والأمثال مما جمعه من إيران ومصر والمغرب والروم والصين والهند بالإضافة إلى ألف من المصاحف التي كتبت بخطوط مختلفة على يد كبار الخطاطين[3]، وأوقف داران للكتب كانتا تجاوران قبة مدفن الوزير رشيد الدين في الربع الرشيدي واحد يمين القبة والأخرى يسارها من جملتها ألف مصحف وضعها هناك وكان قد صرف أكير من ستين ألف دينار على النسخ والتحرير والزخرفة والتصوير والتجليد[4]، وعندما أعدم رشيد الدين عام 718هـ نهب اللصوص والمحتالون الكتب النفيسة وباعوها بأبخس الأثمان وهناك من جمع منها ثروة كبيرة، وكان من بين الكتب التفقدت في النهب الثاني كتاب تاريخ لمحمد بن علي الشبانكاري[1].

---

[1]- محسن راشد طريم: المرجع السابق،ص9؛ نوال ناظم محمود: المرجع السابق، ص429.

[2]- ابن كثير: المصدر السابق، ج18،ص 227.

[3]- الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص 432-436.

[4]- الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين، ص 403؛ سرمد قاسم محمد خميس: المرجع السابق،197.

[1]- محمد بن علي الشبنكاري: نسبة إلى قرية تسمى شبانكارة في إيران وهو من الشعراء والكتاب النابهين ولد سنة 697هـ له كتاب مجمع أنساب باللغة الفارسية شرع في كتابته سنة 733هـ وأتمه سنة 736هـ وقدمه للوزير غياث الدين محمد بن رشيد الدين ليعرضه على السلطان أبي سعيد بهادر خان لكن لم يصله لوفاة هذا السلطان.أنظر: العزاوي: المرجع السابق،ج2،ص 44؛ سرمد قاسم محمد خميس: المرجع السابق،ص197.

ثانيا/ الحواضر المغولية:

برزت العديد من المدن خلال العهد المغولي واستطاعت بفضل العناية التي خصصها لها حكام وملوك المغول أن تكون من حواضر العالم الإسلامي خاصة بعد أفول الحواضر السابقة مثل بغداد وكان ظهور هذه المدن إما من إنشاء السلاطين المغول أو ما وجد قبل غزاوتهم فأعادوا بنائها تعميرها وقد تحولت هذه المدن إلى مراكز حضارية.

1. مدينة تبريز:

مدينة جليلة اشتهرت في التاريخ بمكانتها السياسية والحضارية نالت اهتمام المؤرخين والجغرافيين على السواء وذكرها الحموي بأنها مدينة عامرة حسناء تتوسطها أنهار جارية وتحيط بها البساتين، ونجت من الغزو المغولي سنة 618هـ/ 1222م بعد استسلام أهلها[1].

اتخذ المغول من تبريز عاصمة لهم وبلغت مكانة رفيعة في عهدهم، فهي ازدانت بالأبنية الفخمة التي تخدم أمور الرعية، فكانت تضم دور العلم ومدارس للعلوم الدنيوية، وتحمل لنا العديد من كتب الرحالة وصفا مفصلا عن هذه المدينة التي تعتبر حاضرة من حواضر ذلك الزمن، ويقال أن السلطان غازان قد شرع في بناء أرباض كبيرة في ما يلي سورها القديم وحوطت هذه الأرباض بسور جديد، ولهذا السور ستة أبواب وفي داخل جبل، وكان محيط السور خمسة وعشرين ألف خطوة، وينقل كي ليسترينج ما ذكره ابن بطوطة في رحلته عندما زار تبريز في سنة730هـ/ 1330م حيث يقول :" نزلنا بخارجها بموضع يعرف بالشام وفيه مدرسة حسنة وزاوية إلى أن قال:"دخلت المدينة على باب يعرف بباب بغداد[2]،وقد اكتسبت تبريز أهمية كبرى جعلتها مشهورة لمدة طويلة بعد سقوط دولة المغول في إيران، حيث نعثر على وصف لها في كتب أحد الرحالة في أواخر القرن التاسع الهجري، الخامس عشر ميلادي ويقول: "أنها مدينة عظيمة كثيرة الأسواق ويوجد جامع قربة تربة قازان وهذا يدل على عظم الملك وسعة مملكته"[1].

[1]- الحموي: المصدر السابق، مج2، ص 13.

[2]-ليسترينج: المرجع السابق،ص 196.

[1]-إبن أجا:العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك،رحلة الأمير يشبك الدوادار،ط1 دار الفكر،دمشق، 1986،ص 113.

2. مدينة السلطانية:

تعود فكرة بناء السلطانية[1] إلى السلطان محمود غازان غير أن الوفاة أثنته عن إتمام فكرته، فكان إتمام هذا المشروع من طرف أخيه خدبندا خان وعرف هذا الموضع باسم "**النك قنقور**"[2]،وقبل إنشاء هذه المدينة تميز هذا الموضع بكونه مرعى للمواشي ومكانا ينزل فيه المغول، وقد أتم خدبندا بنائها سنة 704هـ/1304 ووسع في فناها وأتقنت قسمتها في الخطط والأسواق وجلب إليها الناس من أقطار الأرض ومن أقطار مملكته واستجلبهم إليها بما بسط لسكانها من العدل والإحسان"[3]، وسماها السلطانية وما إن حلت سنة 713هـ/1313محتى صار ذلك المكان الخالي من حواضر البلاد الإسلامية لما أقيم فيها من منشآت دلت على حب المغول إلى العمارة والتشييد[4]، وظهرت فيها المدارس والمساجد والحمامات والأسواق وعجت بساكينها، وما لبثت أن صارت حاضرة المغول "وهي الآن عامرة آهلة كأنما مر عليها مئين سنين لكثرة من استوطنها وتأهل بها وأولد من الولد فيها وقد مضت عليها مدة بنوها مبالغ الرجال وفيهم من جاز إلى الاكتهال"[5]، وأمر السلطان أولجايتو ببناء سور حولها مربع الشكل طوله ثلاثون ألف قدم وبلغت ضخامة جدرانه إلى حد أنه لوسار عليها أربعة فرسان بجانب كل منهما الآخر لوسعتهم، وبنى في وسطها قلعة كبيرة بحجم مدينة وحفر لنفسه فيها قبرا أقام عليه بناء وقبة، وهما من أهم الأبنية الدالة على النماذج المعمارية الرفيعة في العهد المغولي وهي المعروفة باسم "قبة شام خدبندا"[1].

---

[1]– تعرف هذه المدينة باسم "قنغر لام" بضم القاف وسكون النون وضم الغين المعمجة وسكون الراء المهملة ولام ألف ونون وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السابعة بناها خرابندا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو على مقربة من جبال كيلان وجعلها كرسي مملكته. أنظر: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري:نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: مفيد قميحة، ج27، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ص 282.(حاشية 1) ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج4،ص 358.

[2]– البدليسي شرف خان، شرفنامه: تر: محمد علي عوني، مر: يحيى الخشاب، ج2، ط 2، دار الزمان، دمشق 2006، ص 27.

[3] – العمري: المصدر السابق،ج3،ص 160.

[4]– الشيماء سيد كمال محمد:المرجع السابق، ص 317.

[5]–القلقشندي:صبح الأعشى، ج4، ص 358؛ العمري: المصدر السابق،ج3،ص 160.

[1]–كي لسترنج: المرجع السابق، ص257.

وكان خدبندا قد اتبع في بنائه للسلطانية نفس خطة بناء شنب غازان في تبريز فبعد بناء المدينة وإتمامه القبر حاوط أطراف المقبرة بسبعة مساجد انفق على أحدها من ماله الخاص وبناه من المرمر الصيني، وعمرها بالأبنية الخيرية الأخرى منها مستشفى باسم دار الشفا وصيدلية ودار السيادة وخانفاه وبنى مدرسة كبيرة على مثال المدرسة المستنصرية التي في بغداد وأحضر إليها المدرسين والعلماء وأهل البحث والدرس، وشارك في بناء العاصمة الجديدة الأمراء والوزراء وعلى رأسهم رشيد الدين الذي تبرع من ماله لبناء محلة كاملة في المدينة الجديدة تشمل على ألف بيت مع مستشفى ومدرسة وخانقاه .

وجاء في أحد النصوص وصفا للمنشآت التي عرفتها السلطانية في "نفايس الفنون": "بنى أولجايتو بناء فخما جدا، رفع في أعلاه ثماني منارات، وأقام حواليه منشآت خيرية من جامع وخانقاه ومدرسة ودار سيادة مما لم يسمع بمثله ولا رأى نظيرا له أحد في الدنيا، ووقف على ذلك أملاكا كثيرة نفيسة، وكان يصب ريعها في عهد دولته ثلاثمائة تومان وإذا كانت كل هذه الأعمال بتعليم وإرشاد من العالم العادل صاحب الشهيد السعيد الخواجة رشيد الدين طاب ثراه، فقد عهد إليه خدبندا بنيابة توليتها، فأمر أن يعين عشرة مدرسين وعشرين معيدا ومائة من طلبة العلم، واثنى عشر حافظا، وثمانية مؤذنين، وأربعة معلمين، ورسم لكل مدرسة خمسمائة وألف دينار ولكل معيد خمسين وسبعمائة دينارا في كل يوم، وخصص أكثر من مائة ألف دينار للرؤساء الملازمين لذلك المكان ولمجاوري الخانقاه وفراشيه وخدمه ولنفقات الأيتام ودار السيدة والمستشفى"[1].

لقد مثلت هذه المدينة بالنسبة للمغول حاضرة سياسية ومركز إشعاع حضاري ارتبطت بعديد الأعمال الثقافية التي عني بها حكام المغول الأواخر انطلاقا من اعتناقهم للدين الإسلامي، فأقبل هؤلاء على بناء المدارس والمساجد وأجروا النفقات، فمثلا شجع رشيد الدين على تفسير آيات القرآن الكريم وصنف الكتب الكثيرة[1]، بالإضافة إلى اهتمامه بالتاريخ وتنافس المؤرخون فيما بينهم على تأليف الموسوعات التاريخية فعرفت السلطانية في عصره نهضة ثقافية[2].

[1]- حسن الأمين:المرجع السابق، ص 346.

[1]- ابن كثير:المصدر السابق، ج 18، ص 178.

[2]- الشيماء سيد كمال محمد:المرجع السابق، ص 337.

3. مدينة مراغة:

هي واحدة من المدن الإسلامية المعروفة الواقعة ضمن إقليم أذربيجان وارتبط اسمها بالكثير من العلماء في كل فن[1]، وتعرضت للخراب جراء الغارات المغولية العنيفة ففي سنة 618 هـ/1221م توجه المغول إلى مدينة مراغة وليس بها صاحب يمنعها[2] لأن صاحبها كانت امرأة وهي مقيمة بقلعة رويندز[3]ونصبوا عليها المنجنيق وملكوا المدينة عنوة يوم الرابع صفر من تلك السنة ووضعوا السيف في أهلها فقتلوا منهم عددا كبيرا ونهبوا المدينة[4].

وشهدت المدينة حركة علمية في العهد المغولي حتى صارت مركزا للعلم وقبلة للعلماء وملجأ لهم وذكرها ياقوت الحموي بقوله:"... ولم تزل قصبتها وبها آثار وعمائر ومدارس وخانقات حسنة، وقد كان فيها أدباء وشعراء ومحدثون وفقهاء"[5]، ومما زاد في شهرتها المرصد الذي أقامه نصير الدين الطوسي وهو أحد أهم المنجزات العلمية في هذه الفترة، وكان لسقوط بغداد أثر على مدينة مراغة حيث أن عددا من علماء بغداد الفارين من العنف المغوليجعلوا من مدينة مراغة قبلة لهم،" ثم إن العلماء الذين وجدوا الخلاص من هذه الفاجعة التي ألمت بهم، فروا ناجين بجلودهم إلى الأماكن الآمنة في جنوب إيران في إقليم فارس وفي الهند وفي آسيا الصغرى حيث استأنفوا نشاطهم العلمي والأدبي، ونظرا لما لقوه من تشجيع ورعاية ساعدهم على زيادة نشاطهم وإنتاجهم العلمي"[6]، ونلمس ذلك من كثرة العلماء الذين هاجروا إليها فضلا عن علماء المدن الإسلامية الأخرى وهو ما يظهر في قول أحد العلماء الذين وطأت أقدامهم مراغة وهو **كمال الدين أبو الفرج إسماعيل بن أب بكر الايجي**(ت698هـ/ 1299م)، وهو من الأدباء والحكماء قدم مراغة واستوطنها واشتغل إماما بها وأعجب بنشاط الحركة العلمية بها لا سيما خزائن كتبها فقال :"لولا اتصالي بمراغة لأقمت

---

[1]- ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج3، مكتبة المثنى، بغداد، (د.س)، ص 190.

[2]- الملك الأشرف الغساني:المصدر السابق، ص 382.

[3]- رويندز: قلعة حصينة من أعمال أذربيجان بالقرب من تبريز .أنظر : الحموي:المصدر السابق، ج3،ص 105.

[4]- ابن الأثير:الكامل في التاريخ، ص 412؛ الملك الأشرف الغساني: المصدر السابق، ص 383 ؛ حسن كريم الجاف:المرجع السابق، ص 264

[5]- الحموي: المصدر السابق، ج5، ص 93.

[6]- الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص 220.

ببغداد" كما أن المغول جعلوا منها عاصمة لإقليم أذربيجان وهو ما جعلها تنال عناية خاصة من قبل الايلخانيين[1].

كذلك زار مراغة من العلماء المسلمين "**غياث الدين أبو الفضل محمد بن محمد الأرموي**" (كان حيا سنة 666هـ/1268م) وهو أحد القراء والحفاظ المحدثين من أهل أرمية[2]، أما قدومه إلى مراغة فكان سنة 666هـ/1268م،قال عنه ابن الفوطي :" كان شيخا حسن الهيئة دائم الصمت، حسن السمت، ذكر لي أنه أقام ببغداد مدة وسمع بها الحديث سنة خمسين وستمائة"[3].

ويعد "**محمد بن محمد بن الحسن**" (ت 672 هـ/ 1273م) المعروف بنصير الدين الطوسي من أشهر من ارتبطت بهم المدينة في الحقبة المغولية بالنظر إلى ما قدمه من أعمال جليلة في مشارب مختلفة حيث برع هذا الأخير في علم الحديث والفقه والكلام والفلسفة والعلوم العقلية ودرس على يديه عدد من العلماء في مراغة منهم، **الحسن بن محمد الأسترابادي** (ت 718 هـ / 1318م) الذي كلفه نصير الدين بمهمة إعداد دروس الحكمة هناك.

وشهدت مدينة مراغة في القرن السابع الهجري، الثالث عشر ميلادي زيارة بعض المؤرخين وتصنيفهم لبعض مؤلفاتهم هناك ومن بينهم أبو الفرج غريغوريوس بن أهرون بن توما الملطي المعروف بابن العبري صاحب كتاب تاريخ مختصر الدول مؤرخ سرياني مستعرب اشتغل بالطب والفلسفة والمنطق فضلا عن كتابته التاريخ اتجه إلى مراغة وتوفي بها سنة(685 هـ/1286م)[4].

وزار مراغة من المؤرخين كذلك محمد بن علي بن محمد بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ت709 هـ/1309م) وقد زارها في أواخر القرن السابع الهجري وهو صاحب أحد أشهر المؤلفات الإسلامية المعنون بـ " الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية".

---

[1]–محسن راشد طريم:المرجع السابق، ص 1.

[2]–أرمية: مدينة عظيمة قديمة بأذربيجان، وهي حسنة كثيرة الخيرات واسعة الفواكه والبساتين صحيحة الهواء كثيرة الماء.أنظر: الحموي:المصدر السابق ، ج1 ، ص 159.

[3]– ابن الفوطي: مجمع الأدباء،مج2، ص 459.

[4]– محسن راشد طريم:المرجع السابق، ص ص 3، 4.

ثالثا/ الإسهامات الفنية :

1. التصوير

1.1. المدرسة المغولية للتصوير:

لم يكن المغول حتى بداية عهد الايلخانات على علاقة بالفنون ولم يكن يربطهم بالفن ما يزيد على تطريز بدائي بحواف خيامهم ببعض التصاوير[1]، كما لم يكن هناك تطور لهذا الفن لسنين خلت – هكذا ينظر من اهتم بتاريخ الفن من المؤرخين– لكن يمكن القول إيلخانات إيران عملوا على رعاية هذا الفن وتنشيطه واعتمدوا في ذلك على أعرق المدارس في مجال الفن بصفة عامة، فكان مصدر التطور الفني للمغول يعتمد على مدرستين أساسيتين وهما المدرسة الصينية والمدرسة الأويغورية .

ونستطيع القول أن التصوير الإسلامي الإيراني قد ازدهر في القرنين السابع والثامن هجريين، الثالث عشر والرابع عشر ميلاديين، وذاع صيت كل من تبريز، وشيراز، والسلطانية، ويجب الإشارة إلى عاملين أساسين في ازدهار هذا الفن وهما العلاقة الوثيقة التي كانت بين إيران في العهد المغولي والشرق الأقصى إذ أن الأسرتين الحاكمتين في كل من الصين وفي إيران يجمعها الجنس الواحد، ذلك لأن كلتا الأسرتان من الفرع الجنكيزخاني[2]، والعامل الثاني هو عند دخول المغول إلى إيران جلبوا معهم أرباب الحرف والصناعات من الصينيين والأويغور لذا نلحظ أن أساليب الشرق الأقصى واضحة في الفنون الإسلامية .

ولا يمكن تجاهل الدور الأساسي الذي لعبه حكام المغول في دفع حركة العلوم والفنون، فمثلا نجد كل من السلطان"غازان خان" وشقيقه "خدبندا" ومع أنه لم يكن لهما أي خبرة سابقة في هذا المجال إلا أنهما قاما بتشجيع الفن والفنانين، ولعل مؤلف"**جامع التواريخ**" أهم مثال على ذلك حيث لا يمكن اعتباره مؤلفا تاريخيا فحسب بل نجده قد جمع بين التاريخ، والأدب، والتصوير، والرسم، وبذلك يعتبر **شبولر** أن الأدب الفارسي مدين للمغول في حماية كثير من المؤلفات[1].

[1]– ثروة عكاشة:المرجع السابق، ص 141.

[2]– شبولر:العالم الإسلامي في العصر المغولي، ص 67 ؛ف.بارتولد:تاريخ الحضارة الإسلامية، ص 94؛ زكي محمد حسن: الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017، ص ص 71، 72.

[1]– شبولر:العالم الإسلامي في العصر المغولي، ص 77.

1.2. مصادر التصوير المغولي:

1.2.1. المدرسة الصينية :

تعد المدرسة الصينية من أقدم المدارس في مجال الفنون، واشتهرت في العديد من مجالات الفن، ولطالما أعجب العرب والمسلمون بفنون الصين وصناعتهم وسجل المؤرخون والرحالة الجغرافيين هذا الإعجاب في كتبهم ومصنفاتهم ولإعطاء صورة عن قيمة هذه المدرسة لا بأس أن نذكر بعض أقوال هؤلاء في هذه المدرسة ومن بينهم ابن الفقيه الهمذاني حين قال (في نهاية القرن الثالث الهجري وبداية العاشر الميلادي): أن الله –عز وجل – خص أهل الصين بإحكام الصناعة وأنه منحهم في ذلك ما لم يمنحه أحدا غيرهم، فكان لهم الحرير والغضائر الصيني والسروج الصيني وغير ذلك من المنتجات الدقيقة المحكمة"، ولم يخرج المسعودي عن هذا الإعجاب بالفن الصين حين ذكر :" وأهل الصين من أحذق خلق الله كفا بنقش وصنعة؛ وكل عمل لا يتقدمهم فيه أحد من سائر الأمم، والرجل منهم يصنع بيده ما يقدر أن غيره يعجز عنه"[1]، وذكر النويري عن إبداع أهل الصين في مجال الصناعة والتصوير قائلا:" وأما الصين وما اختص به فإن العرب تقول لكل طرفة من الأواني صينية كائنة ما كانت؛ لاختصاص الصين بالطرائف، وأهل الصين خصوا بصناعة الطرف والملح وخرط التماثيل والإبداع في عمل النقوش والتصاوير "[2].

أما الرحالة المغربي ابن بطوطة فذكر أن الخزف الصيني هو أبدع أنواع الفخار كما تحدث عن مهارة أهل الصين في الفنون فقال :" وأهل الصين أعظم الأمم إحكاما للصناعات وأشدهم إتقانا فيها، وذلك مشهور من حالهم وقد وصفه الناس في تصانيفهم فأطنبوا فيه، وأما التصوير فلا يجاريهم أحد في إحكامه من الروم ولا من سواهم فإن لهم فيه اقتدارا عظيما"[1]،فالملاحظ أن كل هؤلاء أجمعوا على نبوغ أهل الصين في مجال الفن والتصوير، وبحكم أن المغول امتدت إمبراطوريتهم من الصين إلى فارس والعراق فقد صار انتقال هذه الفنون أمرا متاحا أكثر من السابق خاصة و،ن المغول شجعوا أرباب الحرف والصناعات على الهجرة، ووفروا لهم الحماية بغية الاستفادة من خبراتهم في مجالات عديدة بما فيها الفن[2]، وجاء في كتاب جامع التواريخ للوزير رشيد الدين

---

[1]– أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي:مروج الذهب ومعادن الجوهر، مر: كمال حسن مرعي، ج1،ط1، المكتبة العصرية صيدا– بيروت، 2005، ص 113.

[2]– النويري:المصدر السابق، ج1، ص 339.

[1]– ابن بطوطة:المصدر السابق، ج4، ص 132.

[2]– زكي محمد حسن:الصين وفنون الإسلام، هندواي للتعليم والثقافة، القاهرة، ص 24.

أن كثيرا من المصورين الصينيين قدموا إلى إيران في عهد هولاكو وغازان وخدبندا، كما انتشرت في دولتهم الكتب الموضحة بالصور الصينية والحق أن هولاكو وخلفاءه كانوا يشملون رجال الفن برعايتهم بل كانوا حين يخربون المدن في حروبهم يعنون بإنقاذ الفنانين وأرباب الصناعات وكان المغول يرسلون إلى الصين وآسيا الوسطى كثيرا من الفنانين والصناع الذين أبقوا على حياتهم في إيران والشرق الأدنى، ويمعنون في سكانها قتلا، وعلى عكس الشعوب التي تعرضت للتقتيل والإبادة فإن أصحاب الحرف والمهن والصناع حافظوا على حياتهم وتم إرسالهم إلى قراقورم والصين وللاستفادة منهم ومنهم من أفلح في العودة إلى موطنه متأثرا بأساليب ونمط معيشة الصينيين[1].

ومن هنا يمكن القول أن المغول في فترة القرن السابع والثامن الهجريين الثالث والرابع عشر ميلاديين لعبوا دور الوسيط في نقل الإرث الصيني إلى المشرق الإسلامي، وبما أن عصر المغول كان مليء بالحروب فإن منتجات المصورين إما أنها لم تكن كثيرة أو لم يصلنا منها على الأقل إلا شيء يسير ولهذا غلب عليها مناظر القتال توضيحا للقصص الحربي، كما أن معظمها مناظر تمثل أمراء المغول بين أفراد أسرهم وحاشيتهم[2].

وبعد انتهاء العمليات الحربية في فارس والعراق اتخذ المغول مقرا شتويا لهم، وعرف بلاطهم توافد العديد من رجال الفن من شتى الأقاليم التي خضعت لهم وصارت كل من بغداد ومراغة والسلطانية حواضر السياسة والثقافة الجدد، وحاول المغول أن يجعلوا من العراق وإيران منطقتين تحت حكم مغولي بطابع ثقافي صيني، وصار واضحا تأثر رجال الفن من الإيرانيين بطابع الواقعية في المناظر الطبيعية الصينية، وبدا بعد مدة التأثير الصيني جليا في أعمال التصوير[1]،وهناك إشارات لوجود أحد أقدم المخطوطات المصورة المعروفة التي تعود إلى العصر المغولي- نسخة إيرانية من كتاب "**منافع الحيوان**" لصاحبه "**ابن بختيشوع**" محفوظة في مكتبة بنيويورك – ويظهر من خلال الكتابة التي نسخت عليها أنها نسخت في مراغة بأمر من السلطان محمود غازان[2]ويوضح ديماند بشأن هذه النسخة قائلا:"...ويظهر من الأربع وتسعين صورة التي تحويها هذه المخطوطة

[1]- زكي محمد حسن:الصين وفنون الإسلام، ص 24.

[2]- زكي محمد حسن: التصوير وأعلام المصورين في الإسلام، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2014، ص 18.

[1]- ديماند:الفنون الإسلامية، تر: أحمد محمد عيسى، دار المعارف، مصر، ص 45؛كلود عبيد:التصوير وتجلياته في التراث الإسلامي، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2008، ص 156.

[2]- ثروة عكاشة:المرجع السابق، ص146.

أنها من رسم عدة فنانين، إذ أن بعض الصور مرسوم بأسلوب المدرسة العراقية التي استمرت تقاليدها متبعة، بعض الوقت زمن حكم المغول بينما نلاحظ على معظم الصور ولا سيما تلك التي تمثل المناظر البرية، أنها رسمت رسما مقتضبا اتبع فيه أسلوب شبيه بالأسلوب التأثيري ولونت بألوان قليلة، اقتداء بالرسوم الصينية ذات اللون الواحد (الأسود)، المصنوعة في عهد أسرة سونج ويوان"[1] وبمتحف المتروبوليتان للفنون بنيويورك هناك ورقة من مخطوطة أخرى من مؤلف "منافع الحيوان" بها رسم نسرين في منظر بري، وهناك أوراق أخرى عليها رسوم مشابهة لهذا الأسلوب وتحوي رسوم سحب ونباتات وأزهار عود الصليب مستوحاة من الفن الصيني ومرسومة بألوان قاتمة[2].

وأثر الفن الصيني في المدرسة المغولية الإيرانية يتجلى أيضا في سحنة الأشخاص وفي صدق تمثيل الطبيعة ورسم النباتات بدقة وكذلك دقة رسم الأعضاء لصور الحيوان، وقد استعار فنانوا إيران بعض الزخارف من فنون الشرق الأقصى لا سيما رسوم السحب (تشي)، ورسوم بعض الحيوانات الخرافية التي امتاز بها الفن الصيني[3].

أبدى الايلخانيون في إيران اهتماما كبيرا بالفن القومي لتلك البلاد وساهموا في ازدهاره، وعمل حكام المغول وأمرائهم على تشجيع مصوري البلاط لتصوير نسخ من مخطوطة الشاهنامة (كتاب الملوك)[4]، ودام هذا الأثرقرونا عديدة مصدرا لإلهام رجال الفن الإيرانيين، وتعتبر المخطوطة المعروفة بشاهنامة "ديمون" من أقدم النسخ والراجح أنها نسخت في تبريز حوالي سنة 1320م في عهد السلطان أبي سعيد وصورت بواسطة مجموعة من الرسامين وتضم هذه المخطوطة ما يقارب الخمسة والخمسين صورة معظمها من الحجم الكبير وتعتبر من روائع التصوير العالمي ويذكر ديماند أنها موزعة بين متاحف عدة خاصة في أوربا وأمريكا حيث العناصر الصينية

[1]-ديماند:المرجع السابق، ص 46.

[2]- نفسه.

[3]- زكي محمد حسن: التصوير وأعلام المصورين في الإسلام، ص 18؛ زكي محمد حسن: الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، ص 72.

[4]- وهي الملحمة الشعرية، رواية هائلة أتم الفردوسي نظمها سنة 400هـ / 1010م، تحكي قصة إيران قبل الإسلام.للمزيد أنظر الشاهنامة ديمون ملحمة الفرس الكبرى لمؤلفها الفردوسي.

بمناظرها البرية مرسومة بألوان قاتمة والإيرانية بألوانه الزاهية تحاكي الأشخاص والملابس والعمائر وتظهر كلتاهما جنبا إلى جنب في هذه النسخة[1].

يعود الفضل في وجود نمط صناعي خاص ومتميز إلى المغول الذين شجعوا ودعموامثل هذه الأعمال، منذ عهد هولاكو الذي أولاها اهتماما كبيرا، وقد اهتم الايلخانات خاصة المسلمين منهم بتشييد الأبنية والعمائر، وكان الجانب الصناعي خاصة النقش والتصوير مستوحى من الفن الصيني بفضل الفنانين الذين قدموا من الصين مع المغول إلى إيران[2] وصارت مهمتهم الوحيدة هي إضفاء الصبغة المغولية على المجتمع كما عملوا على إحياء عاداتهم، وظلوا مع تقبلهم للإسلام وإقامتهم بعيدا عن موطنهم ينظرون إلى عاداتهم نظرة الاحترام والتقدير ويعملون على المحافظة على تراثهم، ودأبوا على تخليد تاريخهم وشجعوا على تأليف المصنفات.

ويمكن لنا أن نلحظ رواج هذا الفن من خلال الانتشار الواسع لعديد النسخ من كتاب جامع التواريخ للوزير الطبيب رشيد الدين الهمذاني الذي كان يتابع نشره في مختلف أنحاء البلاد بأمر من السلطان خدبندا (أولجايتو)، والذي استند في تأليف بعض أقسامه على علماء الصين والمغول والأويغور ودفع بفناني ورسامي تلك الأقوام إلى رسم الصور.

لقد دخلت بالتدريج بعض العناصر الجديدة التي لم يسبق للمسلمين معرفتها وكان للمصورين الصينيين وأقلامهم دور كبير في ذلك منها طرق التلوين ورسم الخطوط وصور بعض الحيوانات الأسطورية كالأفاعي، وصار رسم الوجوه المغولية ذات العيون اللوزية والخدود البارزة أمرا شائعا في هذا المجال[1] والمتتبع لمسار هذا الفن يجده قد زاد انتشارا وتوسعت مداركه في العهد التيموري أي بعد انقضاء العهدين الايلخاني والجلائري .

[1]– ديماند: المرجع السابق، ص 49.

[2]– من بين القواعد التي أسس لها المغول هي عدم التخلص من أرباب الحرف والصناعات وكان المغول يحرصون على أخراجهم سالمين للاستفادة منهم واستفاد المغول من هذه السياسة ولم يميز المغول بين أصحاب تلك الحرف لا من الناحية الدينية ولا العرقية ولكنهم بحثوا عن الاستثمار فيهم فوجدوه .

[1]–أشتياني:المرجع السابق، ص 583.

1.2.2. المدرسة الأويغورية:

الأويغور[1] أصحاب الحضارة والتاريخ كانوا قد سبقوا المغول كنظام سياسي بعدة قرون والحقيقة أن فضل الأويغور على جنكيزخان وإمبراطوريته لا ينكره أحد، فجنكيزخان الذي أجاد فن السياسة والحرب وجد نفسه أمام حتمية الاعتماد على الأويغور في كتابة بنود الياسا، لأنه لم يكن يملك أبجدية خاصة به، ومخافة من ضياع تلك القوانين فإنها دونت بالخط الأويغوري، ولم يكن باستطاعة جنكيزخان وخلفائه الاستغناء عن خدمات الأويغوريين في شتى المجالات، وعند ظهور دولة المغول في فارس في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، الثالث عشر ميلادي، فإن الأويغور كانوا قد قطعوا أشواطا كبيرة في مجال الفنون والتصوير وذاع صيتهم في هذا المجال.

استمرت مدرسة التصوير الأويغوري خلال العهد المغولي ويظهر ذلك من خلال رسومات وصور لبوذا وأتباعه، إذ كان الترك يرون فيه إلههم (طانكري) إله السماء وعادة ما كان يصور بوذا بملامح مغولية، كما لقت رسوم الشياطين والعفاريت اهتماما خاصا من قبل الفنانين الأويغور، وكثر تمثيل رسوم المردة أو الشياطين التي لها أشكال حيوانات وأنياب حادة، وكانت هذه الموضوعات من الأشياء المألوفة في الأدب والفن الأويغوري[2].

[1]– الأويغور: لقد أسس معظم أجداد الأويغور على مر التاريخ دولا كبيرة في آسيا دولة "تانزيقوت الهون الكبيرة240ق.م – 216م"،"إمبراطورية الآق هون420م – 565م"، "إمبراطورية الهون الأوربي"،"دولة الأويغور487 – 546م"، "إمبراطورية الكوك تورك551 – 744م"، "دولة الأويغور الأورخونية646 – 845م"،" القراخانيين الأويغورية850 – 1112م"، "ولة إديقوت الأويغورية850 – 1335م".أنظر: آلماس تورغون: الأويغور(تاريخ الأتراك في آسيا الوسطى وحضارتهم)، تر:ماجدة مخلوف وآخرون، ط1، دار تكلماكان الأويغوري، اسطمبول، تركيا، 2018، ص 387.

[2]– ربيع حامد خليفة: فن التصوير عند الأتراك الأويغور وأثره على التصوير الإسلامي، ط 1، كلية الآثار، القاهرة، 1996، ص 111.

أقبل المغول على الاستعانة بالكتبة والفنانين الأويغور البوذيين من طبقة البخشي[1] وهو ما كان له تأثيرات على بعض الأعمال الفنية التي أنجزت خلال الحقبة المغولية وهناك من يرجع ظهور ما يعرف بالتصوير الديني في المقام الأول إلى مشاركة الفنانين الأويغور في الأنشطة الأدبية والفنية في بعض المراكز المغولية .

نلمس تأثير طبقة بخشي على مناطق إسلامية من خلال ما أورده رشيد الدين في مؤلفه عن الهند والصين، حيث استعان هذا المؤلف بعدد كبير من العلماء من مختلف الشعوب ممن كانوا يقيمون ببلاط الإيلخانيين ولابد أن لهذا التداخل أثره في ظهور بعض الاتجاهات التصويرية البوذية الدينية في العصر المغولي وحتى أنها استمرت حتى العصر التيموري فيما بعد، خاصة إذا علمنا أن بعض المناطق الإسلامية كان بها معابد للبوذية مثل مدن سمرقند ومرو وخراسان وأذربيجان .

إن من الأعمال الفنية التي يظهر في بعض صورها التأثر بالأساليب الفنية البوذية الأويغورية في هذه الفترة مخطوط عربي من كتاب "**الآثار الباقية عن القرون الخالية**" للبيروني بمكتبة جامعة ادنبرا نسخه ابن القطبي سنة 707 هـ / 1307[2] م ويظهر ذلك في :

- رسوم طيات بعض الأردية بأسلوب واقعي مفعم بالحيوية .

- رسوم بعض الأشخاص وقد تشابكت أيديهم أمام صدورهم بشكل غير ظاهر إذ تختفي الأيدي داخل أكمام أرديتهم الطويلة وهذا الأسلوب في تمثيل الأيدي المختفية يمكن رؤيته في بعض الرسوم والتصاوير الدينية الأويغورية.

- رسوم بعض صور الملائكة بهيئة تذكرنا برسوم بوذا من حيث الملامح والهالات الكبيرة التي تحيط بالرأس، والأكمام الضيقة والأحزمة التي تتطاير منها الأشرطة[1].

[1]-بخشي: يرى البعض أن لفظ بخشي من السنسكريتية أو من الصينية ومعناها العالم أو المعلم والاشتقاق الأخير اقرب إلى الصحة،ولفظ بخشي يطلق في آن واحد على الكتبة الأويغور وعلى الرهبان البوذيين وكان يطلق على كتبة ملوك تركستان الذين لا علم لهم بالفارسية. أنظر: ف.بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي،ص 127؛ ربيع حامد خليفة: المرجع السابق، ص 21(حاشية 60) للمزيد عن هذه الطبقة أنظر ص 108 ومابعدها.

[2]-ثروة عكاشة:المرجع السابق،ص 150؛نضيرة سلام: الحياة الاجتماعية في إيران في العصر التيموري، من خلال المخطوطات المصورة، رسالة مقدمة بنيل شهادة الماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر،2007، ص 25.

كما يمكن ملاحظة التأثير التركي الأويغوري من خلال كتاب جامع التواريخ، ففي بعض أجزاء من نسخ هذا الكتاب المحفوظة في مكتبة ادنبرا (707هـ/1306م) وفي الجمعية الآسيوية الملكية بلندن (714هـ/1314م)، وفي متحف طوبقا بوسراي باسطنبول (717 هـ/1317م) تم التوصل إلى :

- تطويع الألوان لحركة الخطوط، وهي سمة مميزة لأعمال الفنانين الأويغور.

-رسم الملائكة بأجنحة تخرج من الذراعين وقد كثر تمثيل الملائكة بهذه الهيئة والرسوم والصور الأويغورية البوذية.

- رسم بعض الموضوعات البوذية: وهي تقع في القسم الخاص بتاريخ الهند وعددها تسع صور تمثل مناظر تاريخية عبارة عن صور من كتب هندوسية وبوذية بالإضافة إلى مناظر طبيعية بحتة وعمائر ومن أمثلتها صورة بوذا وهو يقدم الفاكهة للشيطان وكلاهما يرتدي غطاء الرأس الخاص بالعلماء الصينيين، وصورة أخرى تمثل شجرة بوذا أو شجرة العرفان حيث يقوم الفنان برسم مجموعة من الأشجار بأسلوب واقعي تبدو أضخمها تلك التي تشغل الجانب الأيسر من الصورة[2].

كتاب "منافع الحيوان " مراغة 1294 – 1299م مكتبة مورجان نيويورك: يرجع تاريخ أقدم مخطوط مصور بقي من كتاب "منافع الحيوان" إلى عصر السلطان محمود غازان، وهو مخطوط مكتوب باللغة الفارسية، وقد ترجم عن النص الذي كتبه بالعربية الطبيب المسيحي ابن بختيشوع ووصفها المختصون فذكروا تجلياالأسلوب الصيني في بعض لوحات هذه المخطوطة وقالوا بأن النباتات تبدوا أقرب إلى مظهرها الطبيعي، كما يتراءى سطح الأرض في أسلوب إيهامي،وتتعدد العناصر الزخرفية الصينية مثل لفائف السحب والعنقاء والأشجار ذات الجذوع المثنية بفعل الريح والأغصان المتراخية المتدلية كالصفصاف[3].

-**جامع التواريخ لرشيد الدين 1310 م جامعة أدنبره والمتحف البريطاني** :مثلت تبريز قبلة لبعض علماء الصين الذين اعتمد عليهم الوزير رشيد الدين في تصنيف موسوعة عن تاريخ العالم المسماة جامع التواريخ، وبدت المناظر الصينية في أنقى صورها في جانب من منمنمات مخطوطة مراغة من كتاب "**منافع الحيوان**" بدت كذلك في النسخ الباقية من موسوعة جامع التواريخ التي اتبعت الطريقة الطبيعية في رسم الأشجار[4].

---

[1]- ربيع حامد خليفة:المرجع السابق، ص 114.

[2]- ربيع حامد خليفة:المرجع السابق، ص ، ص 116.

[3]- ثروة عكاشة:المرجع السابق، ص 146.

[4]- نفسه ، ص 147.

كتاب الشاهنامة[1]، وصور هذه المخطوطة المحفوظة بجامعة أدنبرة والمتحف البريطاني من تصوير فنانين متعددين تمثل أساليب متنوعة[2].

ويمكن القول أن ما ميز مدرسة التصوير المغولي أنه ابتعد عن الأناقة والرقة بالنظر لطبيعة الأحداث المصورة فهي تحاكي صور الحروب والمعارك وتوضح كتب التاريخ والقصص الحربي مناظر تمثل أمراء المغول بين أفراد أسراتهم وحاشيتهم، ومما يميز صور المدرسة المغولية كذلك تنوع غطاء الرأس فللمحاربين أكثر من نوع واحد من الخوذات وللسيدات قلنسوات مختلفة بعضها يزينها ريش طويل وللرجال أنواع عديدة من القلنسوات والعمائم كذلك[3].

2. الإنتاج الفني:

2.1. الحفر على الخشب في العصر المغولي:

تعتبر الأخشاب المحفورة التي تعود إلى أوائل العصر المغولي مابين 7-8هـ/ 13-14م من الأشياء النادرة جدا ففي مقصورة جامع بايزيد ببسطام أبواب ترجع إلى المدة ما بين عامي 1307 – 1309م محفورة حفرا جميلا وتزينها الكتابات الكوفية والزخارف النباتية والهندسية المتشابكة التي تشبه الزخارف المعاصرة المحفورة على الجص بإيران، ويأتي بعد هذه الأبواب، منبر "**جامع نايين**" في محافظة أضفهان بإيران وتاريخه 711هـ/ 1311م، ويضم حشوات مستطيلة تزينها تفريعات هندسية تحمل أوراقا مستديرة غير أنه تبدو على الحفر آلية واضحة، أما الزخرفة فضعيفة ومستمدة من الزخارف السلجوقية السابقة، وفي النصف الثاني من القرن الرابع عشر بلغت المدرسة الإيرانية في الحفر على الخشب مستوى فني وصناعي عاليين، وبمتحف المتروبوليتان للفنون بالولايات المتحدة يوجد كرسي مصحف غني بالزخرفة ويعتبر من روائع الحفر على الخشب الإيراني في العصر المغولي وتتكون زخارفه الجميلة من توريقات ونقوش كتابية وتفريعات مزهرة ونباتات قريبة الشبه بالنباتات

[1]- وهي ملحمة فارسية مشهورة، ألفها أبو القاسم الفردوسي، وأهداها للسلطان محمود الغزنوي وذلك سنة 400هـ وهي بمثابة سجل تاريخهم القديم. أنظر : نضيرة سلام :المرجع السابق ، ص 25.

[2]- ثروة عكاشة: المرجع السابق، ص 147.

[3]- زكي محمد حسن: الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي،ص 72

الطبيعية تحمل مراوح نخلية وبراعم مستمدة من الفن الصيني ويتضمن النص المكتوب أسماء الأئمة الإثني عشر واسم الفنان: "**حسن بن سليمان الأصفهاني**" وتاريخ صناعته ذو الحجة 761هـ/ 1360م[1].

2.2. فن الخط:

خلال القرن السابع هجري، الثالث عشر ميلادي ظهر في إيران نوع من الخط يعرف "بالتعليق" ومن مميزاته ميل حروفه من اليمين إلى اليسار في اتجاهها من الأعلى إلى الأسفل ولكن خط النسخ المحتفظ بطبيعته ظل مستعملا في النصوص الدينية وبلغت فنون الخط والتهذيب في عهد الايلخانات مرتبة عالية، ومن أشهر الخطاطين الذين برزوا في هذا المجال **صفي الدين عبد المؤمن الأرموي** (ت693هـ) وتلميذه الذي فاق أستاذه في هذا الفن وهو **جمال الدين ياقوت المستعصمي**(ت 698هـ) وكان من الخطاطين الخاصين للخليفة المستعصم بالله أخر، وبعد مقتله لحقا بخدمة الأسرة الجوينية التي أدارت العراق باسم المغول[2].

ويوجد في بعض المتاحف والمجموعات الأثرية عدد من المصاحف المغولية الجميلة كتب بعضها بأمر من السلطان خدبندا، وأكثر هذه المصاحف شهرة مصحفان: أحدها في ليبزج وكتب في بغداد سنة706هـ/1307م، والآخر محفوظ بدار الكتب المصرية بالقاهرة وكتبه **عبد الله بن محمدبن محمود الهمذاني**سنة 713 هـ/1313م بمدرسة النسخ والتذهيب التي عرفت بدار الخيرات الرشيدية التي أقامها الوزير رشيد الدين[3]، وهو نوع من المصاحف الكبيرة الحجم التي كانت تقدم للأضرحة والمساجدوكان كل جزء منها يكتب مجلد على حدة، ويمتاز هذا المصحف كسائر المخطوطات المغولية بالإبداع في الرسوم والألوان حتى مثل بحق تحفة رائعة من الزخارف البحتة ولوحظ فيها أن فراغ الصحيفة مقسم في أغلب الأحيان إلى مناطق مزينة بزخارف نباتية أو بوريدات ملونة باللونين الذهبي والأزرق، وباللون الأخضر في بعض الأحيان وزاد في بهجة الموضوعات الهندسية استخدام ألوان متباينة –كالذهبي والأزرق – في تلوين الأرضية وهما اللونان المفضلان عند المذهبين الإيرانيين فيجميع العصور[4]، ويوجد بمجموعة تشستر بيتي – مكتبة في دبلن بإيرلندا– مصحف بديع كتبه **عبد الله الصيرفي** في شهر محرم سنة 728هـ/ نوفمبر سنة 1327مأي في عهد السلطان أبي سعيد وكتبت

[1]– ديماند: المرجع السابق، ص 126.

[2]– نفسه، ص 585.

[3]– عبد العزيز حميد صالح: الخط العربي عبر العصور المتعاقبة،ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971، ص 58.

[4]– ديماند: المرجع السابق،ص ص 79، 80؛ زكي محمد حسن: الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، ص 59.

عناوين سوره بالخط الكوفي وزينت بتفريعات نباتية ذات ألوان زاهية كالأحمر والأزرق الفيروزي والأخضر والأبيضعلى أرضية مذهبة وكان للرغبة في استخدام الألوان المتعددة في القرن الرابع عشر أثر حاسم في تقدم التذهيب الإيراني فيما بعد وثمة مصحف بديع آخر تحتفظ به مجموعة تشستر بيتي بجزء منه ويحتفظ متحف الفنون الجميلة بمدينة بوسطن بالجزء الآخر وقد كتبه **عبد الله بن أحمد**[1] في مراغة في شوال سنة 738هـ/1338م وتتجلى في صفحات هذا المصحف قدرة المذهبين الإيرانيين الفائقة في التوفيق بين الكتابة والزخرفة وإخراجهما في شكل زخرفي موحد[2].

ولم يقتصر التذهيب في القرن الثامن هجري، الرابع عشر على المصاحف بل انتقل تدريجيا إلى المخطوطات المصورة، فزينت به مطالع أو خواتيم الفصول، أو اتخذ إطارا يحيط بالصورة ذاتها كما يشاهد في مخطوطة "مقامات الحريري " المؤرخة سنة 734هـ / 1334 م والمحفوظة بالمكتبة الأهلية بفيينا[3].

2.3. الخط على المسكوكات:

لا شك أن للنقود دورا مهما في الكشف عن هوية أي أمة بجميع سيماتها التاريخية والجغرافية وحتى الدينية والثقافية لذلك فهي بمثابة المرآة التي تعكس العديد من الجوانب على مر العصور، وإلى جانب هذا فهي وثائق تاريخية رسمية لا يمكن الطعن فيها لما توضحه من أسماء ملوك والحكام وألقابهم وشعاراتهم، وانطلاقا من هذا نحاول في هذا العنصر إبراز القيمة الفنية للنقود التي ظهرت في هذه الفترة من خلال الزخارف الكتابية التي نقشت على العملات النباتية والهندسية.

من أثرى مجموعات النقود الإسلامية نقود الدولة الإيلخانية في كل من إيران والعراق والتي قام بتأسيسها حكام المغول حيث تسجل دقة الكتابات التي عليها وجمال التصميم الذي يظهر زخارف التوريق الإسلامي، ومن القطع المصورة قطعة نقد فضي من فئة درهم ترجع إلى عهد السلطان أبو سعيد بهادر وقد ضربت في مدينة ساوهسنة717هـ / 1317م وقد كتب عليها الآتي:

---

[1]- مصحف عبد الله بن أحمد : عبارة عن ربعة مجموعها ثلاثون جزءا في شكل ورقي ترجع إلى العصر الإيلخاني كتبت باللغة العربية، رقم الحفظ 76نسخة، عبد الله بن محمد بن محمود الهمذاني تاريخ النسخ 13هـ عدد الأوراق في الثلاثين ربعة: 1160ورقة من نوادر المصاحف ، عليها وقف من قبل بكتمر بن عبد الله.

[2]- ديماند: المرجع السابق، ص ص 79، 80.

[3]- نفسه.

الوجه

المركز: لاإله إلا الله محمد رسول الله

جوانب المركز : صلى الله عليه وسلم

الهامش: تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير

الظهر :

المركز: ضرب في دولة السلطان الأعظم إيلخان المعظم أبو سعيد خلد الله ملكه

الهامش: ضرب مدينة ساوة سنة سبع عشر وسبعمايه[4]

2.3.1. الزخارف الكتابية:

يظهر في هذا النوع نمطين وهما الخط الكوفي المورق الذي تلحقه زخارف تشبه أوراق الشجر وتبعث في حروفه سيقان تحمل وريقات متنوعة الأشكال فتضفي على الحروف زخرفة جميلة ويظهر الخط الكوفي أكثر اتقانا وجمالا على نقود كل من الحاكم خدبندا وخلفه أبي سعيد من نقود الحكام الآخرين وجمعت هذه النقود بين الناحيتين الفنية والوظيفية .

وأهم ما ميز الزخارف الكتابية على النقود المغولية في إيران هو توظيف الكتابات باستخدامها كأطر زخرفية على القطع النقدية وقد برز ذلك على أحد الطرز لنقود أبي سعيد بهادر خان حيث استخدمت فيها جملة (فسيكفيكهم) كعنصر زخرفي على هيئة محراب يحيط بنصوص مركز الوجه للقطعة النقدية وهذه الجملة جزء من الاقتباس القرآني (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) إذ جمعت بين جمال الحروف وتوريقها وجمال المعنى وتعد هذه الظاهرة ميزة مهمة في عهد **السلطان أبي سعيد** بشكل خاص [5].

[4]– هدية جوان العيدان: "العناصر الكتابية والزخرفية المنقوشة على مسكوكات السلطان الإيلخاني أبي سعيد بهادر خان(717-736هـ)"، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، مج4، ع11، بغداد، 2010، ص 15.

[5]– رانية فوزي موسى عوم:نقود إيلخانية من متحفي الآثار في عمان واربد، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2001، ص 66.

2.3.2.الزخارف النباتية:

بدأ هذا الفن منذ القرن الثامن الهجري، الرابع عشر ميلادي يزداد قوة وجمالا حيث وصل الفنانون إلى أقصى حدود النجاح متأثرين بالأساليب الصبينية التي نقلها المغول، وتعد النقود مما اشتغل عليه في هذا العهد وراجت رواجا واسعا[1]، وقد اشتقت النقود الايلخانية زخرفتها من طابع الأرابيسك وهذه الزخارف صعيرة في شكلها وقد استخدمت لتتوج النص أو لتغطية الفراغ بين الحروف على سطح القطع النقدية وبدأ هذا النوع من الزخرفة مع النقود التي ظهرت في عهد مؤسس الايلخانية هولاكو خان وبقيت النقود في عهد أباقا محافظة على زخرفتها ولو أنها اختلفت عنها، لكننا نجدها اختفت تماما في عهد أرغون .

ومن أهم الزخارف النباتية الموجودة على النقود الايلخانية نجد نوع جديد من الأطر ظهر في نقود أباقا خان وهو الإطار بشكل دائري مكون من خطوط منحنية تشبه العروق النباتية، أما نقود أولجايتو فقد تميزت بزخرفة الأطر المزدوجة على شكل زهرة مكونة من عدة بتلات تحيط بنصوص المركز للقطعة النقدية والملاحظ أن شكل الزهرة تكرر على نقود أبي سعيد، ولكن بأشكال مختلفة إذ ظهر على عليها زهرة مكونة من ثمان بتلات ذات رؤوس بارزة[2] .

2.3.3. الزخارف الهندسية:

لقد شاع هذا النوع من الزخرفة في عهد الايلخانيين وتنوعت واختلفت أشكالها من حاكم إلى آخر فمثلا الأطر الهندسية في عهد هولاكو كانت دائرية، تحيط بنصوص القطع النقدية وطوّق مركز الوجه بسلسلة دائرية من الحبيبات الدائرية المنفصلة التي تشبه حبات اللؤلؤواستمر هذا النوع في عهد أباقا خان بالإضافة إلى ظهور نمط جديد من الأطر وهو الإطار الزخرفي (مربع داخل دائرة) ففي داخل المربع نقشت نصوص مركز الوجه ثم أحيط هذا المربع بسلسلة دائرية تمسه من الخارج في الأركان الأربعة.

كانت النقود في أول عهد غازان خان ينقش عليها اسم وألقاب السلطان بالخط الأويغوري مثل السابق، وكذلك بالخطوط الصينية والكوفية وكان الوجه الآخر ينقش عليه الشهادتين، ونقش على نقود المراحل التالية عبارة " الملك لله، غازان محمود " وفي الوجه الآخر منها الشهادتين، هكذا نقشت كلمة القرآن على العملات الإيلخانية لأول مرة، وتعد كلمتا "**تنغريئين**" و"**كوشوندور**" المفردات الوحيدة التي نقشت

[1]– زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي ، ص 208.

[2]– رانية فوزي موسى عوم، المرجع السابق،ص ص 66، 67.

بالخط الأويغوري على نقود هذا العصر، وتعني الكلمة الأولى "اللهم" والثانية بمعنى "القوة"، وتترجم العبارة : "بعون الله" هذا وقد عثر على نقود استثنائية ذهبية تعود إلى هذه الفترة وزن كل واحد منها مائة مثقال نقش عليها اسم الولاية التي ضربت فيها العملة واسم السلطان وآيات من القرآن الكريم وأسماء الأئمة الإثني عشر وهو ما يدل على انتشار المذهب الشيعي في هذا العصر[1].

2.4. فن النحت على الحجارة و الجص في إيران:

بقي هذا النوع من الفن خاضعا لتأثير النمط السلجوقي في إيران حتى بعد ظهور الايلخانيين في سنة 656هـ/ 1258م وعرف أسلوب الزخارف الجصية تطورا لافتا في العصر المغولي إلى أشكال معقدة، ازداد تعقيدها شيئا فشيئا حتى غلب عليها طابع الازدحام والإفراط الزخرفي ويعود عدد من التحف الغنية بالزخارف إلى منطقة أذربيجان[2]، وتتجلى الزخارف الجصية المغولية في مسجد الحيدرية بقزوين حيث يعود تاريخه إلى النصف الثاني من القرن الثالث عشر وفيه يظهر التوريق المزدحم في منحوتات بارزة كما تظهر أشكال أخرى دقيقة من زخارف الدانتلا، قوامها مجموعات نجمية وأشكال مسننة، ورسوم متشابكة، نظمت جميعا على أرضية من تفريعات المراوح النخيلية المنحوتة نحتا غائرا، وثمة أثر آخر من أوائل العصر المغولي، يحتمل أن يكون معاصرا لمسجد الحيدرية وهو ضريح **جمبادي علويان** في همدان، وفيه بلغ الأسلوب المغولي في الزخرفة على الجص أسمى مراتبه، وهناك مثال رائع للزخرفة المغولية على الجص في القرنالثامن هجري، الرابع عشرميلادي، وهو محراب جامع في أصفهان يعود إنشاؤه إلى سنة710هـ/ 1310م من طرف أحد وزراء السلطان خدبندا اقتبس فيه العديد من المؤثرات السلجوقية، كما أن النصوص المنقوشة بخط النسخ والتوريق النباتي، تضفي على هذا المحراب مظهرا زخرفيا رائعا، وتجعل منه أنموذجا من أفضل النماذج التي تعبر عن الأساليب الفنية الإسلامية الصحيحة[3].

وشهد العصر المغولي انتشار العديد من الصناعات الأخرى تجلت فيها آثار الفنانين الإيرانيين والوقوف عندها يظهر مدى الاهتمام الكبير لدى الفنانين من أجل إظهار جوانب الجمال والذوق ومن أهم هذه

[1]-بياني:المرجع السابق،ص 329 .

[2] - ديماند: المرجع السابق، ص ص 104،105 .

[3]- نفسه.

الصناعات صناعة القاشاني[1]والأطباق الخزفية والنقش البارز على الأبواب والأخشاب وتفضيض المعادن ونسج الأقمشة العادية والمنسوجات المقصبة بالذهب وصناعة الأسلحة وغير ذلك .

وزاد رواج المنسوجات النفيسة في هذا العصر بسبب ازدياد الوارد من الأقمشة الصينية واتساع تجارة إيران مع الشرق، وتنقل أرباب الحرف والصنائع بأعداد كبيرةبما فيهم النساجين الذين حازوا المهارة في نسج المنسوجات المذهبة والمقصبة بالذهب[2]، كما كان على الأمراء والعمال أن يتقربوا من الايلخانات بأحسن الهدايا وأنفسها من المنسوجات وكانوا يشجعون على دعم هذا النشاط في مراكز حكمهم فبرزت مراكز عديدة لهذه المنسوجات في تبريز والكرج[3]وبغداد ومرو وطوس[4]وشوشتر وشيراز ونيسابور.

لقد أقبل النساجون في إيران على تقليد الموضوعات الزخرفية الصينية كالتنين والعنقاء وما إلى ذلك من الحيوانات الخرافية، ثم زهرة اللوتس وعود الصليب، ورسوم السحب الصينية التي امتازت بها المنسوجات الصينية منذ عصر **أسرة هان** (202ق.م-220م)، على أن اهتمام المغول بصناعة النسيج تظهر في المنسوجات التي يلبسها الأشخاص المرسومون في الصور أو التي تصنع منها المظلات والستائر وأغطية الأرائك[5].

3. العمارة:

رغم ماعرف عن المغول من طابع البداوة وحياة الترحال وعدم الاستقرار، إلا أنهم أجبروا على البقاء في العواصم وتأسيس الإدارات وجمع الوزراء والعمال الديوانيين حولهم، ولما لم يستطيعوا التخلي عن عاداتهم القبلية والتنقل من المشتى إلى المصايف فكان لهم غالبا محلان للإقامة المصائف في عراق العجم وآذربيجان (تبريز،

[1]-صناعة القاشاني: جاء اصطلاح قاشاني من مدينة قاشان في إيران حيث ازدهرت في صناعة هذا الفن في القرنين الثالث عشر والرابع عشر ومن أبرز العاملين في هذا المجال أبو القاسم عبد الله بن علي بن أبي طاهر القاشاني الذي كتب رسالة عام 1301م تحدث فيها عن هذا النوع من الصناعة وتتكون أشكال ألواح القاشاني في العادة من زخارف نباتية تجمع بين الزخارف ذات البريق المعدني الملون بالأزرق الفيروزي والأزرق الزهري وتكون الزخارف بارزة أحيانا. أنظر زكي محمد حسن: الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، ص 147.

[2]-أشتياني:المرجع السابق، ص 583.

[3]- الكرج : مدينة بين همذان وأصبهان في نصف الطريق . أنظر : الحموي:المصدر السابق ، مج4، ص 446.

4- طوس: مدينة بخراسان فتحت أيام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه. أنظر:نفسه، مج4،ص 49.

[5]- زكي محمد حسن: الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي،ص168.

موغان، أران، السلطانية) وثانيهما للشتاء في عراق العرب (بغداد) وشيدت في كل واحد من هذه المراكز الأمراء والوزراء قصورا وأبنية لهم.

ولعل ما استطاع المغول استحداثه لأنفسهم ولم يكن لهم عهد به هو الاهتمام ببناء المقابر، حيث طالما دفنوا موتاهم وخاصة الملوك منهم بعيدا عن أعين الناس في أماكن خفية وكان القبر لا يعرف على وجه الدقة، لكن بعد إسلامهم اتخذوا المقابر وأبدعوا في إنشائها حتى صارت سمة بارزة في العصر المغولي ويمكن إضافتها إلى النمط المعماري الذي ازدانت به الحضارة الإسلامية، حيث خصصوا لها الأوقاف كدليل على الاهتمام بإنشائها كما أبدوا اهتماما ببناء المساجد والمدارس والقصور.

المعروف أن المغول لم تكن لديهم أية تقاليد فنية في مجال العمارة والبناء وبما أنهم استوطنوا الأراضي الإيرانية فإنهم وضعوا أيديهم على مخلفات حضارية لأحد أكبر الشعوب تحضرا، لذا لا نجد المغول ينتجون شيئا من صنع أفكارهم، بل استعانوا في ذلك بالإيرانيين أنفسهم وعلى الصينيين.

وكان هولاكو محبا للعمارة للغاية حيث أمر ببناء العديد من الأبنية فأقام قصرا في "ألتاغ" وبنى معابدا في مدينة "خوى" وكان يشغل تفسه بالأبنية والعمارة[1]، وتمثل مأذنة جامع الخليفة التي تم تشييدها في سنة 678هـ/1279م أهم المباني التاريخية التي شيدت في العراق في عهد أباقا خان وعرفت فيما بعد باسم منارة سوق الغزل[2]، ومنذ عهد السلطان محمود غازان تعددت المباني وتنوعت، فكان السلطان خدبنداه محبا للعمارة وفنونها وذُكر أنه بنى بيتا لطيفا سماه الفردوس وجاء فيه أنه استدعى من بغداد أربعة آلاف من الصناع وأرباب الحرف والأعمال الدقيقة فذهبوا بأهليهم واستخدمهم للتعمير[3]، ومن المنشآت التي عرفت عناية في هذا العهد نجد:

– بناء المدن الشتوية والصيفية وعمروا بعض المدن التي دخلوهاكمدينة أوجان وتسميتها بمدينة السلام، وبناء محمود آباد بموغان وتجديد قسم من عمائر الري وتشييد قسم من السلطانية والربع الرشيدي بأمر من الوزير رشيد الدين فضل الله الهمذاني وجزء من أبنية تبريز بواسطة عليشاه الوزير وغير ذلك .

[1]– الهمذاني: تاريخ هولاكو، ص 337.

[2]– الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين، ص 116.

[3]– العزاوي: المرجع السابق، ص 498.

– الأبنية والمدارس ودور الخير كبناء دار السيادة وخانقاه النجف والأبنية وإقامةالمساجد والدور الخيرية التي شيدها عطا مالك الجويني في العراق ورشيد الدين في السلطانية .

– المقابر والقباب ومنها قبة شنب[1] غازان وقبتا السلطانية ومقبرتا خدبندا وأبي سعيد[2].

إن الواضح من المباني التي تم تشييدها في تلك الفترة أنه تم اقتباسها من التقاليد الفنية التي عرف بها السلاجقة مع بعض الزيادات التي حصلت عن طريق ذلك الاتصال بين المماليك والمغول[3]،ويظهر ذلك من خلال العديد من الأضرحة التي شيدها المغول على شكل أبراج ويظهر ذلك جليا في الضريح المشيد في مدينة مراغة والذي ينسب لإحدى بنات هولاكو؛ وهو مكون من برج مزين بفسيفساء من الفخار المطلي وفوقه هرم ذو قاعدة مثمنة[4].

وما يبرز من خلال الطراز المعماري أن المغول ظلوا أوفياء للطراز المعماري الصيني حتى بعد أن قطعوا علاقتهم مع الخان الأعظم، وليس هذا فحسب بل أن هذا الطراز المعماري تعدى الايلخانية الإيرانية نفسها لنجده يعبر إلى ما جاورها من البلدان التي تأثرت به[5].

ولعل المساجد نالت حيزا كبيرا من الاهتمام في عهد السلطان محمود غازان وهذا ما يعتبر تحصيل حاصل عن تحطيم تلك المعابد الوثنية والكنائس إذ أوجدت مكانها المساجد التي كثيرا ما أرفقت ببناء الحمامات في القرى، وكانت مداخيل هذه الحمامات تصرف على المساجد[6]، وبخصوص طريقة بنائها فإنها تعتبر خلاصة تقاليد فنية كثيرة تلاقت على أرض إيران وصاغها الفنان الإيراني في صورة عمل فني يحمل طابع الشعب الإيراني ويعبر عن شخصيته[7]، وأطلق السلطان مشروع بناء مدينة جديدة وهي السلطانية،والأكيد أن هذه المشاريع تتطلب أموالا كبيرة من أجل ذلك فإن هذا السلطان عمل على إيقاف أموال طائلة لتغطية

[1]– شَنْب: بفتح الأول وسكون الثاني وتعني القبة.أنظر الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين، ص 337.

[2]– أشتياني: المرجع السابق، ص 587.

[3]– إدوارد بروي: تاريخ الحضارات العام، تر: أسعد داغر، مج3، ط 2، منشورات عويدات، بيروت،1986، ص 556 .

[4]– زكي حسن محمد: الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، ص 29..

[5]– نوار:الطوائف المغولية وتأثيراتها، ص 142.

[6]– العزاوي: المرجع السابق، ص 231 .

[7]– حسن مؤنس:المساجد، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1981، ص 259.

تكلفتها، وعرفت حركة البناء نشاطا كبيرا في تلك الفترة واقتدى الأهالي بالسلطان في تشييد المباني والعمارات، واشتغل الآلاف من العامة بإقامة ما يزيد بمائة مرة على ما أقامه السلطان وتتصف تلك البنايات بوجود الحدائق المحيطة بها،والتي تحوي العديد من أنواع الأشجار وخاصة المثمرة منها والرياحين وقد تم بناء سور كبير يحيط بهذه الحدائق لحمايتها من التلف.

3.1. الضاحية الغازانية أو شنب غازان :

واحدة من الشواهد الأثرية الهامة خلال الحقبة المغولية وفيها مقبرته وهي أروع المنشئات وأكثرها فخامة وأدقها صنعة أمر بتشييدها وأشرف على بنائها بنفسه[1]، وهي تدل على مدى التطور العمراني في هذا العهد حيث أمر السلطان محمود غازان خان ببناء مدينة شمال غرب تبريز في السنة الرابعة من حكمه وتوصف بأن ساحتها أكبر من ساحة تبريز القديمة أطلق عليهاالغازانية، وحرص على أن تكون قبلة للتجار الأجانب من الروم والإفرنج[2]، وأمر بجلب أنواع الأشجار المثمرة والرياحين والحبوب التي لم تكن في تبريز ولم يرها أحد هناك مطلقا واحضروا بذورها، واشتغلوا بغرسها وإنمائها ويعد هذا المكان من أحسن المواقع في أذربيجان صفاء وخضرة وقد ذكرها ابن بطوطة في رحلته قائلا:"... وصلنا مدينة تبريز ونزلنا بخارجها في موضع يعرف بالشام وهناك قبر قازان ملك العراق وعليه مدرسة حسنة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر من الخبز واللحم والأرز المطبوخ بالسمن والحلواء وأنزلني الأمير بتلك الزاوية وهي مابين انهار متدفقة وأشجار مورقة..."[3]، كما أصدر أوامره إلى العمال والمهرة والمهندسين بأن يقيموا مقبرته هناك وكانت عبارة عن مكان مرتفع تعلوه قبة كبيرة وصفت بأنها أفخم من قبة السلطان سنجر السلجوقي في مرو[4]، وهي على هيئة مبنى مستقل من إثنتي عشر ضلعا يعلوه قبة مخروطية وكان يوجد نقش أعلى البرج نصه:**محمود غازان خلد الله ملكه،** وتبلغ قياسات الضريح 77.80مترا من حيث الإرتفاع وارتفاع الجدران قبل بداية القبة 60مترا، ويعلو الجدران كورنيش

[1]– الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين، ص 336.

[2]– الهمذاني:تاريخ غازان، ص 241.

[3] – ابن بطوطة: المصدر السابق، ج2، ص 76.

[4]– مرو: من أشهر مدن خراسان وقصبتها. أنظر:الحموي: المصدر السابق، مج5، 112؛ ليسترينج:المرجع السابق، ص 424 .

ارتفاعه حوالي 4.60مترا والقبة ارتفاعها حوالي 13متر[1]، وقد استمرت عمارة القبة خمس سنوات من697هإلى 702هـ، وحول هذه المقبرة شيدت مبان كثيرة أهمها مسجدا وصومعة ومدرستين احداهما للشافعية وأخرى للحنفية ومستشفى ومكتبة ومرصدا وبالقرب من تلك المؤسسات توجد مدرسة أخرى، كما يوجد بيت للقانون مخصص لحفظ كتب القوانين التي وضعت في عهد غازان ومسكن للأطفال وآخر للأشراف والسادة وحوض من الماء وكذلك حمام زكذلك ملجأ يسع مائة يتيم يتلون القرآن ويحفظونه[2].

وأمر بأن تكون المكوس في المدينة الجديدة هي نفسها السارية في تبريز حتى لا يقع أي اختلاف وبنيت على كل بوابة من البوابات الجديدة في تبريز خان كبير وأربع أسواق وحمام ومصانع وأصطبل للدواب حتى يأتيها جميع التجار الذين يفدون من مختلف الجهات[3].

3.2. الربع الرشيدي :

تعد المؤسسات العلمية أحد الشواهد على مدى التطور الحضاري لأي دولة، ويمكن لنا أن نجد مثل هذا في العهد الايلخاني، فقد ظهرت العديد من المؤسسات التي ترعى العلوم الدينية والأدبية، ولعل **الربع الرشيدي** أشهرها، ويمكن لنا أن نطلق عليها بيت الحكمة الايلخاني :

لقد شيد رشيد الدين مؤسسته العلمية في أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن الهجري في موضع يسمى "**وليانكوه**" شرقي تبريز، وفي الجهة الشمالية من سفح جبل "**سرخاب**"، ويعد هذا المكان من أحسن الأمكنة المحيطة بتبريز فهو يمتاز بارتفاعه وصفائه وبكثرة البساتين وكثافة الأشجار التي تحيط به من الجانبين، ولقد أورد كبار المؤرخين عن هذا الصرح أخبارا وأجمعوا على عظمة بنائه واتساع رقعتهويذكر عبد المعطي الصياد نقلا عن حمدالله القزويني:"إن الوزير السعيد الخواجة رشيد الدين طاب ثراه قد شيد بموضع "وليانكوه" داخل السور الغازاني – مدينة صغيرة أخرى أطلق عليها اسم الرشيدي بنى فيها عمارات كثيرة عالية"[4].

وبذل رشيد الدين في سبيل إقامة هذه المؤسسة أموالا طائلة ولم يبخل لا بوقته ولا بعنايته ولا بماله وهدفه من وراء ذلك ترك بصمة للأجيال اللاحقة ، وقد ذهب بعضهم إلى القول بأنه لا توجد أبنية في العالم

[1] – أنظر الصورة رقم (02)

[2] – الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين، ص ص 337، 338.

[3] – سعاد هادي حسن الطائي:مظاهر العمران في عهد المغول الإيلخانيين، ص 824.

[4] – الصياد: مؤرخ المغول الكبير ، ص 432؛ سرمد قاسم: المرجع السابق، 194.

تنافس عمارات الربع في الارتفاع وقد كتبت في أعلاها العبارة التالية :" حقا إن هدم هذا البناء يكون أشق وأصعب من تشييد بناء آخر"[1].

احتوى الربع على أربع وعشرين بيتا للضيافة تمتاز بالفخامة والعلو والمنعة، كما يشتمل على ألف وخمس مائة دكان، وأنه شيد فيه ثلاثين ألف منزل، كما أنشأ به حمامات نقية الهواء وحدائق غناء وطواحين ومصانع للغزل ولصناعة الورق والصباغة، ودارا لضرب النقود وألحق به مدرسة ومستشفى ودارا للسيادة، ومكتبة عامرة بنفائس الكتب وقبة ليدفن فيها بعد موته.

وكان هذا الصرح يتطلب إعماره بالسكان طلبة العلم لذا فإن رشيد الدين أحضر من أماكن عدة جماعة وأسكنهم في هذا الربع فكان من بينهم الحفاظ وعددهم مائتان وأسكن كل مائة في جوار القبة عن اليمين وعن الشمال في الحي الذي أنشأه لهم وأجرى لهم الرواتب من الأوقاف الموجودة من مختلف الجهات فأهل اليمن كانوا يأخذون رواتبهم من حاصل أوقاف شيراز، بينما كان يأخذ أهل الشمال رواتبهم من حاصل أوقاف الروم، وقد اختار جماعة آخرين من القراء من أهل العراق والشام اشتهر بعضهم بمعرفة القراءات السبع، بينما اشتهر آخرون بمعرفة القراءات العشر، وكلفهم بأن يشتغلوا بتلاوة القرآن الكريم في دار القرآن كل يوم حتى وقت الضحى، وعهد إليهم بأربعين من غلمان أتباعه ليعلموهم القراءة، وبالإضافة إلى هذا كان قد سمع جماعة من شهرة رشيد الدين من أهل خوارزم وتبريز وغيرهم ممن امتازوا بحسن قراءتهم فحضروا الربع وكلفهم بأن يرتلوا القرآن من الضحى حتى وقت الزوال[2].

وقد وفر رشيد الدين سبل الراحة لسكان هذا الربع فأمدهم بالمياه من نهر يسمى "سرا ورود" وكانت هذه المياه تضيع هدرا في البقاع المجاورة لتبريز دون أن يستفيد منها أحد فحفر ترعة تكلفت نفقات باهضة إذ أنها حفرت في قلب الصخور الصم، وامتدت خلال جبل "سرخاب"[3] وخلال التلال والوديان حتى وصلت إلى الربع هذا فضلا عن الآبار التي كان يحفرها لجلب المياه والتي كان يصل عمقها إلى أكثر من 70 ذراعا.

[1]- الهمذاني: جامع التواريخ ، ج1، ص 24.

[2]- الصياد:مؤرخ المغول الكبير، ص 433.

[3]-الهمذاني: جامع التواريخ ، ج1 ، ص 24.

3.3. دور الوافدية في العمارة المملوكية :

لقد ساهم الوافدية من المغول في النهضة العمرانية التي ظهرت في العهد المملوكي فبعد استقرار هؤلاء وصار منهم القادة والأمراء وبعد اعتناقهم الإسلام سجلوا أنفسهم في صفحات خالدة في تاريخ العمارة المملوكية وشاركوا في العمارة بنوعيها المدنية والدينية التي توزعت في أحياء القاهرة وتنوعت بين المساجد والخانقوات وحارت وقيساريات وبعض الأربطة والحمامات والمدارس .

ومن أمثلة ذلك رحبة كتبغا المنسوبة إلى السلطان زين الدين كتبغا[1]وكانت من جملة إسطبل الجميز وسكنها بنوه من بعده فعرفت باسمه، وهناك أيضا دار طينال التي كانت بخط الخراطين داخل الدرب المعروف بخربة صالح وكان موضعها وما حولها في العهد الفاطمي مارستانا، وأنشأ هذه الدار الأمير **طينال التتري** الجنس وكان أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون، كما كانت تنسب إليه أيضا قيسارية بسويقة أمير الجيوش[2].

وهناك حكر أقبغا الذي ينسب للأمير المغولي الأصل أقبغا بن عبد الواحد استادار السلطان الناصر محمد بن قلاوون وشقيق زوجة السلطان المعروفة باسم طغاي الخونده الكبرى وأم ابنة الأمير أنوك ، وأذن أقبغا للناس في تحكيره فحكر وبنى فيه العديد من المساكن وإلى العصر الذي عاش فيه المقريزي كان " يجبى حكره ويصرف في مصارف المدرسة الأقبغاوية (التي بناها أقبغا هذا أيضا) المجاورة للجامع الأزهر بالقاهرة" وكان أول من عمر حكر أقبغا هذا استادار الأمير جنكل أو جنكلى بنالبابا المغولي الأصل فتبعه الناس، ولما بنى الناس فيه عرف بالآدر بكثرة منسكن فيه من المغول الوافدية من أصحاب الأمير ابن البابا[3]الذي عمر هو نفسه تجاه

---

[1]– كتبغا زين الدين: كتبغا بن عبد الله المنصوري السلطان الملك العادل زين الدين التركي تولى السلطنة سنة 694 هـ بعد الناصر محمد بن قلاوون توفي يوم الجمعة يوم عيد الأضحى سنة 702هـ أنظر: ابن حبيب:المصدر السابق،ص 169(حاشية1)؛ ابن تغري بردي:الدليل الشافي، ج1، ص 554 ؛ المقريزي:السلوك، ج2، ص ص 259 ، 260.

[2]– المقريزي:الخطط، ج2، ص 529.

[3]–ابن البابا: في تحفة النظار ابن البابه جنكلي بن محمد بن البابا بن جنكلي بن خليل بن عبد الله العجلي بدر الدين كان مقامه بالقرب من آمد تحت حكم المغول: كان يحب العلماء ويطارحهم توفي سنة 746هـ. أنظر: ابن بطوطة: المصدر السابق، ج1، ص 215 (هامش 127).

هذا الحكر حمامين استمرا حتى عصر المقريزي كما يذكر هو نفسه، كما أنشأ ابن البابا بعمارة هذا الحكر بظاهره سوق وجامع، وهناك درب خارج باب زويلة ينسب إلى هذا الأمير المغولي يعرف بدرب ابن البابا[1].

على أن النشاط العمراني لهذه الفئة ارتبط بالأمير **سيف الدين قَوصون** المغولي الوافد من بلاد القبيلة الذهبية إلى مصر صحبة الأميرة المغولية التي تزوجها السلطان الناصر محمد بن قلاوون، والذي أصبح من كبار أمراء الدولة وعلا شأنه، وقد تم ذكر نشاطه العمراني في مصر وهو ما لاحظه الرحالة ابن بطوطة عند دخوله مصر وأشار إلى هذه الشخصية باعتباره من كبار رجال الدولة[2]وما له من خيرات وبناء المساجد والزوايا وله أبنية بمصر منها الجامع الذي أقامه خارج باب زويلة وعرف باسمه عام 730هـ/1329م بالإضافة إلى الخانقاه داخل باب القرافة تجاه الجامع المنسوب إليه والتي أتم عمارتها عام 736هـ/ 133م وأنشأ بجانبه حماما عرف باسمه بالإضافة إلى القصر المعروف باسمه بالقرب من مسجد ومدرسة السلطان حسن، بجانب الوكالات ذات الطابع الاقتصادي التي أنشأها الأمراء المغول المماليك في مصر تمثل إسهاما من قبل هؤلاء المماليك المغول الأصل في النشاط الاقتصادي للدولة المملوكية .

كما أن النشاط العمراني امتد ليشمل أميرات مغوليات من زوجات وبنات السلاطين المماليك، فهناك دار طولباي أو طلنباي المنسوبة إلى الأميرة المغولية **طلنباي أو دلنبية**[3]زوجة السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وهناك قصر يعرف بقصر الحجازية كان قد بدأ في بناءه الأمير قَوصون[4]ومات قبل إتمامه فصار يعرف بعد ذلك بقصر قوصون إلىأن اشترته **خوند تتر الحجازية** ابنة السلطان الناصر محمد بن قلاوون من إحدى زوجاته المغولية فعمرته عمارة وتأنقت فيه تأنقا زائدا، وأجرت الماء على أعلاه وعملت تحت القصر إسطبلا كبيرا

---

[1]– المقريزي:الخطط، ج2، ص 633.

[2]– نوار:الطوائف المغولية في مصر، ص 144.

[3]– طولباي: ذكرها المقريزي باسم دلبية وطلوبية ابنة طفاجي بن هندر بن بكر بن دوشي (جوجي) بن جنكيزخان خطبها السلطان الناصر محمد من مغول القفجاق في عهد ملكهم محمد أوزبك . أنظر: المقريزي:الخطط، ج2، ص 509.

[4]– قَوصون: بفتح القاف وصاد مهملة، وهو قوصون الساقي الناصري حضر مع الجماعة الذين أحظروا ابنة أوزبك خان زوج السلطان الناصر فاشتراه الناصر بثمانية آلاف درهم فسلمها التاجر إلى أخيه صوصون وعظمت مكانته عند السلطان الناصر وزوجه بابنته عام 727هـ وقد وصلت قيمة الهدايا في عرسه إلى خمسين ألف دينار وإليه ينسب الجامع الكبير في القاهرة. أنظر: ابن بطوطة:المصدر السابق، ج1، ص 215 (هامش 131) .

لخيولها وساحة كبيرة يشرف عليها من شبابيك من حديد وأنشأت بجواره مدرستها التي تعرف بالمدرسة الحجازية[1].

وهناك إشارة إلى امرأة أخرى تدعى **خوند** نسبة إلى الأمير **خوندار دوتكين** المغولي الأصل وزوجة الأشرف خليل بن قلاوون وتعرف بالست الجليلة وقد ذكر المقريزي أنها سكنت في الدار التي عرفت باسمها "دار خوند" وأنشأت بها تربة تعرف بتربة الست وجعلت لها عدة أوقاف[2]، بالإضافة إلى خانقاه كانت تعرف باسم خانقاه أم أنوك وهي الخاتون طغاي أو طغاي الخونده الكبرى زوجة السلطان الناصر محمد وأم ابنة أنوك، كما توجد إشارة لامرأة تعرف باسم **دولاي** ابنة الأمير عبد الله التتري التي جعلت من أحد الربط مسجدا ورباطا عينت فيه إماما ومؤذنا[3] وهناك عديد الأمثلة التي تدل على النشاط العمراني للماليك المغول في مصر وإسهامهم في ذلك.

3.4. نماذج عمارة العهد الجلائري :

اهتم الجلائريون بمجال العمارة ولا يمكن فصل أسلوب العمارة في هذه الحقبة عن الأسلوب الذي كان في عهد الايلخانيين غير انه لا تتوفر لدينا الكثير من النماذج عن ما تم إنجازه، ومن أهم العمائر التي وجدت في عهدهم: عمارة دمشقية وعمارة دولت خانة بتبريز .

- **عمارة دمشقية:** ولا يوجد حولها معلومات كافية غير أن بناءها يعود إلى بغداد خاتون بنت الأمير جوبان والتي زوجة للشيخ حسن برزك وبعد طلاقها منه صارت زوجة السلطان أبو سعيد، وتميزت هذه العمارة بارتفاعها الشديد وقد دفن بها دمشق باشا ولد الأمير جوبان، والشيخ حسن بن السلطان أويس الجلائري وبقية أبناء أويس السلطان حسين والسلطان أحمد.

[1]- المقريزي:الخطط، ج2، ص 518؛ نوار:الطوائف المغولية في مصر، ص 149.

[2]- المقريزي:الخطط، ج2، ص 503.

[3]- نوار:الطوائف المغولية في مصر، ص 147.

- **عمارة دولتخانه:** أمر ببنائها السلطان أويس في تبريز واتخذها ديوانا للحكم وقصرا له ووصفت بأنها في غاية الارتفاع والاتساع وجميلة النقوش وتعرض جزء منها للتخريب على يد ميرانشاه بن تيمورلنك و بعد زوال دولة الجلائريين اتخذها القراقويلو[1] مكان لحكمهم[2].

ولعل مايمكن أن نختتم به هذا الفصل ما قاله الدكتورزكي محمد حسن بخصوص النهضة الفنية التي كانت في عهد المغول :" مهما يكن الأمر فقد دمر المغول في فتوحاتهم كثيرا من المدن وهرب من طريقهم إلى مصر وغيرها من الأقطار الإسلامية كثير من الصناع والفنانين ولكن كل هذه الاحداث كانت عارضة فإن هولاكو وخلفاءه كانوا يشملون رجال الفن بعنايتهم بل كانوا حين يخربون المدن يعنون بإنقاذ الفنانين وأرباب الصناعات والواقع أنهم أصابوا قسطا وافرا من التوفيق في النهضة بالفنون والصناعات والآداب"[3].

[1]- القراقويلو:قبائل تركمانية شيعية مسماة قراقويون وتعني الخراف السود وكانت هذه القبائل قد استقرت في العراق الشمالي حول الموصل منذ عام 1357م وكذلك في المناطق المجاورة لأرمينيا وفي 1390م صار قره يوسف زعيما اهم وكان نيشطا ومحاربا استطاع القضاء على سلالة الجلائريين بعد معركة انتصر سنة 1410م بالقرب من تبريز .أنظر: شبولير بيرتولد: المغول في التاريخ، ص ص 145، 146.

[2]- شعبان طرطور:المرجع السابق، ص ص 138، 139.

[3]- زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، ص 28.

الخاتمة

تناول البحث الإسهامات الحضارية للإمبراطورية المغولية(656-760هـ/1258-1360م)، وخلصت إلى مجموعة من النقاطوهي كالتالي:

- المغول جموع من قبائل الترك انحدروا من شرق آسيا من المنطقة المعروفة اليوم بمنغوليا وبعد حياة التشرذم والتناحر اجتمعت تحت راية واحدة واندفعوا بكل قوة إلى مختلف جهات العالم المتمدن أين ابتلى بهم الناس وذاقوا منهم أشد وأقسى ضروب القسوة والعنف.

- المغول قوة عسكرية عرفت تنظيما قويا محكما يظهر من خلال الإستراتيجية المتبعة في القضاء على أعدائهم وليسوا مجرد أقوام همجية خرجوا من أجل التخلص من حياتهم البدائية وإنما تمكنوا وظهروا على الساحة السياسية والحربية بعد ما اجتمعت لهم أسباب النصر من القوة والوحدة والطاعة العمياء والإخلاص لقائدهم.

- جنكيزخان ودور القائد القوي الشجاع والمحنك في جمع شتات قبائل الترك وخروجه بهم وفق خطة وإستراتيجية محكمة، ورغم صعوبة الفرد المغولي إلا أنه استطاع فرض نفسه والتغلب على الظروف وكون جيشا منظما منضبطاقاد به غزواته وحقق انتصارات كبيرة في آسيا.

- الياسا قانون المغول ودستورهم يجمع بين العادات المغولية القديمة و مراسيم سنها جنكيزخان وفق أفكاره وشرعها لشعبه وهي تنم عن شخصية سياسية وحكيمة وليس كما يُعتقد بأنه شخصية همجية .

- البيئة القاسية والظروف المناخية الصعبة وشظف العيش كلها عوامل ساعدت في صقل شخصية الفرد المغولي وجعلت منه رجلا جلدا وقويا، ولكن هذا الرجل استطاع التأقلم مع بيئة جديدة بعد الهجرات المغولية التي وصلت إلى غرب آسيا ومصر وصار ما اصطلح عليهم بالوافدية طبقة مؤثرة في مجتمع مصر المملوكية.

- لا يمكن وصف الجرائم التي ارتكبها المغول بأنها الأبشع والأفظع على مر التاريخ فالتاريخ مليء بمثل هذه الأحداث الدموية، وإذا كان هذا الوصف صحيحا وحكما مطلقا فقد حدث هذا قبل ثمانية قرون وما يمكن قوله حول ما حدث في القرنين العشرين والواحد والعشرين من مجازر ضد الإنسانية وبخاصة وأن مرتكبيها من دعاة الحضارة والتمدن.

- لا يمكن اعتبار العصر المغولي عصرا ميتا أو مظلما بالنسبة للحضارة الإسلامية عامة وإيران خاصة بل ظلت الحضارة تتجدد وفق منظور وفكر مغولي مغاير لما عرف من قبل؛ يقول المستشرق الروسي بارتولد:" إن كان في تاريخ إيران عهد وقف فيه الشعب الإيراني في الصف الأول من حضارة العالم ، فهو العهد المغولي مع أن كثيرا من العلماء يذهبون إلى أن المغول لم يعملوا في إيران غير تخريب الحضارة" .

- البيئة فرضت نظامها على هؤلاء البدو بما لذا نجد أن تلك التصرفات العنيفة وطابع القسوة الذي غلب عليهم ما هو لا نتيجة للظروف القاسية التي نشأوا فيها ونحن هنا لسنا بصدد تبرئة هذه الشخصية من الأعمال التي قام بها بل من أجل إعطاء الصورة الحقيقية لها وبعيدا عن جنكيزخان فإن التاريخ مليء بمثل هذه الأحداث العنيفة الهمجية فالخوارزميون أعملوا السيف لإخضاع أعدائهم واتخذوا منه وسيلة ولا تختلف أفعالهم من حيث الشدة والغلظة وتاريخ البشرية حافل بهكذا أحداث فإذا كانت الطبيعة القاسية أملت تعاليمها على جنكيزخان وأتباعه فما الذي حمل الفرنسيين على إبادة الجزائريين في الحقبة الاستعمارية مع اختبائهم في بداية الأمر وراء نشر الحضارة، ولله در الدكتور أبو القاسم سعد الله رحمة الله عليه حين أورد مقارنة في كتابه الحركة الوطنية في جزئه الأول عن الاستعمار الفرنسي للجزائر والغزو المغولي لبغداد.

- تم حسم الصراع الذي اشتد بين الديانات خاصة الإسلام والمسيحية الذين عرفا تنافسا كبيرا في البلاط المغولي، وبالرغم من الاهتمام الذي أولاه الحكام الأوائل للإيلخانية بالمسيحية والمسيحيين إلا أن الإسلام كان يشق طريقه إلى التمكن من قلوب هؤلاء القوم، وكان اعتناق بركة خان الإسلام تحقق نصر الإسلام والمسلمين على أعدائهم.

- يعود الفضل للمغول في جمع البلاد المتحضرة من بلاد الشرق الأدنى والشرق الأقصى تحت سلطان أسرة واحدة وقوم واحد مما ساعد على مساعدة عظيمة في الشؤون المدنية .

- لعب المغول دور الوسيط في نقل المؤثرات الحضارية بين شرق آسيا وغربها ويمكن القول أن إسهامهم في الحضارة الإسلامية كان يقتصر على رعاية العلوم والعلماء .

- أسهمالمغول في تنشيط الحياة الثقافية، وربطت إيران بين الشرق الأقصى والغرب (شرق القارة الآسيوية وغربها) خاصة الجانب العمراني الذي يبدو فيه التأثر بالفن الصيني واضحا وتظهر مساهمة مغول إيران في هذا المجال من خلال إيصالهم لهذا النوع من الفن إلى الدول المجاورة حيث نجده منتشرا في مصر في العهد المملوكي.

- ساهم المغول في انتشار الإسلام بين المغول وذلك عندما أسلم المئات من الأمراء والجنود ،وليس هذا فحسب بل نجد أن العديد من الأمراء في الصين اقتدوا به ومنهم أننده حفيد قوبيلاي خان والذي بدوره تبعه العديد من أتباعه هناك في الصين لتتجسد مقولة المقريزي عند ما قال :" وفشا الإسلام في التتر" ونلمس هنا الروح التي زرعها جنكيزخان وهي روح الإخلاص للقائد وطاعة أوامره.

- الإسلام أخرج المغول من حياة البدائية والهمجية إلى حياة التحضر وتهذب المغول بمظاهر الحضارة ويظهر ذلك من خلال تطور أسلوب معيشتهم وتغير نمطها فانتقلوا من الخيام إلى القصور صارت مقابرهم معروفة بعدا ما اكتنف الغموض أمر موتاهم وحتى مقابرهم صارت مثالا ونمطا عمرانيا أضاف أشياء جديدة للعمارة عامة .

- تطور المجتمع المغولي وذلك عندما تخلص من العادات المغولية البدائية والعرف الساذج فأصبح زواجهم مختلفا عن ذي قبل،وشعائرهم الجنائزية تغيرت وصار المغول يشيعون موتاهم على غرار كل المسلمين.

- يعد كتاب جامع التواريخ للوزير الطبيب والمؤرخ سمة بارز في العصر المغولي فهو ليس مجرد كتاب تاريخ خص به تاريخ المغول بل كونه شمل الفن والتصوير إلى جانب الأحداث التاريخية فمخطوطاته المصورة تعد شاهدا على ارتقاء هذا الفن في عصر المغول.

- ساهم المجتمع الإسلامي المتحضر في تطور الدولة المغولية بعدما انصهر أولئك البدو في وسط الإيرانيين ليتجلى لنا بذلك تغلب ثقافة المغلوب على الغالب وهي صورة لا تتكرر دائما والمعروف أن الغالب هو الذي يفرض عاداته وثقافته على المغلوب، وهنا نجدها عكست نظرية ابن خلدون عند ما يتحدث في كتابه المقدمة عن الأثر الذي يتركه الغالب في المغلوب فهو يقول بأن المغلوب يقلد الغالب في اللغة والعادات والتقاليد والملبس.

الملاحق

الخريطة رقم (01):

خريطة موقع المغول الأصلي

مرجونة، المرجع السابق، ص 539.

الخريطة رقم (02)

خريطة توضح انتشار بعض من قبائل المغول

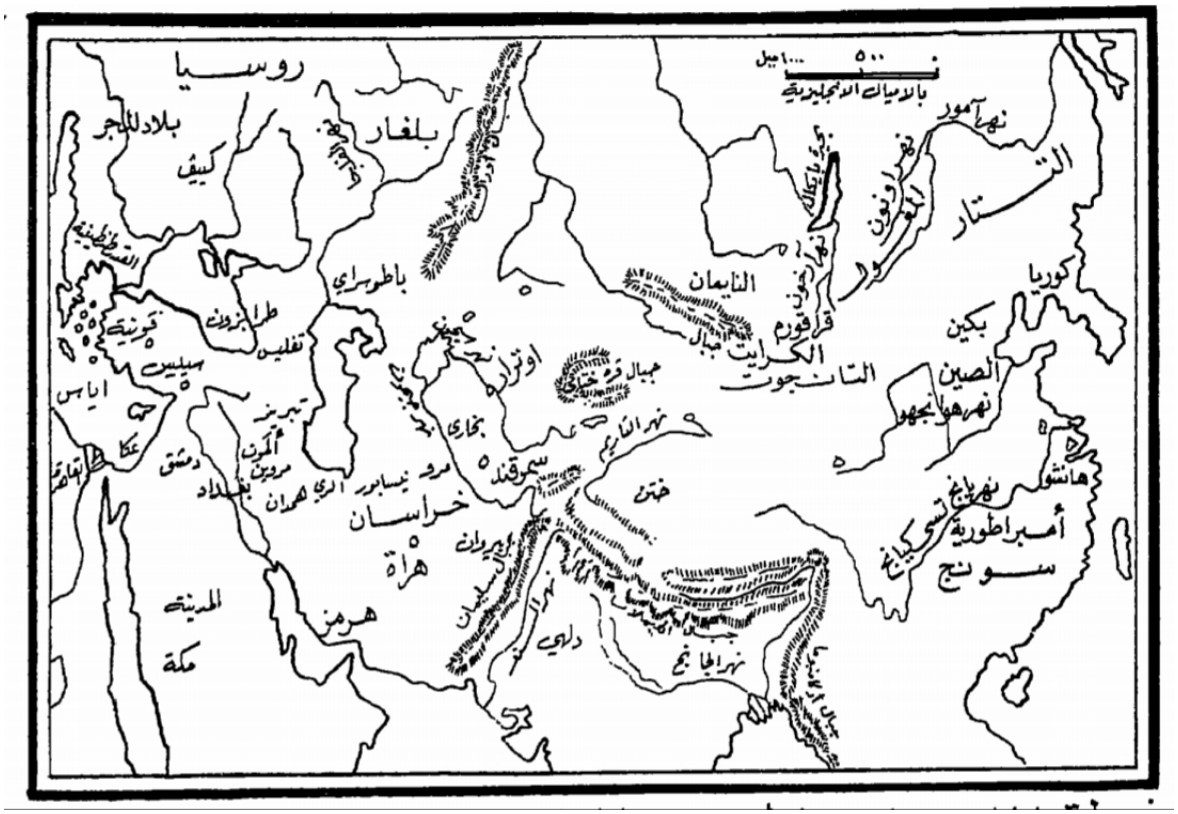

الصياد : الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين، ص552.

الخريطة رقم (03)

إمبراطورية المغول خلال القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي

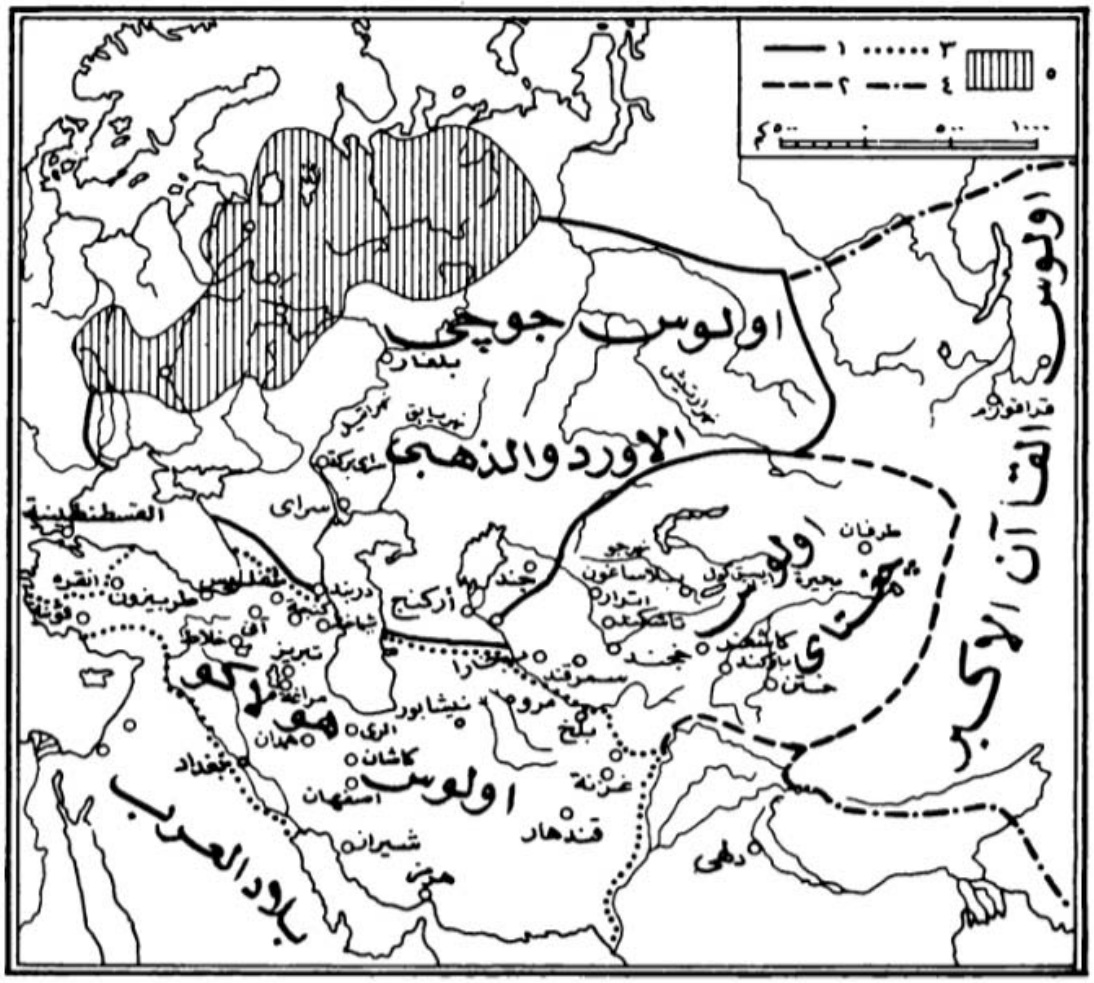

1- أولوس جوجي القبيلة الذهبية

2- أولوس جغتاي

3- أولوس هولاكو(إيلخانات فارس)

4- أولوس القاآن الأكبر

الصياد : الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين، ص 554.

الخريطةرقم(04)

خريطة توضح أملاك الإيلخانيين

مرجونة: المرجع السابق،ص 548.

الجدول رقم(01)

شجرت نسب القبيلة الذهبية وإيلخاناتها

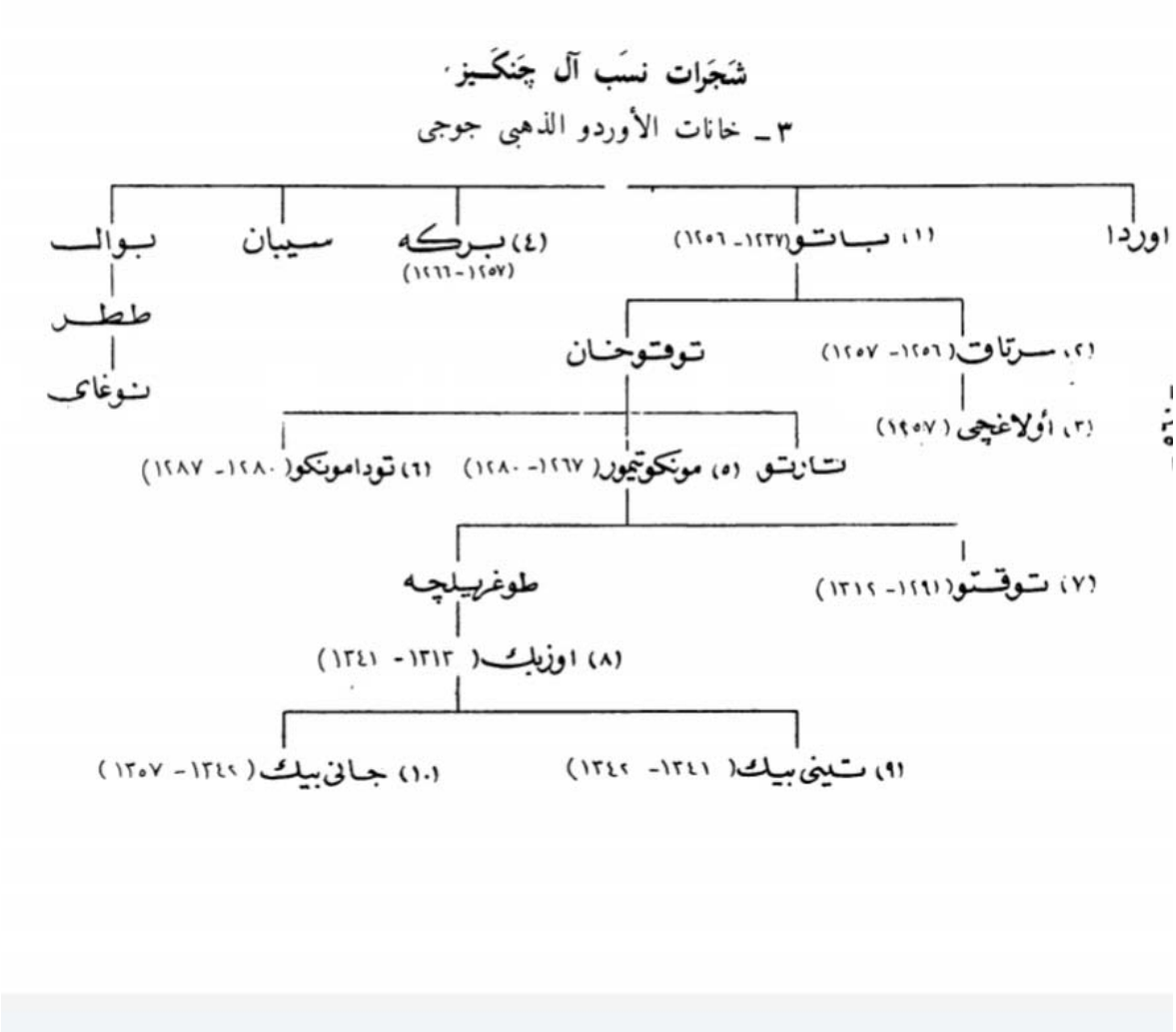

الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين، ص 560.

الجدول رقم (02)

شجرة نسب الايلخانيين وإيلخاناتها

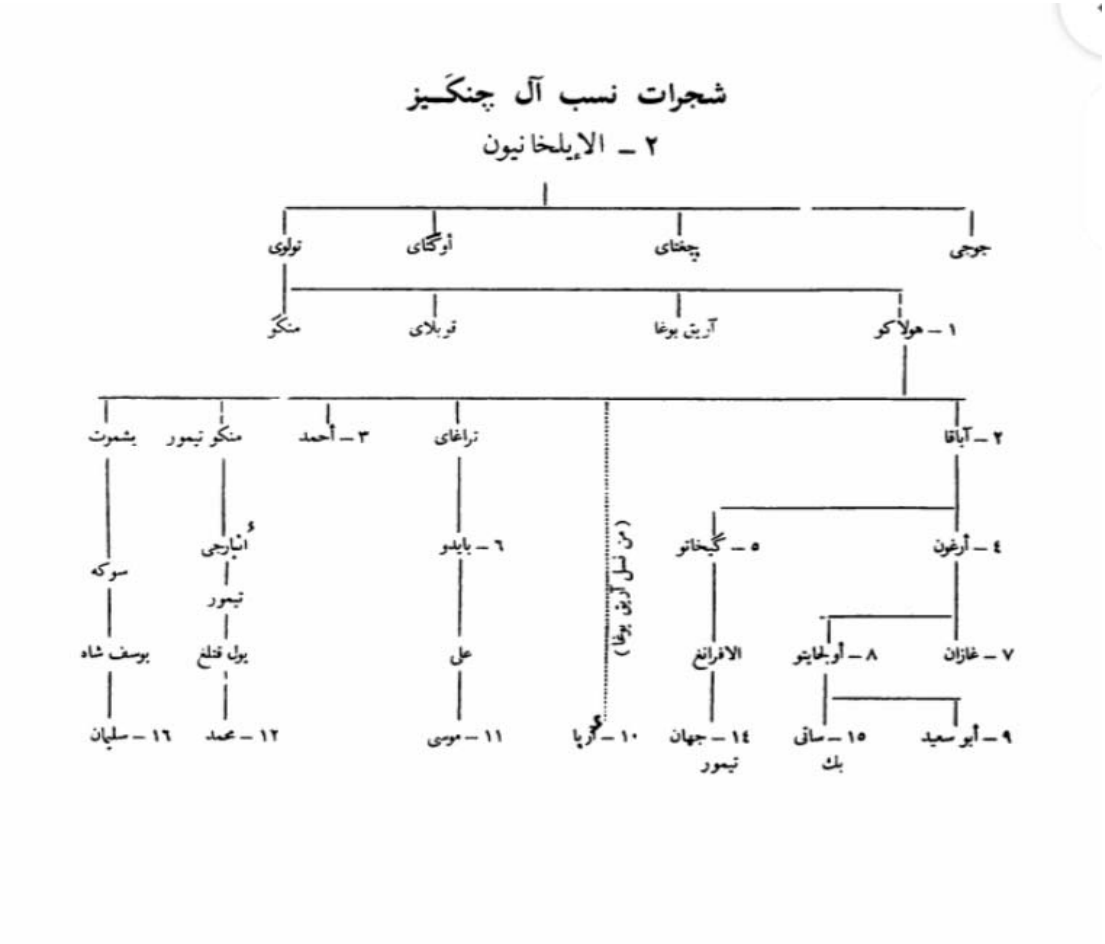

الصياد: الشرق الإسلامي، ص 559.

الجدول رقم(03)

شجرت نسب الجغطائيين وإيلخاناتها

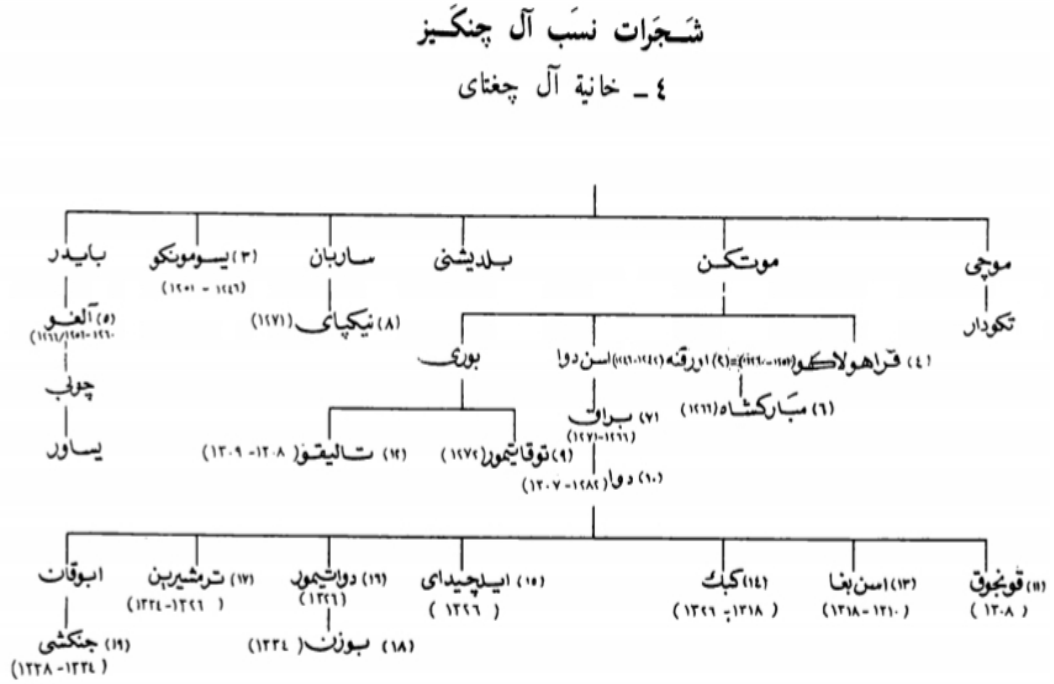

الصياد: الشرق الإسلامي، ص 561.

المخطط رقم(01)

مخطط لمسكن مغولي من الداخل

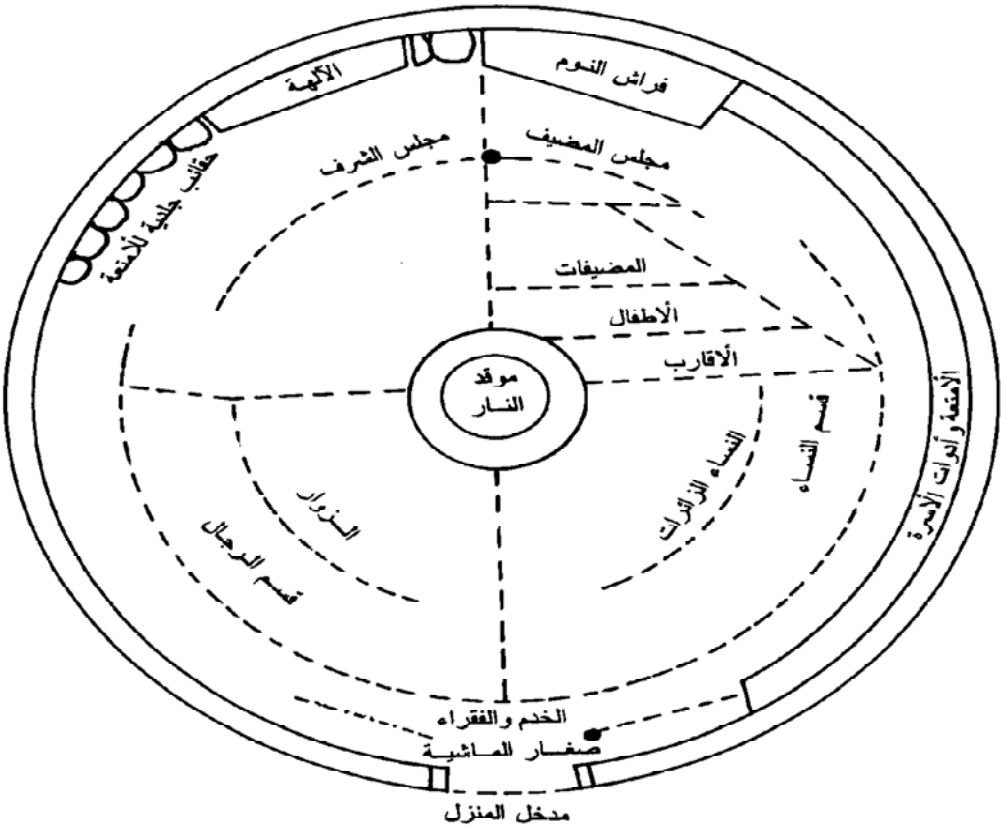

تقسيمات منزل الفرد المغولي من الداخل

الغامدي: المرجع السابق، ص 72.

الصورة قم(01)

درهم ضرب في عهد أباق خان

اللوحة ١٢: درهم أباقاخان، ضرب بغداد سنة ٦٦٦هـ، محفوظ بجامعة تيوبنجن تحت رقم، GC7E3، لم يسبق نشره.

الشكل ١٢: رسم توضيحي لدرهم أباقاخان، ضرب بغداد سنة ٦٦٦هـ.

عاطف منصور، المرجع السابق، ص92.

الصورة رقم (02)

صورة لقبة السلطان غازان خان

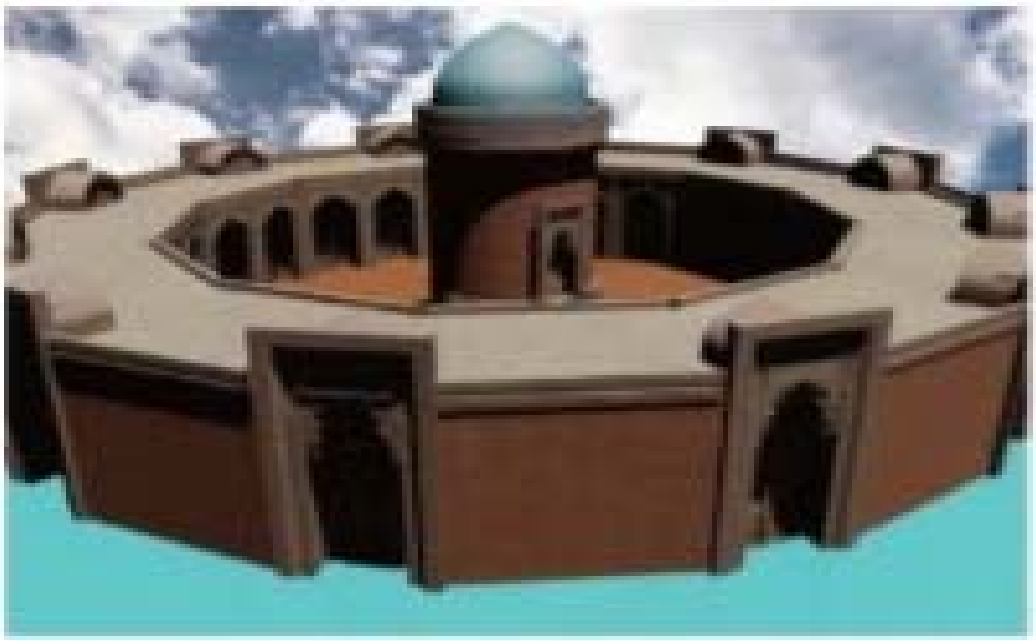

https://alarabi.nccal.gov.kw/Home/Article/16914

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولا / المصادر :

1-ابن الأثير أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني(ت630هـ):

- الكامل في التاريخ، مر:محمد يوسف الدقاق، مج10،ط4، دار الكتب العلمية،لبنان، 2003.

- اللباب في تهذيب الأنساب، ج3، مكتبة المثنى، بغداد، (د.ت).

2- ابن أجا محمد بن محمد الحلبي(ت881هـ):العراك بين المماليك والأتراك، رحلة الأمير يشبك من مهدي الدوادار،ط1، دار الفكر، 1986.

3- ابن بطوطة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (779هـ):تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الإسفار، تح : عبد الهادي التازي، مج4،أكاديمية المملكة المغربية، الرباط،1997.

4- البدليسي شرف خان:شرفنامه، تر: محمد علي عوني، مر: يحيى الخشاب، ج2، ط 2، دار الزمان، سوريا، 2006.

5- ابن تغري بردي جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت874هـ) :

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تق: وتع: محمد حسين شمس الدين، ج7، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1992.

- الدليل الشافي على المنهل الصافي،تح: فهيم محمد شلتوت،ج1،ط2،دار الكتب المصرية، القاهرة، 1998.

- حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تح: محمد كمال الدين عزالدين، ج1، ط1، عالم الكتب، 1990.

6-ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم عبد السلام تقي الدين الحنبلي(ت728هـ): الفتاوى الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، مج1، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان،1987.

7- الجبرتي عبد الرحمن بن حسن:عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تح: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، تق: عبد العظيم رمضان، ج1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1997.

8- الجرجاني علي بن محمد السيد الشريف(ت816هـ):معجم التعريفات، تح : محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة.

9- الجوزجاني منهاج السراج أبي عمر منهاج الدين(ت658هـ): طبقات ناصري، تر: ملكه علي التركي، ج2 ، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة ، 2012.

10- الجويني علاء الدين عطا ملك(ت681هـ)،تاريخ فاتح العالم، تح:محمد عبد الوهاب القزويني، تر: السباعي محمد السباعي، ج1،ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2007.

11- ابن حبيب الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر(ت779هـ):تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تح: محمد محمد أمين،ج1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1976.

12- ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي (ت852هـ): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، 1414هـ.

13- الحموي شهاب الدين أحمد أبو عبد الله ياقوت الرومي (ت626 هـ): معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2008.

14- ابن خلدون عبد الرحمن(808هـ):ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج5، مر: سهيل زكار، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، 2000.

15- ابن دقماق صارم الدين إبراهيم بم محمد بن أيدمر العلائي(ت809هـ):نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، تح : سمير طباره، ط1، المكتبة العصرية، صيدا،بيروت ، 1999.

16- الدمشقي محمد بن طولون الصالحي (ت 853هـ):إعلام الورى بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تح:محمد أحمد دهان، ط2، دار الفكر، 1984.

17- الدوادار بيبرس المنصوري ركن الدين(ت 725هـ):زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة،تح: دونالد س.ريتشاردز، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، 1998.

18- الديار بكري حسين بن محمد بن الحسن(ت966هـ): تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، ج2، مؤسسة شعبان، بيروت.

19- الذهبي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان(ت748هـ):

- سير أعلام النبلاء، تح: بشار عواد معروف، ج21، ط 11، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996.

- العبر في خبر من غبر، تح: محمد السعيد زغلول،ج3، دار الكتب العلمية،بيروت ، (ب.ت).

- دول الإسلام: تح حسن إسماعيل مروة، ج2، ط1، دار صادر،بيروت،1999.

20- الرمزي:من تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، مج1، ط1، المطبعة الكريمية، أوزبورغ.

21-سبط ابن الجوزي أبي المظفر يوسف(ت654هـ):مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تح: إبراهيم الزيبق، ج22، ط1، الرسالة العامة، بيروت، 2013.

22- السخاوي شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت902هـ):

- الذيل التام على دول الإسلام، تح: حسن إسماعيل مروة، ج2، ط1، دار ابن العماد، بيروت،1999.

- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج1، دار نشر الثقافة، القاهرة.

23- ابن سعيد المغربي أبو الحسن علي بن موسى(ت685هـ):كتاب الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، ط1،المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،1970.

24- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن(ت911هـ):تاريخ الخلفاء،ط1، دار الكتاب العربي،بيروت،2003.

25-ابن شاكر الكتبي محمد(ت764هـ):فوات الوفيات والذيل عليها، تح:إحسان عباس، مج1، دار صادر، بيروت،(د.ت).

26- الشهرستاني محمد بن عبد الكريم(ت548هـ):الملل والنحل، تح: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور،ج1، ط3، دار المعرفة، بيروت، 1993.

27- الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك(ت764هـ) :

- الوافي بالوفيات،تح: أحمد الأرناؤوطوتركي مصطفى،ج2،ج3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ب.ت).

- تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب،تح : زهير حميدان الصمصام وإحسان بنت سعيد خلوصي،ج2، إحياء التراث العربي، دمشق ، 1992.

28- ابن طباطبا محمّد المعروف بابن الطقاطقا(701هـ):الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، (د.ت).

29-الطوسي نظام الملك(ت485هـ):سيرة الملوك أو سياسة نامه، تر: يوسف بكار، ط1، دار المناهل، بيروت، 2007.

30- ابن عبد الظاهر محيي الدين(ت692هـ) :

- تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تح:مراد كامل، مر: محمد علي النجار، الشركة العربية للطباعة والنشر، 1961.

- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تح: عبد العزيز الخويطر، ط1، الرياض، 1976.

31- ابن العبري غريغوريوس(ت685هـ):

- تاريخ مختصر الدول، تصحيح وفهرسة أنطوان سامحاني اليسوعي، ط2، دار الرائد اللبناني، لبنان،1994.

32- ابن العماد الحنبلي(ت1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمودالأرناؤوط، مج7، ط1، دار ابن كثير، بيروت، 1991.

33- العمري ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى(ت749هـ):مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج3، تح: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

34- ابن العميد مِكين جرجس: أخبار الأيوبيين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،(د.ت)

35- العيني بدر الدين محمود (ت 855 هـ):

- السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تح: محمد علوي شلتوت وراجعة محمد مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتب المصرية ،القاهرة، 1998م.

- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تح : محمد محمد أمين، ج1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2010.

36- الغساني الملك الأشرف(ت803هـ):العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تح : محمود عبد المنعم، ج1، دار البيان، بغداد، 1975.

37- الغياثي عبد الله بن فتح الله البغدادي:تاريخ الدول الإسلامية في الشرق، تح: طارق نافع الحمداني ، ط1، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2010.

38- أبوالفدا الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ابن علي(ت732هـ):المختصر في تاريخ البشر، تح :محمد زينهم محمد عزب، ج3، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

39- ابن الفرات ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم(ت807هـ):تاريخ ابن الفرات، تح: قسطنطين زريق، مج 7، المطبعة الأميركانية، بيروت، 1942.

40- الفردوسي أبي القاسم: الشاهنامة ملحمة الفرس الكبرى، تر: سمير مالطي، دار العلم للملايين، بيروت، 1979.

41- ابن الفوطي كمال الدين عبد الرزاق (ت 723هـ) :

- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تح: مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

- مَجْمَعُ الآداب في معجم الألقاب، تح:محمد الكاظم، مج1، ط1، مؤسسة الطباعة والنشر،1416هـ.

42- ابن قتيبة: السلطان، تح : أيمن عبد الجابر البحيري ، المكتبة الأزهرية للتراث،(د .ت).

43- القرشي محيي الدين أبو الوفا:الجواهر المضنية في طبقات الحنفية، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، ج3، ط2 ، دار هجر للطباعة والنشر، 1993.

44- القرماني أحمد بن يوسف(ت1019هـ):أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، در وتح: أحمد حطيط وفهمي سعد، مج1،ط1، عالم الكتب، لبنان، 1996.

45- القزويني زكريا بن محمد بن محمود(ت682هـ):آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت،(د.ت).

46-القلقشندي أبي العباس أحمد (ت860هـ):

- مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تح : عبد الستار أحمد فراج ، ج2، عالم الكتب، بيروت،(د.ت).

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا،ج4، دار الكتب الخديوية، القاهرة ، 1914.

47- ابن الكَازَروني ظهير الدين محمد البغدادي(ت697هـ):مختصر التاريخ، تح: مصطفى جواد، مطبعة الحكومة، 1970.

48-ابن كثير الحافظ عماد الدين أبي الفدا إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي(ت747هـ):البداية والنهاية،تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج17،ط1، دار هجر، الجيزة، 1998.

49- ماركو بولو:رحلات ماركو بولو، تر: عبد العزيز جاويد، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996.

50- مجهول: التاريخ السري للمغول كتب بالصينية أيام جنكيزخان، تر: سهيل زكار، دمشق،2011.

51-المسعودي أبي الحسن علي بن الحسين بن علي(ت346هـ):مروج الذهب ومعادن الجوهر، مر: كمال حسن مرعي، ج1،ط1، المكتبة العصرية صيدا- بيروت، 2005.

52- المقدسي أبي شامة(ت665هـ):الذيل على الروضتين، تع: إبراهيم شمس الدين، ج5، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2002.

53-المقريزي تقي الدين أحمد بن علي(ت845هـ) :

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تح: محمد زينهم -مديحة شرقاوي، ج3، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998.

- السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادرعطا، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت،1997.

54- نجم الدين كبرى(ت618هـ): فوائح الجمال وفواتح الجلال، تح: يوسف زيدان،ط1، دار سعاد الصبح، 1993.

55- النسوي محمد بن أحمد:سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تح: حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1953.

56- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: نجيب فواز وحكمت فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.

57- الهمذاني رشيد الدين فضل الله (ت 718هـ) :

- جامع التواريخ، تاريخ المغول الإيلخانيون، تاريخ هولاكو، تر: محمد صادق نشأت وآخرون، مج2،ج1، مر: يحي الخشاب، دار إحياء الكتب العربية،(د.ت).

- جامع التواريخ، تاريخ غازان خان، تر: فؤاد عبد المعطي الصياد،ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2000.

- جامع التواريخ، الإيلخانيون، تاريخ أبناء هولاكو، من آباقا إلى كيخاتو،تر: محمد صادق نشأت وفؤاد عبد المعطي الصياد، مر: يحي الخشاب، مج2، ج2، دار إحياء الكتب العربية، (د.ت) .

58- ابن واصل جمال الدين محمد بن سالم (ت 697 هـ):مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تح ومر :حسنين وسعيد عبد الفتاح عاشور، مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية، مصر،(د. ت).

59- ابن الوردي زين الدين عمر بن مظفر(ت749هـ):تاريخ ابن الوردي، ج 2، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1996.

60- ابن الوردي سراج الدين(ت 852هـ):

- خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تح: أبو محمود زناتي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة، 2008.

- تتمة المختصر في أخبار البشر، تح: أحمد رفعت البدراوي، دار المعرفة، بيروت، 1970.

61- اليافعي أبي محمد بن عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان(ت768هـ):مرآة الجنان وعبرة اليقضان، ج4، ط1، دار الكتب العلمية ، لبنان، 1997.

62- اليونيني قطب الدين موسى بن محمد(ت726هـ):ذيل مرآة الزمان، مج1، ط1، دائرة المعارف العثمانية،حيدر آباد، الهند، 1995.

ثانيا / المراجع:

أ- المراجع باللغة العربية :

63- آل ياسين محمد مفيد: دراسات في تاريخ العراق في العهد الإيلخاني (عهد السيطرة المغولية 658-737هـ)، ط1، دار غيداء، عمان، 2010.

64- البار محمد علي:كيف أسلم المغول، ط1، دار الفتح للدراسات والنشر،الأردن،2008.

65- الجاف حسن كريم: تاريخ إيران السياسي، مج 2، ط1،الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2008.

66-جمال الدين سرور محمد:دولة بني قلاوون في مصر، دار الفكر العربي، (د. ت) .

67-الجمل محمد عبد المنعم:الدول المستقلة في المشرق التاريخ والحضارة،دار المعرفة الجامعية،2002.

68-حسن أحمد محمود:الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972.

69- حسن أمين : الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي، ط1، دار الغدير، بيروت، 1971م .

70- حسين مؤنس:المساجد، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1981.

71- حطيط أحمد:حروب المغول، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت- لبنان، 1994.

72-حمدي حافظ أحمد:الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر العربي، القاهرة (د.ت).

73- الحوف أحمد محمد : تيارات ثقافية بين العرب والفرس ،دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة .

74-الحويري محمود محمد:تاريخ الدولة العثمانية، في العصور الوسطى، ط1، المكتب المصري،القاهرة، 2002.

75- الخالدي إسماعيل عبد العزيز: العالم الإسلامي والغزو المغولي، مكتبة الفلاح، الكويت ، 1984.

76- خصباك جعفر حسين:العراق في عهد المغول الإيلخانيين، ط1، مطبعة العاني، بغداد، 1968.

77- الخطيب مصطفى عبد الكريم:معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996.

78-خليفة ربيع حامد:فن التصوير عند الأتراك الأويغور وأثره على التصوير الإسلامي، ط1، كلية الآثار، القاهرة، 1996.

79- درويش هدى:دور التصوف في نشر الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، ط1،عين للدراسات والبحوث والإنسانية الاجتماعية، 2004 .

80- رجب محمد عبد الحليم:انتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية، القاهرة، (ب.ت).

81- الرفيع عبد الأمير:العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية، ج1، (ب.ت).

82- زكي محمد حسن:

- الصين وفنون الإسلام، هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة (ب-ت).

- التصوير وأعلام المصورين في الإسلام، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2014.

- كي محمد حسن: الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017

83-سعيد عمران محمود:المغول والأوربيون والصليبيون وقضية القدس، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 2003.

84- سعيد فهيم،محمود إبراهيم:في تاريخ المغول وعلاقتهم بأوربا، دارالمعرفة الجامعية، الأزاريطة، 2007.

85- الصاوي محمد:جنكيزخان فاتح العالم،ط1، مكتبة النافذة، الجيزة، مصر،2011.

86- صبحي عبد المنعم:سياسية المغول اتجاه دولة المماليك في نصر والشام (716-736هـ/ 1316-1335م)، ط1، دار العربي، القاهرة، 2000.

87- الصلابي محمد علي:دولة المغول بين الانتشار والانكسار، ط1، دار المعرفة بيروت، لبنان، 2009.

88- الصياد فؤاد عبد المعطي:

- المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، 1980.

- مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني، ط1، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967.

- الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين(أسرة هولاكو)، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، 1978م.

89-الطائيسعاد حسن إرحيم: دراسات في تاريخ الترك والمغول، ط1، دار ومكتبة عدنان، بغداد، 2015.

90- طلعت إيمان عبد الرزاق: نظم المغول الاجتماعية والدينية والعسكرية خلال القرنين 7و8هـ / 13و 14م، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2019.

91- محمد سهيل طقوش:

- تاريخ المغول العظام والإيلخانيين، دار النفائس، بيروت، 2007.

- مغول القبيلة الذهبية والهند، ط1، دار النفائس،بيروت لبنان، 2007.

92- طه بدر مصطفى :

- مغول إيران بين المسيحية و الإسلام، دار الفكر العربي ، (د.ب)، (د.ت).

- محنة الإسلام الكبرى، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999.

93- عاشور سعيد عبد الفتاح:مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت، 1972.

94- عاشور فايد حماد:العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى، دار المعارف، القاهرة.

95- عجيبة أحمد علي:دراسات في الأديان الوثنية القديمة، جار الآفاق العربية، القاهرة، 2004.

96- العزاوي عباس:تاريخ العراق بين احتلالين، بغداد، 1935.

97- العريني السيد الباز:

- المغول، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.

- المماليك، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت).

98- عفاف سيد صبرة:التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، ط1، دار الكتاب الجامعي، القاهرة،1987.

99- عكاشة ثروت:موسوعة التصوير الإسلامي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، 2001.

100- الغامدي سعد بن محمد حذيفة:المغول بيئتهم الطبيعية وحياتهم الاجتماعية والدينية، ط1، المملكة العربية السعودية، 1990.

101- فتحي سالم حميدي اللهيبي:رياح الشرق دراسة تاريخية شاملة للاحتلال المغولي للعراق، ط1،دار النهضة العربية ،بيروت، 2013.

102- الفقي عصام عبد الرؤوف:الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999.

103- فهميعبد السلام عبد العزيز:تاريخ الدولة المغولية في إيران، دار المعارف، القاهرة، 1981.

104- الفيل محمد رشيد:الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد أثناء الحكم الإيلخاني، مركز تحقيقات علوم إسلامية.

105- كحالة عمر رضا:معجم المؤلفين، ج4،ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993.

106- عبيد كلود:التصوير وتجلياته في التراث الإسلامي، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2008.

107- مرجونة إبراهيم محمد علي:المغول والحضارة الإسلامية، تق: أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2010.

108- المطوي محمد العربي:الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي،1982.

109- نور محمد صلاح الدين :

- الطوائف المغولية وتأثيراتها، منشأة دار المعارف، الإسكندرية، (د.ت).

- المرأة ودورها في المجتمع المغولي، ط1، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1999.

110- هلال عادل إسماعيل فهمي:العلاقات بين المغول وأوربا و أثرها على العالم الإسلامي، عين للدراسات، القاهرة، 1997.

2/ المراجع المعربة:

111- أرمينوس فامبري:تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، تر: أحمد محمود الساداتي، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة.

112- أشتياني عباس إقبال: تاريخإيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية،تر: محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، 1990.

113- إدوارد بروي:تاريخ الحضارات العام، تر:أسعد داغر، مج3، ط2، منشورات عويدات، بيروت، 1986.

114- اوزطونا يلماز:المدخل إلى تاريخ التركي، ط1، تر: أرشد الهرمزي الدار العربية للدراسات، لبنان، 2005.

115- بارتولد فاسيلي فلاديميروفتش:

- تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، قسم التراث الوطني، الكويت، 1981.

- تاريخ الحضارة الإسلامية، تر: حمزة طاهر، ط2، دار المعارف، مصر.

116- بارتولد:تاريخ الترك في آسيا الوسطى، تر: أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996.

117- براونادوارد جرانفيل:تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، ج2 ، ط 1، تر: إبراهيم أمين الشواربي،المجلس الأعلى للثقافة، الجزيرة، القاهرة، 2005.

118- بياني شيرين:المغول التركيبة الدينية والسياسية، تر: سيف علي، مر: نصير الكعبي، المركز الأكاديمي للأبحاث،بيروت، 2013.

119- تورغون آلماس:الأويغور (تاريخ الأتراك في آسيا الوسطى وحضارتهم)، تر: ماجدة مخلوف وآخرون، ط1، دار تكلماكان الأويغوري، تركيا، 2018 .

120- توماس أرنولد:الدعوة إلى الإسلام، تر: حسن إبراهيم حسن وآخرون، ط 3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970.

121- جون مان: كوبيلاي ملك المغول الذي أعاد بناء الصين، ط1، تر: أحمد لطفي، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، 2013.

122- ديماند:الفنون الإسلامية، تر: محمد عيسى، مر: أحمد فكري، دار المعارف، مصر.

123- ستيفان رانسيمان:تاريخ الحروب الصليبية ، تر: السيد الباز العريني، ج3، ط3 ، 1993.

124- شبولر بيرتولد:

- المغول في التاريخ، تر: يوسف شلب الشام، ط1،طلاسم للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1989م.

- العالم الإسلامي في العصر المغولي،تر: خالد أسعد عيسى، مر:سهيل زكار، ط1، دار حسان للطباعة والنشر،دمشق، 1982.

125- كرافولسكي دوروتيا : العرب و إيران، دار المنتخب العربي، بيروت، 1993.

126- كي لسترنج:بلدان الخلافة الشرقية، تر :بشير فرنسيس و كوركيس عواد، مؤسسة الرسالة .

3/المراجع باللغة الأجنبية :

127-D'ohsson ,Constantine:1- Histoire des Mongols depuis Tchingiz- Khan jusqu'à Timour Bey, ou Tamerlan ,Amesterdam,1834-1836.

128-Gaston Cahen: Les Mongols Dans Les Balkans,Revue Historique,Presses Universitaires de France, ,T. 146,Fasc.1,1924.

129-Harold lambm:Genghis Khan The Emperor of All Men, thornton butter worth, London.

130-Jean du Plan Carpin : Relation du voyage Etartarie, puplies par Pierre Bergeron, 2012..

131-Rene' Grousset :

- le Conquérant du du monde (vie de Gengis-Khane), chicoutini, quebec,2006.

- l'empir des steppes atila Gengis–khan,Tamerlans, Paris, 1983

132- Peter Jackson : The Mongols And The Islamic World, Yale university press, new Haven And London, 2017.

رابعا / الرسائل الجامعية:

133-الحبشيسعيد أسعد سعيد: صورة المغول من خلال كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري،رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار كلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة، 2021.

134- الدورابي إسماعيل عبد الرحمن:إسلام المغول وأثره العسكري والسياسي والحضاري في قارتي آسيا وأوربا، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، جامعة أم درمان الإسلامية، 2012.

135- سلام نضيرة:الحياة الاجتماعية في إيران في العصر التيموري، من خلال المخطوطات المصورة، رسالة مقدمة بنيل شهادة الماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر،2007.

136- العبدليعائشة مانع عبيد: إمارة الحج في عصر المماليك، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أم القرى، السعودية ، 1999 .

137- عتوم رانية فوزي موسى:نقود إيلخانية من متحفي الآثار في عمان واربد، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، 2001.

138-كربي خالد:الحياة العلمية في العراق بعد الغزو المغولي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، المدرسة العليا بوزريعة، الجزائر، 2020.

خامسا / المجلات:

139-آل سنة خيرية محمد علي:مراسيم السلطان غازان الاقتصادية والإدارية، مجلة الخليج للتاريخ والآثار، العدد 9، 2014.

140- باعامر محمد سالم بكر:الصراع بين الإسلام و الوثنية في إيلخانية مغول إيران، مجلة الملك عبد العزيز، الآداب و العلوم الإنسانية، 15، 2007.

141- جبران،نعمان محمد:محاولات المغول السيطرة على طريق الحرير: جامعة اليرموك.

142-حاجي،حمزة:"دور مجلس القوريلتاي وقانون الياسا في توحيد القبائل المغولية 603هـ/1206م"، قسم التاريخ، جامعة الجزائر

143-حسنين شيرين عبد المنعم:الثقافة العربية الإسلامية في إيران في العصرين التيموري والمغولي، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، العدد 18، 2008.

144- حسون محمد ضايع و شهيد طعمه إسراء: السلطان خدبندا(أولجايتو) – سيرته وتوليه عرش السلطة المغولية(703-716هـ/1303-1316م)، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العدد2014،17.

145- حيدر سالم محمد المالكي: مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين الهمذاني ودوره الإداري والسياسي، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج60، العدد3، 2021.

146- رائد عبد الرحيم:ألفاظ مغولية في أدب العصر المملوكي وكتب مؤرخيه (648- 803هـ)، مج22، مجلة جامعة النجاح، العدد4، 2008.

147- الرفاعي عبد الباسط مصطفى مجيد: جوانب من الحياة الاقتصادية لبغداد أثناء سيطرة المغول الايلخانيين، مجلة سر من رأى، قسم التاريخ، جامعة سامراء، كلية التربية، مج 8، العدد 30، السنة الثامنة، 2012.

148- الزبيديعباس خميس:الطقوس الجنائزية عند المغول من خلال الرحلات البابوية : رحلة القس جون بلانو كاربيني (1245 – 1247م) أنموذجا، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد العراق، ع115، 2016.

149-شريفي أحمد:قيام الإمبراطورية المغولية، دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، العدد، 28.

150- السويطي محمد حسين علي وآياتغني كمر المكصوصي: الأثر الديني للسيد تاج الدين الآوي في الحياة الدينية في عهد السلطان اولجايتو(703-711هـ/1303-1316م)،لأرك في الفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، ج2، العدد30، 2018.

151- الشيماءسيد كمال محمد:السلطانية عاصمة المغول الأيلخانيين، مجلة المؤرخ العربي، أكتوبر، 2016.

152- الطائي سعاد هادي حسن:

- أعلام ووزراء البلاط المغولي الوزير هجير وقطب الدين حبش عميد الملك أنموذجا، جامعة بغداد، ع65، 2016.

- مظاهر العمران في عهد المغول الإيلخانيين(683-703هـ/ 1284-1304م)،دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج47، العدد1، 2020.

- الأمير كوركوز الأويغوري دراسة في سيرته ودوره السياسي والإداري والاقتصادي والعمراني خلال العصر العباسي(624-641هـ/1227-1243م)، قسم التاريخ ، جامعة بغداد.

153- طريم محسن راشد: الحركة العلمية في مدينة مراغة في القرن السابع هجري، "مجلة جامعة ذي قار"، مج8، العدد5، حزيران 2013.

154- عاصف منصور محمد رمضان:العقائد والديانات غير الإسلامية في النقود الايلخانية، أدوماتو مجلة نصف سنوية محكمة تعنى آثار الوطن العربي، رجب 2008/1429

155- العناني ريهام يوسف:دراسة تحليلية لطرز الأزياء في العصر المملوكي، المعهد العالي للفنون التطبيقية، مجلة الاسكندرية للتبادل العلمي، العدد 01، مارس 2014.

156- العيدان هدية جوان: العناصر الكتابية والزخرفية المنقوشة على مسكوكات السلطان الإيلخاني أبي سعيد بهادر خان(717-736هـ)، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، مج4، ع11، بغداد، 2010،

157- الغامدي سعد محمد مسفر:مكان مراسم دفن الخانات المغول خارج موطنهم الأصلي، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، 1984.

158- فرطوس حيدر عبد الرحمن:نظام البريد عند المغول، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد، العراق، العدد 80، 2007.

159- الكيلاني إبراهيم:مصطلحات تاريخية مستعملة في العصور الثلاثة الأيوبي والمملوكي والعثماني، مجلة التراث العربي، العدد 49، 1992.

160- مزبان إسراء مهدي:الأزمات الاقتصادية في العراق أثناء حكم المغول وسبل معالجتها، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العراق، العدد 27.

161- الهادي يوسف:

- شتروتمان وبؤس الكتابة التاريخية، مجلة دراسات إستشراقية، العدد2، 2020.

- هل كتب نصير الدين الطوسي (ذبل تاريخ جهنكاشاي)؟، مجلة الخزانة، العددالثالث، السنة الثانية، مركز إحياء التراث، 2018.

162- ناظم محمود نوال: الحياة العلمية في مراغة في القرنين السابع والثامن، لأرك للفلسفة اللسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة بغداد، العدد17، 2015.

163- النجار رغد عبد الكريم أحمد: دور الأمير أرغون آقا السياسي والإصلاحي في دولة المغول 623-673هـ/ 1225-1275م، آداب الرافدين، العدد 67، 2013.

164- هيئة تحرير:التأثيرات الحضارية الصينية على حكم أسرة اليوان، مجلة آداب البصرة، كلية الآداب، جامعة البصرة، العراق، 2015.

المواقع:

165-سوزان، عابد:"الزيج الإيلخاني عندما تكتب النجوم والكواكب وجه آخر لتاريخ المغول الدموي"، مجلة العربي العدد734،يناير2020، الساعة 16:00 تم الإطلاع بتاريخ 15أكتوبر2022،متوفر على الرابط:https://alarabi.nccal.gov.kw/Home/Article/16914

الفـــهرس

الشكـر والتقدير

الإهــداء

مقدمة..... **Erreur ! Signet non défini.**

الفصل التمهيدي : أصل المغول ونشأتهم 12

أولا / موطن المغول..... 12

1.الموقع الجغرافي..... 12

2.المناخ وتأثيره على المغول 13

3. أبرز مظاهر التضاريس لأراضي المغول..... 14

ثانيا / أصل المغول 15

1. القبائل المغولية..... 16

1.1.القرغيز 16

1.2.الأغوز 17

1.3.الخطا أو القراخطائيين..... 17

1.4.التتار..... 17

1.5المغول..... 18

1.6.قوم كرايت..... 18

1.7. النايمان 18

1.8.الجلاير..... 18

1.9.المركيت 19

1.10.الأويغور 19

2. توحيد القبائل 19

2.1.بروز شخصية جنكيزخان..... 19
2.2.قانون الياسا 23
ثالثا / التوسع المغولي 25
1.حملات جنكيزخان على الصين..... 25
2.الحرب على الخوارزميين 27
2.1.سقوط بخارى 29
2.2.سقوط سمرقند..... 30
2.3.إخضاع خوارزم 32
2.4.سقوط خراسان..... 33
2.5.المغول وجلال الدين منكبرتي..... 34
رابعا / العادات والتقاليد 39
1.الصيد 39
2.الزواج 40
3.المأكل 40
4.الملبس 42
5.المسكن 42
6.الطقوس الجنائزية 43
الفصل الأول : الخريطة السياسية للإمكبراطورية المغولية..... 46
أولا/ مملكة القبيلة الذهبية (القبجاق)..... 48
1. أصل التسمية 48
2. الموقع 49

3.تأسيس القبيلة الذهبية 50
4.العلاقات السياسية والعسكرية مع إيلخانية فارس 52
ثانيا/ إيلخانية فارس..... 55
1.تأسيس الايلخانية..... 55
1.2.القضاء على الطائفة الإسماعيلية..... 56
2.2سقوط بغداد 57
2.3.حملة هولاكو على بلاد الشام..... 59
2.3.1معركة عين جالوت 61
2.النظام الإداري للايلخانية 63
3.خلفاء هولاكو خان (العصر الوثني) 64
3.1.أباقا خان 65
3.2.أحمد تكودار..... 67
3.3.أرغون بن أباقا خان 68
3.4.كيخاتو بن أباقا 70
3.5.بايدو خان 70
4.تفكك الايلخانية (العهد الجلائري) 71
ثالثا / مغول تركستان (آسيا الوسطى) 73
1.التعريف بمغول تركستان 73
2.إيلخانية تركستان في ظل المغول العظام 74
3.علاقة مغول تركستان بالايلخانيين 78
رابعا / مغول الصين (أسرة اليوان) 79
1.فتح الأقاليم الشمالية للصين 79

2.الإصلاحات في عهد قوبيلاي خان 81
2.1الصين العاصمة الجديدة..... 81
2.2.الإصلاحات الإدارية 82
3.2العملة 85
الفصل الثاني: إنتشار الإسلام بين المغول..... 88
أولا/ الصراع الديني المسيحي البوذي الإسلامي 88
1.التسامح الديني عند المغول 88
2.التنافس البوذي والمسيحي والإسلامي 89
2.1.البوذية تحل محل الشامانية 89
2.2.الإسلام في مواجهة الوثنية..... 91
2.3.المسيحية لم تصل إلى مبتغاها..... 92
3.العوامل المؤثرة في التحول الديني للمغول 93
3.1.تأثير الزوجات المسيحيات..... 93
3.2.جهود أصحاب البلاط من المسيحيين والبوذيين..... 95
3.3.جهود الملوك والبابوات في تنصير المغول 96
ثانيا / انتشار الإسلام بين المغول..... 98
1.العوامل المؤثرة في اعتناق المغول للإسلام 98
1.1.تأثير المرأة المسلمة 98
1.2.تأثير الوزراء والموظفين المسلمين..... 101
1.3. تأثير السكان المحليين..... 105
1.4الطرق الصوفية 106
1.4.1.الطريقة الكبراوية..... 108

1.5. التجارة.....110

2. الإسلام في الممالك المغولية 111

2.1.إسلام مغول القبجاق (القبيلة الذهبية) 111

2.1.1.بركة بن جوجي بن جنكيزخان 111

2.1.2. السلطان محمد أوزبك بن طغرل شاه بن منكوتمر 114

2.2.إسلام إيلخانات فارس 116

2.2.1. إسلام أحمد تكودار في إيران 116

2.2.2. إسلام السلطان محمود غازان..... 118

2.2.3. إسلام أولجايتو خان (محمد خدابندا) 119

2.2.4. إسلام أبو سعيد بهادر خان..... 120

2.2.5. علاقة مغول إيلخانية إيران بالتشيع 120

2.3. إسلام مغول تركستان..... 121

الفصل الثالث : المظاهر الحضارية لدولة المغول.....126

أولا / روافد انتقال التأثيرات المغولية إلى الحضارة الإسلامية 127

1. دور الحكام 127

2. الهجرات المغولية لبلاد الإسلام (الوافدية)..... 130

3. الصلات المباشرة بين ممالك المغول 132

4. طريق الحرير 133

ثانيا / مساهمة المغول في الأنظمة السياسية والعسكرية للمسلمين 134

1. قوانين مستمدة من الياسا المغولية 134

2. نظام البريد 136

ثالثا/ الجانب الاجتماعي 140

1. اللغة والمفردات المغولية 140
2. الحج 142
3. الطعام 144
4. اللباس 145
5. المرأة المغولية 147
5.1. المكانة السياسية للمرأة المغولية 147
5.2. لباس المرأة المغولية المسلمة وحليها 149
رابعا / الجانب الاقتصادي..... 150
1. الزراعة 150
2. الصناعة..... 153
2.1. صناعة الأسلحة..... 156
2.2. صناعة النسيج 156
3. التجارة..... 157
3.1. السيطرة على الطرق التجارية..... 159
3.2. طريق الحرير..... 160
4. النقود الايلخانية 161
4.1.الإصلاحات النقدية للسلطان محمود غازان..... 163
الفصل الرابع: الإسهامات العلمية والفنية..... 165
أولا/ الإسهامات العلمية..... 166
1. العلوم العقلية..... 166
1.1. الطب..... 166
1.2. الفلك والتنجيم 169
1.2.1. نصير الدين الطوسي ومرصد مراغة 169

1.2.2. مرصد مراغة..... 170
2.1. العلوم الدينية الإسلامية.....173
2.1.1. القرآن الكريم 173
2.2. التاريخ.....176
2.2.1. رشيد الدين فضل الله الهمذاني 177
2.2.2. علاء الدين عطا ملك الجويني 178
2.2.3. منهاج السراج المعروف بالجوزجاني 178
2.2.4. تاريخ وصاف 179
3. الحركة الأدبية..... 180
3.1. الشعر..... 180
3.1.1. شعراء العهد الجلائري 181
4. المؤسات التعليمية..... 182
4.1الكتاب 182
4.2 المدارس.....183
4.2.1.المدرسة العصمتية..... 183
4.2.2. مدرسة المرصد.....184
4.2.3. المدرسة الجوبانية.....185
4.2.4. مدارس العهد الجلائري.....186
5. المكتبات.....188
5.1.مكتبة آلموت.....188
5.2.مكتبة مراغة.....189
5.3.مكتبة الربع الرشيدي.....189
ثانيا/ الحواضر المغولية.....190

1. مدينة تبريز 190
2. مدينة السلطانية..... 191
3. مدينة مراغة..... 193
ثالثا/ الإسهامات الفنية.....195
1. التصوير.....195
1.1. المدرسة المغولية للتصوير.....195
1.2. مصادر التصوير المغولي.....196
1.2.1. المدرسة الصينية.....196
1.2.2. المدرسة الأويغورية..... 200
2. الإنتاج الفني.....203
2.1.الحفر على الخشب 203
2.2. فن الخط 204
2.3. الخط المسكوكات.....205
2.2.1. الزخارف الكتابية 206
2.2.2. الزخارف النباتية 207
2.2.3. الزخارف الهندسية. 207
2.4. فن النحت على الحجارة والجص في إيران..... 208
3. العمارة. 209
3.1. الضاحية الغازانية.....212
3.2. الربع الرشيدي 213
3.3. دور الوافدية في العمارة المملوكية..... 215

3.4. عمارة العهد الجلائري 217

الخاتمة..... 220

الملاحق..... 224

المصادر والمراجع..... 235

الفهرس..... 251